(المقدمـــة)

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونسألك اللهم أن تصلي وتسلم على سيد ولد آدم النبي الأمي معلم البشرية الأول سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد تناولت في هذا السفر ما اصطلح الكثيرون على تسميته بالأدب الإسلامي، والإسلام هو دين الفطرة السوية التي فطر الله تعالى عليها عباده، هذه الفطرة التي خلقها الله تعالى في أحسن تقويم من الناحية المادية والروحية. إذا لم تدخل عوامل خارجية تدخلاً سيئاً يظل الإنسان سويًا بفطرته، متوازنًا من الناحية النفسية ومن الناحية المادية. وهذه الدراسة جديدة من زاويتين

الزاوية الأولى :

محاولـة أن يحـل مصـطلح أدب الفطـرة السـوية محـل مصـطلح الأدب الإسـلامي، لأن الفطـرة السـوية هـي الفطـرة التـي فطـر الله تعـالى عليهـا عبـاده وارتضـاها لهـم. وأدب الفطرة السوية كوعاء أكبر حجما واتساعاً من الأدب الإسلامي.

أما الزاوية الثانية :

أن أدب الفطـرة السـوية يسـتمد أصـوله وجـذوره مـن بقايـا إرث شـريعة إبـراهيم خليل الرحمن عليه السلام التي اهتدى إليها رجل الصحراء بفطرته، ولكنها حرفت وبدلت بتقادم العصور.

ولقد انحرفت رسالة الشعر والأدب بصورة عامة قبل شروق الإسلام عن الوضع الذي يليق بالنفس الإنسانية السوية التي تسمو بها المجتمعات، فبعض الشعر كان يخدش الذوق العام ويجانب الحياء، وبعضه يثير العصبية وحمية الجاهلية، ويحرض على الحرب. وبمبعثه الكريم ε تحولت التوجهات العامة للشعراء لتناسب المعاني السامية التي يدعو لها الإسلام، وحلت الروح الإسلامية بعفتها وطهارتها محل روح الجاهلية وحميتها.

وأدب الفطرة السوية استمد ملامحه الدقيقة من الدين الحنيف، فهو يستمد وجوده منه، وهكذا حلَّق الأديب المسلم بجناحيه في فضائه الرحب الواسع، فكل شأن يخص الإنسان في حياته العامة والخاصة تشمله خارطة أدب الفطرة السوية، وكل قضية من القضايا تدور في فلك العقيدة الإسلامية هي من صميم قضايا أدب الفطرة السوية.

وتفَّيأ الأديب المسلم تحت ظلال المعاني القرآنية السامية ومن سموها حاول أن يسمو بلسانه لأن الهدف الشريف يحتاج إلى معاني سامية لتعبر عنه.

أما من ناحية الألفاظ والمفردات فيكفيه فخراً أن المَعين الذي ورد إليه ونهل منه هو كلام رب العزة والجلالة: (**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً**) **(الكهف:109)** ، وهكذا ألَمَّ الأديب المسلم بكَمٍّ هائل من المفردات والتراكيب اللغوية التي أثرت معجمه اللغوي، وعجمت لسانه.

وأدب الفطرة السوية قديم قدم الإنسان وفطرته، وقد أدلي العديد من علماء الأدب وأهل الفكر بدلوهم في هذا المجال، وهنالك العديد من الدراسات التي قتلت هذا الموضوع بحثاً، ولكنها اتفقت في مجملها على تسمية كل أدب يدور في فلك الدين الإسلامي بالأدب الإسلامي، وأرى أن مصطلح أدب الفطرة السوية أشمل وأعم.

وقعت هذه الدراسة في أربعة فصول :

الفصل الأول: جاء تحت عنوان مدخل وتعريفات، حاولت أن أقدم فيه تعريفاً للأدب بصورة عامة، وأدب الفطرة السوية على وجه الخصوص، كما وضحت فيه تباين الآراء واختلافها حول ماهية الأدب وطبيعته.

أما الفصل الثاني: تناولت فيه مميزات أدب الفطرة السوية، وهذه المميزات التي تميز بها أدب الفطرة السوية ما هي إلا نفحة من نفحات دين الفطرة السوية دين الحنيفية الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده.

الفصل الثالث: يحمل عنوان الخصائص الفنية لأدب الفطرة السوية، من ناحية المفردات فقد تجلى أثر القرآن الكريم على الأديب المسلم الملتزم الذي تفيأ تحت ظلال الآيات القرآنية الوارفة الظلال، ووظف المفردات أحسن توظيف لتحقق الغرض الذي من أجله صيغت وهي المعاني السامية، كذلك تنوعت وتباينت الأساليب اللغوية. وهذه الخصائص تدل على حجم الطاقات الإبداعية الهائلة التي غرسها الله تعالى في نفس الأديب المسلم الملتزم وعقله، وبمبعثه الكريم صلى الله عليه وسلم ونزول الروح الأمين عليه السلام بالقرآن تفجر ينبوع بيان الأديب المسلم ليصور بلغة القوافي عظمة الخالق في هذا الكون الفسيح الذي خلقه من عدم.

الفصل الرابع: تحدثت فيه عن وظيفة ومسؤولية الأديب المسلم والدور العظيم الملقى على عاتقه، ومسؤوليته تجاه دينه وتجاه وطنه و تجاه مجتمعه ، وكل دور من هذه الأدوار لابد من إعداد العدة اللازمة للقيام به على أكمل وجه، والرسول ε هو أول من حدد مسؤولية

الأديب المسلم الملتزم بأوامر الله تعالى، فعليه النهوض بمسؤولية بناء المجتمعات الفاضلة، وهي مسؤولية متشعبة ومترامية الأطراف ، كما يقع على عاتقه مسؤولية التغني بمآثر الإسلام ومزاياه، وفي ساحة الحرب يجاهد بسيفه ولسانه في سبيل الله تعالى لرفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وهو رجل الإعلام والداعية إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وفي خضم هذه المسؤوليات الضخمة يقوم الأديب المسلم بمهمة عالم التاريخ إذ يتولى مهمة توثيق الأحداث وتأريخها منذ فجر الدعوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وفي الختام : أسأل الله تعالى أن تتضافر الجهود لخدمة الدين الحنيف، وكل العلوم والمعارف التي تستمد وجودها منه وخاصة أدب الفطرة السوية، و أن يدرس هذا الأدب في ظل المعطيات الجديدة وأن يكشف عنه النقاب أكثر وأكثر فهو يستمد وجوده من وجود الدين الإسلامي الذي جعله الله تعالى صالحاً لكل زمان ومكان، كما أنه يستمد استمراريته من استمرارية هذا الدين الذي ختم الله تعالى به شرائعه السماوية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين

الفصل الأول
مدخـــل وتعريفـــات

مفهوم الأدب :

تباينت الآراء حول ماهية الأدب أو مفهومه، وبحجم هذا التباين كان الاتفاق على أساس أنه خلاصة تجربة شعورية تجود بها لحظة من لحظات الزمان، وتأتي هذه التجربة مفعمة بعدد من المعاني، ومزودة بكم هائل من الأحاسيس والمشاعر، ثم تختمر هذه المشاعر في دواخل الإنسان فيتفجر ينبوع بيانه، وهذا الينبوع العذب يجري في مجريين:.

1- قد يتناثر في تدفقه ويسمى هذا الكلام بالنثر، لأنه يتناثر على أشكال متعددة ومختلفة، والفاعل لحظتها يلقب بألقاب مختلفة منها الخطيب والحكيم والكاتب والواعظ ، وفي مجملها تعني الأديب الذي اتكأ على معطيات اللغة وزود يراعه بالعدة والعتاد ليصول ويجول في ميادين الكلم ولكنه لم يلجأ إلى تنغيم كلامه.
2- وقد يتحدث لحظة إلهامه بحديث منغم، وعندئذ يطلق لقب شاعر على صاحب هذا النوع من الحديث.

ومن الذين تناولوا الأدب بالتعريف ابن خلدون في مقدمته إذ يقول:ـ " المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم، فيجمعون لذلك من كلام العرب ومناحيهم ما عساه تحصل به الكلمة من شعر عالي الطبقة، وسجع متساو في الإجادة، ومسائل من اللغة والنحو مع ذكر بعض من أيام العرب، يفهم بها ما يقع من أشعارهم منها، وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة. ثم إذا أرادوا هذا الفن قالوا الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها، والأخذ من كل علم بطرف يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط وهي القرآن والحديث" [1]

---

[1] مقدمة ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق حجر عاصي مطبعة التقدم القاهرة 132هـ / 553 .

ونلاحظ أن ابن خلدون قد صنع وعاءً كبيراً، مطاطي الحجم وحمله أشتاتاً مختلفة من العلوم والمعارف.

ويشير أحمد رحماني إلى تباين الآراء حول مفهوم طبيعة الأدب بقوله: " اختلفت النظريات و تشعبت في تفسير طبيعة الأدب فذهب بعضها إلى أن الأدب هو التراث الحضاري المكتوب، وبعضها إلى أنه هو الكتب العظيمة، وثالثها إلى أن الأدب هو الأدب التخييلي الابتداعي، ورابعها أن الأدب نقد للحياة، وخامسها أن الأدب صياغة فنية لتجربة بشرية ". [1]

وتناول سيد قطب في تعريفه للأدب لحظة التجربة الشعورية وكيفية التعبير عنها فعرف الأدب بأنه: " التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية " [2]. وفي موضع آخر عرفه بأنه: " تعبير موحٍ عن قيمٍ ٍٍ حية ينفعل بها ضمير الفنان – هذه القيم تنبثق عن تصور معين للحياة والارتباطات فيها بين الإنسان والكون . وبين بعض الإنسان وبعض " . [3]

وعرف شوقي ضيف الأدب بقوله :." الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به إلى التأثير في عواطف القراء والسامعين، سواء أكان شعراً أو نثراً "[4]وعرفه محمد حسن عبد الله بقوله:" إنه التعبير عن تجربة إنسانية بلغة تصويرية هدفها التأثير، وفي شكل جمالي قادر على توصيل تلك التجربة " [5].

ومهما تكن الاختلافات في التعريف من مدرسة إلى أخرى فإن الأدب هو خلاصة التجارب الإنسانية التي أفرزها الحس البشري السوي، ولم يرفضها العقل السليم، وليس منه عندئذ كل ما كتب ونسب إلى الأدب مناقضا الفطرة البشرية

---

(1) نظريات نقدية وتطبيقاتها: أحمد محمد رحماني، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الأولى 2004م / 18.

(2) النقد الأدبي أصوله ومناهجه: سيد قطب دار الفكر العربي القاهرة 1950م /8.

(3) في التاريخ فكرة ومنهاج: سيد قطب، الدار السعودية بجدة /11 0

(4) العصر الجاهلي : شوقي ضيف، دار المعارف مصر 1961م / 10 .

(5) مقددمة في النقد الأدبي: محمد حسن عبد الله دار البحوث العلمية الكويت، الطبعة الأولى 1975 م / 28 .

السوية، ذلك لأن الأدب في أصله عند جميع الشعوب جاء من كلمة أدب وهي بالتأكيد تعني عمق الفطرة السوية.

مفهوم أدب الفطرة السوية:

هو كل أدب يهتم بالإنسان من حيث هو إنسان ككائن حي بغض النظر عن الفوارق الدينية، أو الانتماء الفكري، أو العرقي، فكل الشرائع السماوية تدعو إلى التحلي والتمسك بالقيم الفاضلة. التي تقود إلى بناء المجتمعات الفاضلة، وأدب الفطرة السوية يتناول الإنسان من خلال مجتمعه وتفاعله مع أفراد مجتمعه وبيئته، فإذا كان هذا التفاعل تفاعلاً إيجابياً طوره إلى الأحسن، أما إذا كان هذا التفاعل تفاعلاً سلبياً فأدب الفطرة السوية يمده بشحنات أخلاقيه تقوم ما فيه من اعوجاج.

والانتماءات الفكرية هي سبب من أسباب التمسك بالقيم السامية، فالانتماء لفكر معين لا يعني أن يرمي الإنسان قيمه وأخلاقياته خلف ظهره. وأدب الفطرة السوية يتناول الإنسان ككتلة واحدة، أي لا يفصل بين الناحية النفسية والناحية المادية (الجسدية)، بل يعمل على إثراء التناسق والانسجام بين الناحيتين النفسية والمادية.

أما فيما يخص الحدود المكانية أو الزمانية فهما خارج نطاق خارطة أدب الفطرة السوية. ويأتي أدب الفطرة السوية في أوعية لغوية مختلفة، ولا تشكل اللغة عائقاً أمام إبداعات المبدعين، أي يستطيع الأديب أن يترجم أحاسيسه ومشاعره بأي لغة من اللغات بمعنى آخر هو ليس حِجْراً أو حِكراً على لغة بعينها فحسب.

ومجالات أدب الفطرة السوية لا يستطيع الفرد أن يحصيها عداً، فهذا الكون الفسيح الممتد بين السماء والأرض، بما فيه من طبيعة ساكنة ومتحركة يستطيع الأديب الذي حباه الله تعالى بحس سليم أن يحلق فيه بحرية دون أي قيود فكرية، أو أي مؤثرات خارجية.

وكما تعددت الأوعية اللغوية لأدب الفطرة السوية تعددت القوالب الشعرية، فالفنون الأدبية التي يتناولها الأديب المبدع عدد التراب والرمل والحصى، فكل لمسة

من لمسات الجمال خلقها الله سبحانه وتعالى يستطيع الأديب المبدع أن يسخرها لملكاته الفنية ويجعلها طوع بنانه، ويستمد منها أفكاره وصوره وتشبيهاته أي تمده بكل الآليات اللازمة لتجسيد أحاسيسه.

والفطرة السوية، هي الفطرة التي وصفها المولى عز وجل بقوله :ـ **(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) (الروم:30)** .

وأدب الفطرة السوية قديم قدم الإنسان الذي شرفه الله تعالى عندما استخلفه في الأرض وأمره باعمارها :ـ (**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ) (البقرة:30)** .

نماذج من أدب الفطرة السوية :

وبما أن هذه الأصول ضاربة في القدم، فيمكن القول إن أدب ما قبل الإسلام الملتزم التقاليد الفاضلة التي تدعو إلى التمسك بمكارم الأخلاق يدخل ضمن الإطار العام لأدب الفطرة السوية كقول شاعرهم عنترة بن شداد :.

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها
إني امرؤ سَمْحُ الخليقةِ ماجدٌ لا أُتبِعُ النفسَ اللَّجوجَ هواها [1]

ولخص طرفةُ بن العبد مبادءه في الحياة بقوله : .

والصدق يألفه الكريمُ المرتجَى والكِذْبُ يألفه الدنيء الأخْيَبُ
أدوا الحقوق تقر لكم أعراضكم إن الكريم إذا يُحرب يعضب [2]

---

[1] ديوان عنترة : دار بيروت للطباعة والنشر 1984م/ 76.

[2] طرفة بن العبد سيرته وشعره: جعفر حسن نور الدين، دار المكتبة العلمية الطبعة الأولى 1990م / 75.

وقوله كذلك : .

إذا قــل مــاء الوجــه قــل حيــاؤه ولا خيــر فــي وجــه إذا قــل مــاؤه

حيــاؤك فاحفظــه عليــك فإنمــا يــدل علــى ود الكــريم حيــاؤه [1]

أما الشنفرى الذي انتهج الصعلكه فلسفة ودرباً له في مسيرة حياته، فقد أشاد بخصال زوجته ولخصها في العفة والطهر والوفاء، و هي في مجملها القيم التي أقرها الإسلام وحث عليها :.

فيــا جــارتي، وأنــت غيــر مليمــة إذا ذكــرت، ولا بــذات تقلــت

لقـد أعجبتنـي، لا سـقوطاً قناعهـا إذا مــا مشـت، ولا بــذات تلفـت

تبيـت بُعيـد النــوم تهـدي عبوقهـا لجــاراتها، إذا الهديــة قلــت

تحـل، بمنجـاة مـن اللــؤم بيتهـا إذا مــا بيــوت بالمذمــة حلــت

كـأن لهـا فـي الأرض نِسـياً تقصـه علــى أمــها، وإن تكلمــك تبلــت

أميمــة لا يخــزى نثــاها حليلهــا إذا ذكــر النســوان عفــت، وجلــت

إذا هــو أمســى، آب قــرة عينــه مآب السعيد، لم يسل أين ظلت [2]

فهذه القيم الإنسانية الفاضلة التي ورثها رجل الصحراء من شريعة إبراهيم الخليل عليه السلام، وسادت في المجتمع الجاهلي وأصبحت متعارفاً عليها، منها استمد الشعراء موضوعاتهم الشعرية وصورهم وأفكارهم.

ولما بُعث الرسول ρ أرسى دعائم الدين القيم، ε " إنما بعثت لأتمم حسن

---

(1) الأدب الجاهلي: غازي طليمات وعرفان الأشقر/ 372 ولا توجد في مجموع ديوانه.

(2) موسوعة الشعر الجاهلي: المجلد الأول، مطاع صفدي وايليا حاوي ، تحقيق أحمد قدامة، شركة خياط للكتب والنشر، بيروت 1974م /80.

الخلق"،[1] ومن كل هذه المعطيات الطيبة التي جادت بها الحياة الجاهلية كانت نقطة الانطلاق لأدب الفطرة السوية .

وهذه النصوص كما رأينا تتميز بخصائص أخلاقية انعكست على الصور الفنية ما يسمح بأن نقول كان أدب الفطرة السوية منذ ذلك العصر يتميز بخصائص تميزه بحق.

ومن نماذج أدب الفطرة السوية قول الشاعر الهندي طاغور:.

في الحقل ترتفع شجرة تين وحيدة
تلتف بما تنشر من ظلال
مثل حكيم يتأمل في الشمس
وتحتها، في الظهيرة، صبي يعزف على ناي [2]

والشاعر الروسي الكسندر بوشكين (الذي كان يلقب بشمس الشعر الروسي) بفطرته السوية أخذ يتفكر ويتأمل في ملكوت الله تعالى، وقرأ القرآن الكريم ودرسه بوعي وهو يدين بالمسيحية، ومن خلال دراستة للقرآن الكريم، تدبر معانيه، بل وشح ما جادت به قريحته السوية بمعاني القرآن الكريم:.

الأرض ساكنة، السماء بلا عمد
الخالق الذي نعتمد عليه
لن يسقط السيل على اليابس
ولن يقهرنا وإياك
لقد أضأت الشمس في الكون

---

[1] الموطا للإمام مالك بن أنس (1ـ2) موسوعة السنة الستة وشروحها، الطبعة الثانية استنبول1992م كتاب حسن الخلق حديث رقم 8.

[2] طاغورأغان وأشجان: ترجمة عبد الواحد لؤلؤة ، منشورات المجمع الثقافي أبوظبي الطبعة الأولى 1995م/164.

وأضـــــأت أيضـــــا فـــــي الســـــماء
مثـــل نبتـــة كتـــان تمتلـــيء بالزيـــت
تضـــــيء فـــــي مصـــــباح بلـــــوري
صـــــلَ للخـــــالق، فهـــــو القـــــادر
فهـــو يحكـــم الـــريح فـــي يـــوم قـــائظ
ويرســـــل الســـــحب إلـــــى الســـــماء
ويهـــــب الأرض ظـــــل الأشـــــجار
إنـــــه الـــــرحيم: قـــــد كشـــــف
لمحمـــــــد القـــــــرآن الســـــــاطع
ولتســـــقط الغشـــــاوة عـــــن العـــــين [1]

كذلك من أمثة أدب الفطرة السوية قول الشاعر الإنجليزي إدورد توماس الذي استلهم السعادة من الجمال الذي تنشره الطبيعة من حوله:.

والآن سأكون
سعيداً طالما أن الأرض جميلة
لو أنني شيء آخر، أو أدور مع الأرض
بين البنفسج والورد
حيث الشجرة النحيلة، وزهرة البن في موسها
وليس لشجرة الوزال وقت للفرح
هل هذه ليست سعادة . من يدري

---

[1] مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي: مكارم الغمري، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 1991م /155.

ذات يوم سوف أرى ذلك الوجه البهيج [1]

ويتحدث الشاعر النيجيري دنيس أوسا ديبلي عن طبيعة الحياة آنذاك، والظروف والأوضاع التي عاش فيها الآباء والأجداد:.

آبائي البسطاء
آمنوا بكل شيء على طريقة الأطفال
وكلفهم ذلك الشيء الكثير
ولم يكونوا يتساءلون عن أكاذيب السحر
وكان للتمائم عندهم شيء من المنطق [2]

ومن نماذج أدب الفطرة السوية داليةُ ايليا أبو ماضي التي يتناول فيها أصل الإنسان :.

نسى الطين ساعة أنه طين حقير فصار تيهاً وعربد
وكسا الخز جسمه فتباهى وحوى المالَ كيسُه فتمرد
يا أخي لا تَمِل بوجهك عني ما أنا فحمة ولا أنت فرقد

أنت لم تلبس الحرير الذي تلبس واللؤلؤ الذي تتقلد
أنت لا تأكل النضار إذا جمعت ولا تشرب الجمان المنضد

أأماني كلها من تراب وأمانيك كلها عسجد

---

[1] اتجاهات جديدة في الشعر الإنكليزي: ف . ر . وليفز، ترجمة عبد الستار جواد، مطبعة دار الشؤون الثقافية 1987م/61.

[2] الأدب الأفريقي: علي شلش، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 1993م/ 56.

وأمـــــاني كلهـــــا للتلاشـــــي وأمانيـــك للخـــلود المؤكـــد [1]

الفنون الأدبية المختلفة

واتفقت الآراء على تقسيم الأدب إلى قسمين هما الشعر والنثر:

أولا الشعر :

والشعر أحد قسمي الأدب وهو من أقدم أنواع الفنون الأدبية، وكما ذكر إدوين أرلنجتون:ـ " أن الشعر غير قابل للتعريف، ولكنه لا يحتمل اللبس في النهاية وعدم احتماله للبس أمر راجع إلى أنه قد ظل دائماً على ولاء . لا انحراف فيه . لطبيعته الأساسية الخاصة، أما عدم قابليته للتعريف فأمر مرده إلى أنه استجاب لعملية تجريب لا نهاية لها ".[2] في حين يعرفه صاحب اللسان بقوله :ـ" وليت شعري، أي ليت علمي أو ليتني علمت، وليت شعري من ذلك أي: ليت شعرت 000 وفي الحديث : ليت شعري ما صنع فلان [3]: أي ليت علمي حاضر أو محيط بما صنع 000 وفي التنزيل (..... **وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ) (الأنعام: الآية109)** أي: وما يدريكم، وأشعرته فشعر أي أدريته فدرى، والشعر: منظوم القول، غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية، وإن كان كل علم شعراً " [4].

---

[1] دراسات في الشعر العربي المعاصر: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر الطبعة الأولى 1953 م / 286.

[2] في عالم الشعر: علي شلش، دار المعارف مصر بدون تاريخ /16.

[3] شرح الجامع الصغير للسيوطي 350/5 حديث رقم 7543.

[4] لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين بن منظور، دار صادر بيروت بدون تاريخ ، مادة (شعر).

وعليه فالشعر علم من العلوم، ونوع من أنواع الكلام لا يتكلم به إلا الشعراء، لأنهم يمتلكون القدرة في التأثير على السامع بما يحمله كلامهم من أنغام.
وتتضح لنا خصائصه من خلال ما ذكره ابن رشيق في كتابه العمدة فقد كتب الخليفة العادل عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري:." مُر من قبلك بتعلم الشعر فإنه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب ". [1]

إذاً فقد أجمل عمر τ مزايا الشعر وحصرها في ثلاث نقاط هي مكارم الأخلاق، وصواب الرأي و معرفة الأنساب.

وحدث أن سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه كعب الأحبار إن كان قد ورد أي ذكر للشعر في التوراة، فأجابه بقوله:. " أجد في التوراة قوماً من ولد اسماعيل، أناجيلهم في صدورهم، ينطقون بالحكمة، ويضربون الأمثال، لا نعلمهم إلا عند العرب " [2]

أما الحطيئة فوصف الشعر بقوله :.

الشعر صعب وطويل سلمه
إذا ارتقى فيه الذي لا يفهمه
زلت به إلى الحضيض قدمه
والشعر لا يسطيعه من يظلمه
يريد أن يُعربه فيعجمه
ولم يزل من حيث يأتى يحرمه

---

(1) العمدة في صناعة الشعر ونقده: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محيا الدين مطبعة حجازي القاهرة 1943م،1/ 28.

(2) المرجع السابق 12/1.

مـــن يســـم الأعـــداء يبـــق ميســـمه [1]

وتذاكر الحطيئة وسعيد بن العاص الشعر فقال الحطيئة : . " ما أصبتم جيد الشعر، ولو أعطيتم القوس باريها بلغتم ما تريدون ، ثم أنشد :

الشـــــعر فاعلمـــــن أربعـــــة فشـــــاعر لايـــــرتجى لمنفعـــــه
وشـــاعر ينشـــد وســـط المجمعـــة وشـــاعر آخـــر لايـــُجرى معـــه

وشاعر يُقال خمر في دعة [2]

وأورد ابن رشيق أن ترجمان القرآن عبد الله بن عباس τ كان يهتم بالشعر ومولعاً به، حتى أنه طلب من الناس أن يستعينوا على فهم القرآن إذا تعذر عليهم بالشعر أو عن طريقه فقد قال τ :. " إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله، فلم تعرفوه، فأطلبوه في أشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب " [3]، وكان τ إذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعراًًَ وقال إنما الرفث عند النساء، وأحرم للصلاة0 هذا إلى أنه كان يقول الشعر أيضاً.

ومما قيل في الشعر :.

إنمـا الشـعر مـا يناسـب فـي الـنظم وإن كـــان فـــي الصـــفات فنونـــا
فـــأتى بعضـــه يشـــاكل بعضـــاً وأقامـــت لـــه الصـــدور المتونـــا

---

(1) ديوان الحطيئة: تحقيق نعمان محمد أمين مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الأولى 1987م /291.

(2) شرح شواهد المغني: جلال الدين عبد الرحمن بن عبد الله السيوطي، تحقيق محمد الشنقيطي، لجنة التراث العربي 1386هـ، 477/1.

(3) المرجع السابق11/1.

كـل معنـى أتـاك منـه علـى مـا ... تتمنـى ولـم يكـن أن يكونـا
فتنـاهى مـن البيـان إلـى أن ... كـاد حسـناً يبـين للنـاظرينا
فكـأن الألفـاظ منـه وجـوه ... والمعـاني ركـبن فيـه عيـونا
إنمـا فـي المـرام حسـب الأمـاني ... يتحلـى بحسـنه المنشـدونا
فـإذا مـا مـدحت بالشـعر حـراً ... رمـت فيـه مذاهـب المشـتهينا
فجعلـت النسـيب سـهلاً قريبـاً ... وجعلـت المـديح صـدقاً مبينـا
وتنكبـت مـا يهجـن فـي السـمع ... وإن كـان لفظـه مـوزونا
وإذا مـا عرضـته بهجـاء ... عـبت فيـه مـذاهب المرقبيـنا
وإذا مـا بكيـت فيـه علـى العـا ... ديـن يومـا للبيـن والظاعنيـنا
حلـت دون الأسـى وذللـت ماكـا ... ن مـن الـدمع فـي العيـون مصـونا
ثـم إذا كنـت عاتبـا جئـت ... بالوعـد وعيـداً وبالصـعوبة بينـا
فتركـت الـذي عتبـت عليـه ... حـذراً آمنـاً عزيـزا مهينـا
وأصـح القـريض مـا قـارب الـنظم ... وإن كـان واضـحاً مسـتبينا
فـإذا قـيل أطمـع النـاس طـراً ... وإذا ريـم أعجـز المعجزينـا[1]

كذلك قول الشاعر :.

الشـعر مـا قومـت ربـع صـدوره ... وشـددت بالتهـذيب أس متـونه
ورأيـت بالإطنـاب شـعب صـدوعه ... وفتحـت بالإيجـاز عـور عيونـه
وجمعـت بـين قريبـه وبعيـده ... وجمعـت بـين محمـه ومعينـه
وإذا مـدحت بـه جـواداً ماجـداً ... وقضـيته بالشـكر حـق ديونـه
أصـفيته بتفـتش ورضـيته ... وخصصـته بخطيـره وثمينـه
فيكـون جـزلاً فـي مسـاق صـنوفه ... ويكـون سـهلاً فـي اتفـاق فنـونه

[1] مقدمة ابن خلدون/576 (رجح ابن خلدون نسبة هذه الأبيات لابن رشيق) .

وإذا بكيت به الديار وأهلها أجريت للمحزون ماء شؤونه
وإذا أردت كتابة عن ريبة باينت بين ظهوره وبطونه
فجعلت سامعه يشوب شكوكه بثبوته وظنونه بيقينه [1]

وكان الرسول ε يستنشد الشعر ويستزيد منه، وعندما استمع للخنساء وهى تنشد في رثاء أخيها صخر قال لها هيه يا خناس، كما أنه كان يكافئ على الجيد منه. وحسب الشعراء من الفخر بردته الشريفة التي ألقاها على كعب بن زهير عندما أنشده لاميته المشهورة (بانت سعاد). [2]

وأقام ε لحسان بن ثابت منبراً في مسجده الشريف لينافح أو يدافع عن محارم الله تعالى، كما كان صلى الله عليه وسلم يُقوم بعضه ويوجه الشعراء في أحيان كثيرة كقول كعب بن زهير :.

وإن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الهند مسلول

فقال له الرسول ε : (من سيوف الله). وهو القائل: " إن من البيان لسحرا " عندما وفد عليه وفد بني تميم. وأورد ابن كثير:." قدم على رسول الله ε الزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم، وعمرو بن الأهتم فقال لعمرو بن الأهتم:. " أخبرني عن الزبرقان . فأما هذا فلست أسألك عنه " وأراه كان قد عرف قيساً . قال فقال : مطاع في أدنيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان: قد قال ما قال وهو يعلم أني

---

[1] المصدر السابق/ 576 . 577.

[2] أخرج قصة إنشاد كعب القصيدة بين يدي رسول الله ε الإمام الحاكم في المستدرك 670/3 رقم 6477 وضعف أسانيدها العراقي وغيره .

أفضل مما قال، قال فقال عمرو: والله ما علمتك إلا زير المروءة، ضيق العطن، أحمق الأب، لئيم الخال، ثم قال: يا رسول الله قد صدقت فيهما جميعاً، أرضاني فقلت بأحسن ما أعلم فيه وأسخطني فقلت أسوء ما أعلم قال فقال رسول الله ε :. " إن من البيان لسحرا ". [1]

وقوله ε :." إن من الشعر لحكمة "، عندما أصيب أحد الصحابة في معركة من المعارك بجرح وصار الدم يسيل منه بشدة، ولم يجد معه أي نوع من أنواع الضمادات، وعندها حضر الصحابي الجليل حسان بن ثابت τ وطلب كافوراً ووضعه على الجرح وسرعان ما جف الدم وسأله الرسول ε من أين لك بهذا فقال من قول الشاعر:.

فكرت ليلةَ وصلِها في هجرها فسالت مدامع مقلتي كالعَنْدَم
فطفقت أمسح مُقْلَتَيَّ بخدها إذ عادة الكافور إمساك الدم

فقال الرسول ε :. " إن من الشعر لحكمة ".[2]

وكان ε يعلم مدى تمسك العرب بالشعر فهو ديوان حياتهم، والوعاء الذي يحمل كل علومهم ومعارفهم، يفطم عليه وليدهم ويشب عليه صغيرهم، وهو لسان

---

(1) البداية والنهاية : أبو الفداء الحافظ إسماعيل بن كثير ، مكتبة المعارف بيروت 1966م 45/5 والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك 710/3 رقم 6568 وأصل الحديث في صحيحة البخاري (4749) بدون قصة .

(2) زهر الآداب : أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري / طبعة الحلبي مصر 1953م/1 والحديث أخرجه ابن ماجه في سننه بسند صحيح بدون ذكر القصة .

(3) العمدة: ابن رشيق 1/ 17.

حالهم في المحافل، وفخرهم بين المفاخر، لذا قال ε : . " لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين " [1].

كذلك وصف ابن خلدون مكانة الشعر عند العرب قبل الإسلام بقوله:. " واعلم أن فن الشعر بين الكلام كان شريفاً عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم، وشاهد صوابهم وخطئهم، وأصلاً يرجعون في أكثر علوهم وحكمهم، وكانت مَلَكَتُه مستحكمةً فيهم شأن الملكات كلها ". [2]

وإذا تدبر المرء القرآن الكريم وتدارس الآيات البينات التي وردت فيها لفظة الشعر أو الشعراء وجدها ست آيات كما يلي حسب ترتيب السور في المصحف الشريف:.

أولاً :.(بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ) (الانبياء :5) .

وقف العرب حائرين وعاجزين أمام فصاحة القرآن وبلاغته وسحر بيانه، فحاولوا أن ينعتوه بصفات شتى فمنهم من قال إنه عين السحر، ومنهم من ذهب إلى أن هذا القرآن ما هو إلا ضرب من ضروب الشعر، وبعضهم صنفه على أساس أنه أضغاث أحلام ومنهم من رأى أنه مفترى، ولكن خاب سعيهم الذي يسعون إن هو إلا كلام رب العالمين.

ثانياً:.(وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) (224) (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) (225) (وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ) (226) (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) (الشعراء 224 : 227) ، وتضمنت هذه الآية الكريمة ذماً ومدحاً للشعراء، ففي صدرها ذم الله سبحانه وتعالى الشعراء الذين يخوضون في الباطل والذين يأذون الرسول ε وصحابته الكرام رضوان الله تعالى عليهم، والذين يقولون ما

---

[2] مقدمة ابن خلدون/ 353 .

لا يفعلون وبذا حدد القرآن الكريم موقفه من هذه الفئة التي خاب سعيها في الدنيا والآخرة، وأعلن رفضه للشعر غير الملتزم بحدود الله تعالى وهدفه تقويض المجتمعات. وبنزول هذه الآيات على الرسول ε وفد إليه ثلة من أصحابه الكرام الذين جندوا ألسنتهم للذود عن محارم الله تعالى والدفاع عن نبيه الكريم كحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك، وفدوا عليه ε

وقد تقرحت مآقيهم من شدة البكاء، وتكاد قلوبهم تتفطر من شدة الخوف من غضبة الرحمن الرحيم ذي القوة المكين، فهدَّأ الرسول ε من روعهم وتلا عليهم قوله تعالى:. (**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) (الشعراء:227)** وأعقبها بقوله : أنتم، ثم تلا:(**وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً) (الشعراء:227)** ثم أردفها بقوله: أنتم، ثم تلا: (**وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا) (الشعراء: من الآية227)** ، وختم الرسول ε ما جاء في مدح هذه الفئة الطيبة على لسان الحق عز وجل بقوله أنتم، فهدأ روعهم وانبسطت أساريرهم، ونِعم البيع كان بيعهم. وهكذا وقف الإسلام موقفاً حازماً وإيجابيا في كلتا الحالتين، في حالة ذم الشعر وفي حالة مدحه.

ثالثاً:. (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ) (يّس:69) .

ويتضح لنا من معنى الآية الكريمة أن الشعر لم يكن من طبعه صلى الله عليه وسلم ولم يتأت له بل هو قرآن كريم من لدن حكيم خبير.

رابعاً: . (**وَيَقُولُونَ أَإِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ) (الصافات:36)** .

ونلاحظ الاستنكار من قبل المشركين كيف نترك عبادة آلهتنا وآلهة الآباء والأجداد لهذا الشاعر الذي وصفوه . قاتلهم الله . بالجنون.

خامساً: . (**فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ)** (29)
(أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) (30) **(قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ)** (الطور 29 : 31) .

مما ورد في صفوة البيان في تفسير هذه الآية الكريمة أن الله تعالى يأمر نبيه الكريم بتبليغ ما أمر به ونفى عنه أي صفة من الصفات الذميمة التي نعته بها المشركون . قاتلهم الله . ولينظروا لمن تكون الغلبة في النهاية.

سادساً:(وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون) (الحاقة:41).

ووصف الجاحظ الشعراء بقوله :.

وللشـــــعراء ألســـــنة حـــــداد علـــى العـــورات موفيـــة دليلـــه
ومـــن عقـــل الكـــريم إذا اتقـــاهم وداراهـــــم مـــــدارة جميلـــــه
إذا وضـــــعوا مكـــــاويهم عليـــــه وإن كـــذبوا فلـــيس لهـــن حيلـــه [1]

وهكذا نفى رب العزة والجلالة عن نبيه الكريم أي صلة له بالشعر أو تعلمه، وذهب ابن خلدون في مقدمته إلى أن القرآن الكريم مستقل تمام الاستقلال عن الشعر والنثر :. " أما القرآن، وإن كان المنثور إلا أنه خارج عن الوصفين، "وصف السجع ووصف الترسل "، وأنه لا يسمى مرسلاً مطلقاً ولا مسجعاً، بل تفصيل آيات ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها، ثم يعاد الكلام بعدها في الآية الأخرى، ويثني من غير التزام حرف يكون مسجعاً ولا قافية، وهو معنى قوله تعالى (**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ .....**) **(الزمر:23)** .

، وتسمى آخر الآيات فواصل، إذ ليست أسجاعاً، ولالتزم فيها ما يلتزم في السجع، ولا هي أيضاً قواف، واطلق اسم المثاني على آيات الله كلها على العموم، واختصت بأم القرآن للغلبة فيها كالنجم للثريا، ولهذا سميت السبع المثاني" .[2]

([1])البيان والتبين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق السندوسي، مطبعة مصر 1926م ،159/1.

[2] مقدمة ابن خلدون /192.

ومما يوضح أهمية الشعر عند الصحابة "رضوان الله عليهم " والتابعين ما يروى عن سعيد بن المسيب، فقد قيل له إن قوماً بالعراق يكرهون الشعر ظناً منهم أنه يباعد بين المرء والتقى وحسن التدين فقال لقد نسكوا نسكاً أعجمياً. وسئل ابن سيرين عن رواية الشعر في شهر رمضان وقد قال قوم إنها تنقض الوضوء ، فسكت ولم يجب بكلام ، ولكنه أجاب بعمل حيث أنشد :.

أنبئت أن فتاة جئت أخطبها عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

ثم قام فأقام الناس للصلاة . [1]

ثانياً: النثر:

والنثر هوالقسم الثاني للأدب وأورد صاحب اللسان :." النثر: نثرك الشيءَ بيدك ترمي به متفرقاً مثل نثر الجوز واللوز والسكر، وكذلك نثر الحب إذا بذر، وهو النثار ، 0000 والنثارة : ما تناثر منه ".[2]

وعرفه قدامة بن جعفر بقوله :. " واعلم أن سائر العبارة في كلام العرب إما أن يكون منظوماً وإما أن يكون منثوراً ..... والمنثور هو الكلام "، [3] وعرفه ابن خلدون بقوله :." واعلم أن لسان العرب وكلامهم على فنين: في الشعر المنظوم ..... وفي النثر وهو الكلام " [4]

---

01 المرجع السابق 11/1.

02 لسان العرب: ابن منظور ، مادة " نثر" .

03 نقد النثر: قدامة بن جعفر،المكتبة العلمية بيروت 1980م /74.

04 مقدمة ابن خلدون / 532.

هذا وينقسم النثر إلى أقسام عديدة منها :

1 . فن الخطابة:

ومن الفنون الأدبية الخطابة، فقد لعب هذا الضرب من ضروب الأدب دوراً بارزاً ومهماً قبل الإسلام وبعده، وهي :ـ" فن مخاطبة الجمهور الذي يعتمد على الإقناع والاستمالة. وهي ترقى بعاملين وتنحط بفقدهما: أولهما أن تتمتع الأمة بنصيب من الحرية في الفكر والقول، وثانيهما: أن تشعر بسوء حالتها، وتصور لنفسها صورة من الحياة أفضل مما هي عليه ثم تنهض وتتحرك لتحقيقها ".[1] وكان الخطيب هو الناطقَ الرسمي باسم القبيلة إذا وفدت عليهم وفود، أو عند إرسال وفودهم إلى الأمم المجاورة.

ومن العوامل التي ساعدت رجل الصحراء ومكنته من هذا الفن البديهةُ الحاضرةُ التي حباه الله تعالى بها، وتمكنه من نواصي البيان وأوجه الفصاحة. كل هذه العوامل مجتمعه ساعدته على ارتجال أعظم الخطب في أعظم المناسبات، وذكر الجاحظ :ـ " كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب 000 فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة وتسرعوا إلى أعراض الناس ، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر " . [2]

---

[1] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : مجدي وهبة وكامل المهندس، مكتبة لبنان بيروت 1944م / 220.

[2] البيان والتبين: الجاحظ 134/1.

وتجلى دور الخطابة وتعاظم عند مبعثه الكريم ε ، لأنها كانت الوسيلة الوحيدة المتاحة لمخاطبة كل تجمع. ولعبت دوراً فعالاً في نشر الدعوة المحمدية، وأصبحت الخطابة من أهم الركائز التي تعتمد عليها الدعوة الإسلامية في نشر الدين الإسلامي، وذلك لما للخطابة من تأثير كبير في نفوس السامعين، والدعوة للإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره.

ومن الأهداف الأساسية للخطابة الإسلامية توضيح مبادئ الدين الجديد وقيمه والحث على تطبيق شرع الله تعالى في كل منحى من مناحي الحياة، ومحور اهتمامها هو الفرد المسلم وعلاقته بأخيه المسلم. وبذا قضت على خطابة المنافرات التي كانت تستند على المآثر القبلية من حسب ونسب ومجد.

وتطورت الخطابة بشروق شمس الإسلام، لأن الإسلام حث عليها بل أصبحت ناحية تعبدية كما في صلاة الجمعة، التي اتفق المسلمون كافة على فرضية وجوبها من الكتاب والسنة، قال الله تعالى :ـ (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسَعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (الجمعة:9)** ، ومن السنة الشريفة قوله ε :ـ " من ترك ثلاث جُمع تهاوناً طبع على قلبه " [1]، فخطبة الجمعة تسبق الصلاة فهي جزء لا يتجزأ منها، أي لها من الأهمية ما لركعتي الجمعة. وصلاة العيدين سنة مؤكدة وشعيرة من شعائر الدين الحنيف.

وكان الرسول ε يقف في الناس خطيباً في مواسم الحج، وكانت خطبته يوم عرفه " يوم الحج الأكبر " في آخر حجة له التي تسمى حجة الوداع من أطول خطبه، وفيها أشهد الحاضر على الغائب، ووضع دستوراً شاملاً للحياة إذا التزم به الفرد المسلم كان فيها صلاح حياته في الدارين، لذا تعد خطبته تلك أقدم وثيقة عالمية بعد القرآن الكريم، في حقوق الإنسان تناول ε في هذه الخطبة العديد من القضايا، منها

---

[1] الأدب الإسلامي المفهوم والقضية: علي علي صبح وعبد العزيز شرف ، محمد عبد المنعم ، دار الجيل بيروت الطبعة الأولى 1992م /237 والحديث أخرجه أبو داوود في سننه 1052 والنسائي في سننه 1369 بسند صحيح .

حرمة الأموال والدماء، وحث صلى الله عليه وسلم على أهمية الأمانة، ونهى عن الربا والثأر وجميع مآثر الجاهلية والقتل، وحذر من الشيطان وغوايته، وغيرها من الأمور التي تهم المسلم في حياتيه، وتحدث ε عن حقوق المرأة بقوله :.

" أيها الناس : إن لنسائكم عليكم حقا، ولكم عليهن حق، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. إنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا "
ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد . [1]

ومن المظاهر الخارجية التي لابد أن تتوافر في كل خطيب حمل العصا أو المخصرة (وهي سنة قديمة استنها أهل الجاهلية) يقول معن بن أوس :.

ألا من مبلغ عني رسولاً عبيد الله إذ عجل الرسالا
تعاقل دوننا أبناء ثور ونحن الأكثرون حصى ومالا
إذا اجتمع القبائل جئت ردفاً وراء الماسحين لهم السبالا
فلا تعطى عصا الخطباء يوماً وقد تكفي المقادة والمقالا [2]

---

1 () البيان والتبين: الجاحظ 2 /31 والحديث أخرجه مسلم في صحيحه 2137 من حديث جابر بن عبد الله .

(2) المرجع السابق 3 /10.

وأورد الجاحظ :. " وكان الرسول ε يخطب بالقضيب وعلى ذلك الخلفاء وكبراء العرب من الخطباء " . [1]

وحكي أن عبد الملك بن مروان كان يقول :" لو ألقيت الخيزرانة من يدي لذهب شطر كلامي ". [2] كذلك من الضوابط والأطر الخارجية التي لابد أن يلتزم بها الخطيب الوقوف في مكان مرتفع أو نشز من الأرض، ولا يجوز للخطيب الجلوس إلا في خطبة الزواج ومنهم من كان يخطب على ظهر راحلته. ومن السنن المتبعة أن يلبس الخطيب زياً معيناً يميزه عن غيره، ومنهم من كان يعتم بالعِمامة. أما الخطيب المسلم فإنه يقتدي ويهتدي في خطبه بهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم ونهجه من الدعوة إلى الدين الحنيف في جميع الخطب الدينية كخطبة العيدين وخطب الجُمع. ومن خطبه ε المسلمين في بيان أهمية الجمعة:.

" ألا أيها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا، وبادروا إلى الأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية، ترزقوا وتؤجروا وتنصروا، واعلموا أن الله عز وجل قد افترض عليكم الجمعة، في مقامي هذا، في عامي هذا، في شهري هذا، إلى يوم القيامة، حياتي ومن بعد موتي، فمن تركها وله إمام، فلا جمع الله شمله، ولا بارك له في أمره . ألا ولا حج له، ألا ولا صوم له، ألا ولا صدقه له، ألا ولا بر له، ألا ولا يؤم أعرابي مهاجراً، ألا ولا يؤم فاجراً مؤمناً إلا أن يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه " . [3]

---

1 0 المرجع السابق 3 /69 وحديث أن النبي ε كان يخطب بالقضيب أخرجه أبو داود في سننه 1145 بسند حسن .

2 0 المرجع السابق 3 /445.

03 إعجاز القرآن : أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، تحقيق سيد أحمد صقر، دار المعارف مصر 1951م /110 والحديث أخرجه ابن ماجه في سننه 1081 عن جابر بسند ضعيف .

وبين الرسول ε في خطبته هذه أهمية صلاة الجمعة هذه الأهمية التي استمدتها من قوله تعالى:. **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسَعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (الجمعة:9)**

وذكر ابن قتيبة :ـ " تتبعت خطب رسول الله ε فوجدت أوائل أكثرها " الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له "، ووجدت كل خطبة مفتاحها الحمدُ إلا خطبة العيد فإن مفتاحها التكبير". [1]

وأي خطبة لا تستفتح بحمد الله تعالى تسمى البتراء أي المقطوعة، وكل خطبة لا توشح بالذكر الحكيم والصلاة والسلام على الرسول الكريم تسمى الشوهاء. وسار صحابته الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين على نهجه ε وكانوا يستمدون معانيهم ومفرداتهم وألفاظهم من القرآن الكريم، الذي هذب لغتهم وأبعد عنها كل حوشي مستهجن. كذلك من السنة القولية التي ساهمت مع القرآن الكريم في إثراء المعجم اللغوي إضافة إلى ذلك الشحنةُ الإيمانيةُ الهائلةُ التي تملأُ كيان الأديب المسلم فيتفجر ينبوع بيانه وسحر لسانه، دون تكلف أو صنعة أو سجع. ومن أمثلة هذه الخطب خطبة أبي بكر الصديق τ يوم تولى الخلافة فقال :.

" أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسددوني، أطيعوني مأطعت الله فيكم فإن، عصيته فلا طاعة لي عليكم، ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه " . [2]

---

[1] عيون الأخبار: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، مطبعة القاهرة 1963م 231/2.

[2] تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ، الطبعة الخامسة، دار العلم للملايين 1984م ،26/1.

وكان بعض الخطباء إضافة إلى الاستشهاد بالآيات القرآنية والسنة النبوية الشريفة " على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم " يستشهدون بالشعر كما ورد في خطبة أبي بكر الصديق τ التي خطبها في رهط من الأنصار فقد استشهد بأبيات لطفيل الغنوي :.

جزى الله عنا جعفراً حين أزلفت ... بنا نعلنا في الواطئين فزلت
أبوا أن يملونا ولو أن أُمَّنا ... تلاقي الذي يلقون منا لملت
هم أسكنونا في ظلال بيوتهم ... ظلال بيوت أدفأت وأظلت[1]

وللأحنف بن قيس الذي اشتهر بالحكمة ورجاحة العقل خطبة خطبها في نفر من بني تميم، تتجلى فيها براعته وحكمته يقول:- بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهل له:- " إن الكرم يمنع الحُرم، ما أقرب النقمة من أهل البغي. لا خير في لذة يعقبها ندم. لن يهلك من قصد، ولن يفتقر من زهد. رب هزل قد عاد جِدا. من أمن الزمان خانه، ومن تعظم عليه أهانه. دعوا المزاح فإنه يورث الضغائن، وخير القول ما صدقه الفعل. احتملوا من أدل عليكم، واقبلوا عذر من اعتذر إليكم، أطع أخاك وإن عصاك، وصله وإن جفاك، أنصف من نفسك قبل أن ينتصف منك. إياكم ومشاورة النساء. واعلم أن كفر النعمة لؤم، وصحبة الجاهل شؤم. ومن الكرم الوفاء بالذمم. ما أقبح القطيعة بعد الصلة، والجفاء بعد اللطف، والعداوة بعد الود، لا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان، ولا إلى البخل أسرع منك إلى البذْل؛ واعلم أن لك من دنياك ما أصلحت به مثواك، فأنفق في حق ولا تكونن خازناً لغيرك. وإذا كان الغدر في الناس موجوداً فالثقة بكل أحد عجز. اعرف الحق لمن عرفه لك، واعلم أن قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل ". [2]

---

[1] زهر الآداب: الحصري 71/1.

[2] تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ 346/1.

2 . فن القصة:

والقصة جنس من أجناس الأدب النثرية استخدمها القرآن الكريم وسيلة من وسائل الدعوة، وهذا دليل قاطع على مدى معرفة العرب في جاهليتهم هذا اللون من ألوان الفنون النثرية. فقد ساق الله تعالى العظة والعبرة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم من خلال ما سرده من قصص الأمم السابقة، ولولا القرآن الكريم لم نقف على هذه القصص، فقد ورد في القرآن الكريم قرابة خمسين قصة تناولت أخبار جميع الرسل الذين أرسلهم الله تعالى لهداية البشرية، ثم وضح موقف كل أمة من الأمم من الرسول الذي أرسل إليها،كما بين الله تعالى من خلال هذه القصص العقاب الذي حل بكل أمة من الأمم التي لم تؤمن برسولها.

أما القصص التي وردت في السنة النبوية الشريفة فقد كانت ثلاثة أضعاف ما ورد في القرآن الكريم، وذلك لأن السنة النبوية الشريفة فصلت ووضحت وشرحت ما أتى مجملاً في القرآن الكريم. فقد جند الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الضرب من ضروب الأدب (القصة) لتحمل بين ثناياها مبادئ الإسلام وقيمه، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يلتفون حوله وهو يقص عليهم أخبار الأمم السابقة منذ خلق آدم عليه السلام. وكان للأسلوب النصيب الأكبر في شد الانتباه والإصغاء. وكانت القصة النبوية الشريفة عبارة عن وعاء يحمل بداخله العظة والعبرة وشحنات هائلة من التوجيه والإرشاد، لذا يمكن القول إن كل قصه من القصص النبوية كانت عبارة عن درس من الدروس القيمة يلقيها معلم البشرية الأول ε على صحابته الذين نالوا شرف التتلمذ على يديه الكريمتين. ومن هذه القصص النبوية ما ورد في قصة جرة الذهب:

" اشترى رجل من رجل عقاراً فوجد الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك مني، إنما اشتريت منك الأرض، ولم أبتع منك الذهب، وقال الذي له الأرض إنما بعتك الأرض وما فيها. فتحاكما إلى رجل، فقال

الذي تحاكما إليه: ألكما ولد ؟ قال أحدهما: لي غلام، وقال الآخر : لي جارية، قال أنكحوا الغلام الجارية، وأَنفقوا على أنفسهما منه وتصدقا " [1]

أضف إلى ذلك أن القصة القرآنية كانت البداية ونقطة الانطلاق لهذا الضرب من ضروب الأدب، فقد خلق الله تعالى في عباده الميل إلى استخدام القصة في الأغراض الدينية، فنما بجانب القصة القرآنية قصص كثيرة استمدت مادتها من القرآن الكريم ودارت في محوره.

ونجحت القصة في المجالات التربوية المتعددة، وأدلت بدلوها في ميادين الوعظ والإرشاد.

3. فن المَقامة:

المقامة من الفنون الأدبية التي شهد القرن الرابع الهجري تاريخ ميلادها على يد بديع الزمان الهمذاني، ورجح بعض علماء الأدب أن هذا الضرب من ضروب الأدب بذر بذرته ابن دريد في أحاديثه الأربعين. والمقامة في اللغة تعني المجلس ومقامات القوم أي مجالسهم، وفي القرآن الكريم (**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً**) **(الاسراء:79)** .

، واصطلاحاُ حديث أدبي بليغ وضع في قالب قصصي، مغلف بالحيلة والخُدعة وحب المغامرة. وعرف عبد الملك مرتاض المقامة بقوله: " كل حديث أدبي (مقامة)، ثم تطور مدلول هذا اللفظ حتى أصبح مصطلحاً خاصاً يطلق على حكاية أو أقصوصة لها أبطال معينون وخصائص أدبية ثابته ".[2]

تستمد المقامة موضوعاتها من الواقع، لذا تهدف لمعالجة قضايا كثيرة يعاني منها المجتمع، كمحاربة بعض الأوبئة أو الآفات الاجتماعية، أو محاولة إعادة النظر في

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه 3213 عن أبي هريرة .

[2] فن المقامات في الأدب العربي: عبد الملك مرتاض، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1980م /12.

بعض الأمور السياسية. ويتم العلاج عن طريق جرعات من النصح والإرشاد والتوجيه في قوالب أدبية. وبطل المقامة وراويها كلاهما من نسج الخيال ومن أمثلة المقامات المقامة الصُفرية * لبديع الزمان الهمذاني ويرويها راويه عيسى بن هشام قال: " لما أردت القفول من الحج، دخل إلى فتى فقال: عندي رجل نِجار الصفر، يدعو إلى الكفر، ويرقص على الظفر، وقد أدبته الغربه، وأدتني الحسبه إليك، لأمثل حاله لديك، وقد خطب منك جارية صفراء تعجب الحاضرين، وتسر الناظرين، فإن أجبت، ينجب منها ولد يعم البقاع والأسماع، فإذا طويت هذا الربط، وثنيت هذا الخبط، يكون قد سبقك إلى بلدك، فرأيك في نشر ما في يدك. قال عيسى بن هشام فعجبت من إيراده، ولطفه في سؤاله وأجبته في مراده فأنشأ يقول:

المجد يخدع باليد السفلى ويد الكريم ورأيه الأعلى " [1]

4. فن الرسائل:

عرف العرب الكتابة في جاهليتهم وخاصة في المناطق الحضرية، وأكبر دليل على معرفة العرب للكتابة ما ورد في القرآن الكريم حيث خاطب رب العزة والجلالة عرب الجاهلية بما يعرفون، عندما أمرهم بالكتابة في بعض المعاملات كقوله تعالى:. (**يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ---**) . **(البقرة: الآية282)** كذلك فقد أقسم رب العزة والجلالة بأدوات الكتابة في مواضع عديدة، وذلك دليل آخر على معرفة العرب للكتابة كقوله تعالى:ـ (**نْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) (القلم:1)** ، كذلك قوله :ـ(**وَالطُّورِ) (الطور:1) (وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ) (الطور:2) (فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ) (الطور:3)** ، والرق مفرد جمعها رقاق وهو نوع من الجلد تتم معالجته بصورة خاصة فيصير ناعماً رقيقاً صالحاً للكتابة عليه.

---

* الصُفرية جمع أصفر ، وصار لقباً للدنانير.

[1] شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني: محمد محي الدين، دار الكتب العلمية بيروت ، بدون تاريخ/401 . 402.

وتطورت الكتابة في صدر الإسلام وكان هنالك كتَّابُ الوحي، وأرسل الرسول ε برسائله الممهورة بخاتمه الشريف إلى الملوك والحكام يدعوهم للدخول في الإسلام، وهكذا تطورت الكتابة.

وفي صدر الإسلام الثاني (عهد بني أمية) نهضت الكتابة نهضة واسعة، لذا أنشئ ما يعرف بديوان الرسائل، وتنحصر مهمته في إرسال رسائل الحاكم أو الوالي إلى عماله في الأمصار المختلفة، كذلك استلام الرسائل الواردة إليه. إضافة إلى الرسائل السياسية والوعظية والشخصية ثم تطورت وتم كتابة الرسائل الأدبية.

وأدب الرسائل من الأجناس الأدبية التي تبدأ بمطالع وتنتهي بخواتيم، تختلف باختلاف الجهة الراسلة والمرسل إليها. تتميز الرسالة بالتحميدات، وقد يستشهد فيها بالشعر، إلا إذا كانت هذه الرسالة موجهة إلى الخليفة فإنه يكره في هذه الحالة الاستشهاد بالشعر. وفي العصر الأموي كان هذا اللون من الفنون الأدبية ألصق ما يكون بأمور الدولة أي الناحية السياسية، إضافة إلى بعض الرسائل التي تناولت أموراً أخرى، كرسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكُتاب التي تعد الخطوة الأولى في الرسائل الأخوانية. ومن رسائله المشهورة تحميداته التي يقول فيها:.

" الحمد لله العلي مكانه، المنير برهانه، العزيز سلطانه، الثابتة كلماته، الشافية آياته، الذي قدر على خلقه بملكه، وعز في سماواته بعظمته، ودبر الأمور بعلمه، وقدرها بحكمه على ما يشاء من عزمه، مبتدعا لها بإنشائه إياها وقدرته عليها واستصغار عظمها 00000 لا تجري إلا على تقديره، ولا تنتهي إلا على تأجيله، ولا تقع إلا على سبق من حكمته، كل ذلك بلطفه وقدرته وتصريف وحيه، معدل لها عنه ولا سبيل لها غيره، ولا يعلم أحد بخفاياها و ميعادها إلا هو، ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين " .[1]

---

[1] تاريخ الأدب العربي : عمر فروخ 1/ 726.

كذلك من الفنون النثرية التي عرفها العرب قبل الإسلام سجع الكهان، والأمثال والحكم والوصايا والرسائل والعهود، كما أضافوا ضرباً جديداً للنثر وهو أدب التوقيعات الذي ظهر في العصر الأموي وتطور في العصر العباسي .

أدب الفطرة السوية من الآداب التي تتسم بالتميز في كل زاوية من زواياه، فنجد التميز في صوره وتشبيهاته ومعانيه، ويتجلى هذا التميز في أعلى قمة من قممه وهي المفردات والألفاظ، كذلك في كيفية طرحه للموضوعات وتناولها، لذا تنعدم الصلة بينه وبين الآداب القديمة والحديثة (وانعدام الصلة أعني به عدم التبعية). ومن هذه المميزات التي يتميز بها أدب الفطرة السوية ما يلي: .

1. النقاء والصفاء:

من أهم الخصائص والمميزات التي تميز بها أدب الفطرة السوية النقاء والصفاء, وكان المعين الثرى والينبوع الذي لا ينضب لهذا الصفاء والنقاء كلام الله سبحانه وتعالى:. (**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً**) **(الكهف:109)** .

، هذا الكلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. لذا تميز أدب الفطرة السوية على سائر الآداب الأخرى على مختلف أشكالها وألوانها؛ لأن مصدره والرافد الذي يتغذى منه هو القرآن الكريم. ومن صور هذا النقاء والصفاء الذي يتمتع به أدب الفطرة السوية قول الشاعر عبد الله بن رواحة:.

إنـــي تفرســـت فيـــك الخيَـــر أعرفـــه ... والله يعلم أنْ ما خاننني البصر
أنـــت النبـــي ومـــن يُحـــرَم شـــفاعتُه ... يـوم الحسـاب فقد أزرى بـه القدر
فثبـــت الله مـــا آتـــاك مـــن حســـن ... تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا [1]

[1] الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، طبعة حيدر آباد 1318هـ 3 / 900، والعمدة : ابن رشيق 184/1.

2. الالتزام :

ومن أهم هذه المزايا قضية الالتزام ، والالتزام في اللغة يفيد معنى المصاحبة التي من سماتها الثبات على الشيء واعتناقه وعدم التحول إلى ما سواه أو إلى ما دونه. والالتزام شيء فطري في الإنسان وجزء من مكونات طبعه. ومن يخالف هذا الوضع الطبيعي يكون قد شذ عن طبعه وفطرته التي فُطر عليها، لذا فالشخص الملتزم هو الذي يتخذ موقفاً معيناً ويثبت عليه مع الاستعداد التام لتحمل مسؤولية كل النتائج والتبعات التي قد تترتب عن هذا الموقف قال تعالى:ـ(**وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) (39)(وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى) (40) (ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى) (النجم39 : 41)** وكذلك قوله تعالى:. (**(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) (المدثر:38)** .

وعندما نطلق مصطلح الالتزام على أدب الفطرة السوية يعني الانقياد التام لله سبحانه وتعالى، والإيمان بملائكته وكتبه التي أنزلها على جميع رسله دون تمييز بين رسول وآخر بل عليه أن يؤمن بجميع الرسل " على نبينا وعليهم الصلاة والسلام أجمعين "، واليوم الآخر والقدر خيره وشره، فإذا وعى قلب الأديب المسلم كل هذه الأسس والأوامر الإلهية وعمل بها وسخر ما حباه الله تعالى به من مواهب بلاغية في خدمة الدين الحنيف والذود عنه ونشر مبادئه من خلال توظيف كل جماليات اللغة والأدب، والابتعاد الكامل عن كل ما قد يمس العقيدة الإسلامية كتزيين الباطل أو الهُزوء والسخرية بأي حد من حدود الله تعالى، كذلك الحرص كل الحرص على القيم والمثل التي آمن بها وسادت في مجتمعه وهي بلا شك منبتها ومنشؤها كلام الله تعالى، ففي هذه الحالة يكون الأديب المسلم قد عمل وفق المنهج الفطري الذي فطره الله تعالى عليه.

وهذا الالتزام لا يقف حجر عثرة أمام إبداعات الأديب المسلم الملتزم، ولا يحول بينه وبين ما يصبو إليه من أهداف وما يريد تحقيقه من ميول ورغبات، كما

أنه لا يحْجر على مشاعر الأديب المسلم ولا يكبت عواطفه في حالة الفرح أو الحزن. والالتزام الأدبي كما عرفه الدكتور بدوي طبانه:ـ " أن يتقيد الأدباء وأرباب الفنون بمبادئ خاصة وأفكار معينة، يلتزمون بالتعبير عنها والدعوة إليها، ويقربونها إلى عقول جماهير الناس، ويحببونها إلى قلوبهم " . [1]

ويعرض سيد قطب رأيه في الموضوع نفسه قائلاً:. " لست أعني التوجيه الإجباري على نحو ما يفرضه أصحاب مذهب التفسير المادي للتاريخ، إنما أعني أن تكيف النفس البشرية بالتصور الإسلامي للحياة، وهو وحده سيلهمها صوراً من الفنون غير التي يلهمها إياه التصور المادي، أو أي تصور آخر؛ لآن التعبير الفني لا يخرج عن كونه تعبيراًً عن النفس كتعبيرها بالصلاة أو السلوك في واقع الحياة " . [2]

ومن أمثلة تجسيد الالتزام ما نظمه حسان بن ثابت عندما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد الشريف فقال: يا رسول الله إئذن لي أن أقول، فإني لا أقول إلا حقاً، فقال له قل: فأنشأ يقول:

شـــــهدت بـــــإذن الله أن محمـــــداً رسول الذي فوق السماوات من عل

فقال النبي ε وأنا أشهد 0 فقال حسان :

وإن أبـــا يحيـــى ويحيـــى كليهمـــا لـه عملٌ في دينـه متقبل

فقال النبي ε وأنا أشهد 0 فقال حسان :

وإن الـذي عـادى اليهـود ابـن مـريم رسول أتى من عند ذي العرش مرسل

فقال النبي ε وأنا أشهد 0 فقال حسان :

---

[1] قضايا النقد الأدبي: بدوي طبانه المطبعة الفنية الحديثة بالقاهرة دون تاريخ/50.

[2] النقد الأدبي أصوله ومناهجه : سيد قطب /55.

وإن أخـــا الأحقـــاف إذ يعذلونـــه يجاهـــد فـــي ذات الإلـــه ويعـــدل

فقال النبي ε وأنا أشهد فقال حسان :

وإن التـــي بـــالجزع مـــن بطـــن نخلـــة ومـــن دانهـــا فـــل عـــن الحـــق معـــزل[1]

فقال النبي ε وأنا أشهد .

ومن صور الالتزام أيضاً قول ذباب السعدي:-

تـــبعت رســـول الله إذ جـــاءَ بالهـــدى وخَلفـــتُ (فرَّاضـــاً) بـــدار هـــوان
شَـــددتُ عليـــه شـــدَّة فتركتـــه كَـــأنْ لـــم يكـــن والدهـــر ذو حَدَثـــان
فأصـبحتُ للإسـلام مـا عشـت ناصـراً وألقيـــتُ فيهـــا كلكـــلِي وجِرَانـــي
فمـــن مُبْـــلغٌ ســـعد العشـــيرةِ أننـــي شَـرَيْتُ الـذي يبـقى بـآخرَ فـانِ[2]

وكذلك من صور الالتزام قول مازن بن الغضوية :-

كسَّـــرتُ(بَـــاجرَ) أَجـــذاذاً وكـــان لنـــا ربـــا نطيـــف بـــه ضـــلا بتضـــلال
فالهاشـــميُّ هدانـــا مـــن ضلالتنـــا ولـــم يكـــن دِينـــهُ منـــّي علـــى بـــال
يـــا راكبـــاً بَلغـــنْ عَمْـــراً وإخْوَتَهَـــا إنـــي لِمَـنْ قـال:ربي(بَـاجرٌ) قـالِ [3]

ومن المبادئ التي التزم بها أبو تمام تركه للدنيا وما فيها من نعيم زائل وإقباله على الحياة الدائمة وما فيها من نعيم دائم :.

---

[1] محاضـرة الأبـرار ومسـامرة الأخيـار: محـي الـدين بـن عربـي، دار صـادر بيـروت 1960 م، 1/ 1/.41، وديوان حسان بن ثابت: طبعة دار صادر بيروت 1966م/305.

[2] الطبقات الكبرى: محمد بن سعد، دار صادر بيروت 1957م،1 /343.

[3] البداية والنهاية: ابن كثير،2 /337.

ألـم يـأن تركـي لا علـيَّ ولا ليـا ... وعزمـي علـى مـا فيـه إصـلاح حاليا
وقد نـال منـي الشيب وابيض مَفْرِقـي ... وغالـت سـوادي شـبهة فـي قـذاليا
وحالـتْ بِـيَ الحـالاتُ عمـا عهدتها ... بِكَـرِّ الليـالي والليـالي كماهيـا
أصـوّت بالدنيـا وليسـت تجيبنـي ... أحـاول أن أبقـي وكيـف بقائيـا
ومـا تبـرحُ الأيـام تحـذفُ مـدتي ... بِعَـدِّ حسـابٍ لا كَعَـدِّ حسـابيا
لتمحـوَ آثـاري وتُخْلِـق حـدتَّي ... وتُخْلِـيَ مـن ربعـي بُكْـرهٍ مكانيـا [1]

ومن الشعراء من بين فلسفته في هذه الحياة و عبر عن التزامه بزهده في الدنيا التي شبهها بالزوجة السيئة :.

طلـــق الدنيـــا ثلاثـــاً ... والـــتمس زوجـــاً ســـواها
إنهـــا زوجـــة ســـوء ... لا تبـــالي مـــن أتـــاها
تُـــب إلـــى ربـــك منهـــا ... واحتـــرس قبـــل أذاهـــا
وانـــه الـــنفس عـــن الـــ ... ـــغي وجنـــبها هواهـــا
فبهـــذا تدخـــل الـــ ... جنـــة فاحـــذر وتناهـــا [2]

والإسلام يفتح الباب على مصراعيه أمام إبداعات المبدعين من الأدباء في شتى ضروب الأدب، كذلك يترك لهم المجال واسعاً ليعبر كل منهم عن مشاعره وأحاسيسه ويترجم بصدق ودقة ما يدور بداخله، فينطلق بخياله الطموح محلقاً في الآفاق الرحبة، ويتربع الأديب المسلم على قمة هذا الالتزام عندما يعمل علي إبراز كل هذه التعاليم الإسلامية، وذلك بالعمل على نشر هذه القيم والمبادئ السامية ثم العمل على ترسيخها وتثبيت أوتادها في المجتمع.

---

[1] ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: تحقيق محمد عبده عزام ، الطبعة الثالثة دار المعارف مصر 1957 م 4 /600.

[2] محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار: ابن العربي، 150/1.

لذا نجد أن الالتزام الذي اتصف به أدب الفطرة السوية قد انطبع بطابع الروح الإسلامية، فكان الناتج ناتجاً طيباً في قالب جديد ولون جديد استطاع أن يشق طريقه بين دروب الأدب ومسالكه الوعرة بكل بقوة وثبات بعد بزوغ فجر الإسلام ، لذلك كان الاستثناء والتكريم من المولى عز وجل لتلك الألسنة المسلمة العفيفة والشاعرية الملتزمة بتعاليم الدين الحنيف وسنة نبيه الكريم محمد ε ، وبسبب صلة هذا الأدب بكلام الله تعالى:. (**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ---------- إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**) **(الشعراء 224 :227)** ، فقد بينت الآية الكريمة صفات هذه الثلة الطيبة من الشعراء الذين التزموا بالمبادئ التي أمر الله تعالى بها وهي:

1- الإيمان: وتمام هذا الإيمان وكماله لا يكون إلا إذا رسخ في القلب وصدقته الجوارح (قلباً وقالباً) أي الإيمان بالله رباً وبمحمد ε نبياً ورسولاً، كذلك الإيمان بكل الأنبياء والمرسلين وما أنزل عليهم من صحف وكتب سماوية وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

2- العمل الصالح: وهو أن يقرَّ هذا الإيمان في قلب الأديب مع تصديق جوارحه له وعمله به وذلك ليصبح في زمرة الطيبين الذين يعملون بالمعروف وينهون عن المنكر.

3- الحرص على ذكر الله تعالى في كل وقت وحين. وهذه الفئة الطيبة من الأدباء الملتزمين بما يدعو إليه الدين الإسلامي الحنيف، تواظب كل المواظبة وتحرص كل الحرص على كل الأسباب التي تقود إلى طمأنينة النفس وراحة البال، اللذين لا يتحققان إلا بذكر الله تعالى في السر والعلانية وفي كل خلجة من خلجات نفوسهم يقيناً منهم أن الله تعالى يَرى ولا يُرى.

4- ثم جندت هذه الفئة نفسها للدفاع عن محارم الله تعالى والذود عنها، كذلك الدفاع عن نبيه الكريم ε .

3. وضوح المعنى:

ومن خصائص أدب الفطرة السوية وضوح المعنى، لأن الشعراء استمدوا مادتهم الشعرية وتجربتهم الشعورية من معتقداتهم أياًَ كانت. أماالأديب المسلم فقد استند إلى ما ورد في القرآن الكريم من مفردات وألفاظ، وتفيأ تحت ظلال معاني الآيات الكريمة، وصاغ منها صوره الشعرية ومفرداته اللغوية كقول أبي الدرداء:.

يريـــد المـــرء أن يُعطـــى منـــاه ويـــــــأبي الله إلا مـــــــا أرادا
يقـــول المـــرء : فائـــدتي ومـــالي وتقـوى الله أفضـل مـا اسـتفادا [1]

واتكأ عمار بن ياسر على المفردات والألفاظ التي وردت في القرآن الكريم عندما قاتل . وهو ابن الثمانين . بهمة الشباب في موقعة صفين بجانب الإمام علي τ :.

صـــدق الله وهـــو للصـــدق أهـــل وتعـــالى ربـــي وكـــان جلـــيلا
رب عجـــل شـــهادة لـــي بقتـــلي فـــي الـــذي قـــد أحـــب قـــتلاً جمـــيلا
مقـــبلاً غيـــر مـــدبر إن للقتـــ ـــل علـــى كـــل ميتـــة تفضـــيلا
إنهـم عنـد ربهـم فـي جنـان يشـــربون الرحيـــق والسلســـبيلا
مـــن شـــراب الأبـــرار خالطـــه المســـ ـــك وكأســـاً مزاجهـــا زنجبـــيلا [2]

---

[1] الاستيعاب: ابن عبد البر4/61.

[2] شعر الدعوة الإسلامية: جمع وتحقيق عبد الله الحامد الحامد، منشورات دارالثقافة الرياض الطبعة الثانية 1985م /174.

وكان الرافد الثاني لهم ما ورد في السنة النبوية الشريفة من معاني ومفردات، أثْرت اللغة العربية وفصلت ما أجمله الحق عز وجل، وشرحت ما استعصى عليهم فهمه، لذا وجد الشعر الإسلامي في صدر الإسلام كل القبول والرضى من جمهور المتلقين نظراً للوعاء الذي حمله؛ أي اللغة، إضافة إلى قوة السبك وصدق التجربة الشعورية ودفء العاطفة.

والأديب المسلم يضع نصب عينيه مراقبة الله تعالى، لذا يعمل جاهداً كي يبتعد عن كل ما يشينه؛ لأن وراء كل عمل من الأعمال التي يؤديها، أو ريبة يقوم بها تبعات، ولابد أن يحقق الإيجابيات ويبتعد عن السلبيات، فاتسم أدب الفطرة السوية بالغاية التي لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق أهداف واضحة، لذا فعمل الأديب المسلم مرهوناً بالغاية الجادة التي يحققها الهدف.

4. وحدة الشكل والمضمون:

ومن خصائص الأدب الإسلامي وحدة الشكل والمضمون، والشكل هو الصياغة من الناحية اللغوية والموسيقا الخارجية للشعر، ووحدته تعني الأطر التي تحده، أما المضمون فيعني الحرص على المضمون الإسلامي، فلابد من وجود التناسق بين المفردات والجمل التي تدور في فلك موضوع النص كقول كعب بن زهير:.

من يفعل الحسناتِ اللهُ يشكرها والشر بالشر عند الله سِيَّان
وإنما قوة الإنسان ما عمرت عارية كارتداد الثوب للعاني
إن يسلم المرء من قتل ومن مرض في لذة العيش أبلاه الجديدان
فإنما هذه الدنيا وزينتها كالزاد لابد . يوماً . أنه فان [1]

[1] ديوان كعب بن مالك الأنصاري: تحقيق مجيد طراد، دار صادر بيروت الطبعة الأولى 1997م /108.109.

فالمفردات والألفاظ عبارة عن الأوعية التي تحمل بداخلها المعاني لذا لا يعقل أن يكون هنالك لفظ بدون معنى، وإن تفاوتت أو تباينت مقدرة أو إمكانية الألفاظ في توصيل المعاني، وقد أورد الجاحظ ما ورد على لسان بشر بن المعتمر الذي وضح من خلاله أهمية العلاقة والرابط الوثيق بين المعاني والألفاظ في قوله:. " ومن أراد معنى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً فإن من حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما أن نصونهما عما يفسدهما ويهجنهما وعما تعود من أجله أسوأ حالاً منك قبل أن تلتمس لإظهارها وترهن نفسك ملابستها وقضاء حقهما " . [1]

ومن أهم سمات الأدب الإسلامي الإيجابية ، وهي تعني التطور والسعي لتحقيق كل ما هو أفضل وأحسن و نبذ كل ما له صلة بالسلبيات.

أما فيما يختص بالآفاق التي يحلق فيها الأديب المسلم فنجدها واسعة رحبة، والسبب يعود إلى أن الإسلام بوصفه تشريعاً سماوياً أمر المسلم أن يتفكر ويتدبر في ملكوت الله تعالى، بل جعل هذا التفكر والتأمل جزءاًً من العبادة ،فهذا الملكوت الواسع بما فيه من سماء وأرض وما أوجد الله تعالى فيه من كائنات حية وكل ما سخره فيه لمنفعة الإنسان كل هذه المجالات هي مجالات الأديب المسلم:.(**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**) **(البقرة:164)** .

والمجال بالنسبة للأديب المسلم مترامي الأطراف لا ينتهي عند الحياة الدنيا، التي هي جسر ومعبر لحياة أخرى أبقى وأحسن من هذه الحياة الفانية، وتلك هي الحياة

---

[1] البيان والتبين : الجاحظ 135/1.

الخالدة الباقية، فهذه الحياة الثانية تدخل ضمن المجالات التي يحلق فيها الأديب المسلم مصوراً ما أعده الله تعالى من نعيم لا يفنى ولا يزول للمتقين من

عباده، فكل هذه المعطيات التي وهبها الله تعالى للطبيعة وأوجدها من أجل منفعة الإنسان بل أمره أن يستمتع بها في حدود ما هو مباح. كما يجب عليه أن يحسن ويجيد التصور لهذا الكون الذي خلقه الله تعالى وأحسن صنعه. وعندما يدرك الشاعر المسلم هذه النعم عليه أن يعبر بلسان حال المسلم الذي ملكت عقيدته كل حواسه. فصار لا يرى إلا من خلال الرؤيا الإسلامية، عندئذ عليه أن يصول ويجول بأدبه محلقاً في سماوات الكلمة الطيبة، والمعنى السامي، والصور الجميلة دون رقيب أو حسيب غير الشعور بمراقبة الله سبحانه وتعالى الذي لا تخفى عليه خافية.

فهذا الكون الفسيح بما فيه من بحار وأنهار، وطبيعة خلابة بما فيها من أشجار وجبال وكائنات حية وجمادات، كل هذه المعطيات التي أوجدها الله تعالى في الطبيعة وسخرها لمنفعة الإنسان تكون طوع بنانه، وعندئذ يستطيع أن يصور ما يشاء بقلمه، ويلونه بأحاسيسه ، فيسحر المتلقي والسامع بسحر بيانه ويخرج لوحة فنية رائعة منسجمة الألوان، متناسقة الأبعاد تسحر الناظرين كقول الشاعر أحمد محرم في إلياذته الإسلامية:.

أقبلت في بيض الثياب مباركا يزجي البشائر وجهك المتهلل

إلى أن يقول :.

ما للديار تهزها نشواتها أهي الأناشيد الحسان ترتل
رفت نضارتها وطاب أريجها وترددت أنفاسها تتسلسل
فكأنما في كل مغنى روضةٌ وكأنما في كل دار بلبل
هن العذارى المؤمنات أقمنه عيدا تحييه الملائك من عل
في موكب لله أشرق نوره فيه وقام جلاله يتمثل [1]

[1] دراسات في الشعر العربي المعاصر: شوقي ضيف/ 49.

5. الاعتزاز بالنفس:

ومن الخصائص والمميزات التي يغرسها أدب الفطرة السوية في الأديب السوي الاعتزاز بالنفس، وقد فطن حاتم الطائي بفطرته السوية لهذه الميزة في قوله :.

فنفســـك أكرمهـــا فإنـــك إن تهـــن عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما [1]

والمسلم يستمد هذه العزة من عقيدته، وقيمه التي كرم الله تعالى بها الإنسان قال تعالى:. (**الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً**) **(النساء:139)** .

، كذلك قوله تعالى:. (**يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ**) **(المنافقون:8)** .

، وتناول كعب بن مالك رضي الله عنه هذا المعنى يوم خيبر فقال:.

يـرى القتـل مـدحاً إن أصـاب شـهادة مـــن الله يرجوهـــا وفـــوزاَ بأحمـــد

يـذود ويحمـي عـن ذمـار محمـد ويـــدفع عنـــه باللســـان واليـــد[2]

كذلك قول حسان بن ثابت :.

أولئـك قـومي سـادة مـن فـروعهم ومـن كـل قـوم سـادة وفـروع [3]

---

[1] ديوان حاتم الطائي: شرح وتقديم أحمد رشاد، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 1986م /44.

[2] الزينة في الكلمات الإسلامية العربية: أبو حاتم بن حمدان الرازي ، تحقيق حسين بن فيض الله الهاني، القاهرة 1957م1/ 95.

[3] ديوان حسان بن ثابت /259.

ولا يخفى على أحد صلاحية الدين الإسلامي لكل زمان ومكان أي التجديد الذي يكون نقيضه الجمود ، وتكمن هنا حقيقة هامة وهي مسايرة الإسلام لتحديات العصر المختلفة ومواكبته للمتغيرات والمستجدات التي تطرأ بين حين وآخر، لذا تجد أي قضية من قضايا العصر ما يناسبها ويلائمها من حلول. وهذا التحدي لا يمكن مواجهته إلا بالتسلح بسلاح العلم والمعرفة لذا نجد دعوة الحق عز وجل الدائمة للتعلم والحث على طلب العلم:ـ (**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً**) **(طه:114)**

، وورد في تفسير الجلالين لهذه الآية : علماً أي القرآن فكلما أنزل عليه شيء منه زاده به علمه. ولا يفوتنا أن القرآن هو أصل العلوم وكنز المعارف، والعلم به يعني الإلمام بكل العلوم، لأنه الكتاب الزاخر الحاوي لكل العلوم والمعارف.

وكانت أول كلمة تلقاها معلم البشرية الأول محمد ε من الروح الأمين هي: (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**) **(العلق:1)** ، و لا يقف الحد عند الحث على العلم بل رفع الله تعالى من شأن العلماء في قوله تعالى:ـ (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**) **(المجادلة:11)** ، كذلك ميز الله تعالى وفَضَل أهل العلم على غيرهم في قوله:ـ (**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**) **(الزمر:9)** .

والنصوص القرآنية التي وردت في أهمية العلم وفضل أهله كثيرة، وهذا أكبر دليل على اهتمام القرآن بالإنسان، لأن تطور الإنسان وازدهاره لا يتم إلا من خلال تطور العلم الذي من أهم مميزاته التجدد والارتقاء ومن ثم تنعكس كل هذه الإيجابيات على حياة الفرد. واستمد أدب الفطرة السوية هذه المزايا والصفات من الدين الإسلامي الذي أعطاه شرف الانتماء والانتساب إليه، فأصبح أدباً متطوراً متجدداً يستجيب لحاجيات العصر ومستجداته ويحافظ على ملامحه الدقيقة بين كل المدارس الأدبية أو المذاهب الأدبية، فكُتبت له الديمومة والاستمرارية والقدرة على مواجهة التحديات وتمكن من الوقوف بقوة وصلابة أمام الأعاصير التي تحاول أن تقتلعه من جذوره وتمحو آثاره.

6. واقعية أدب الفطرة السوية :

ومن خصائص أدب الفطرة السوية الواقعية، التي تعني من المنظور الإسلامي الصدق والأمانة في نقل ما هو كائن وواقع من مشاعر وأحاسيس، أو التعبير عن شيء محسوس وملموس دون تشويه لملامحه. والواقعية الإسلامية هي التي تتناول واقع الإنسان الفسيح الرحب إضافة إلى البيئة التي يعيش فيها الفرد، أي علاقته بالجماعة التي يتعامل معه.

وعندما تجسد لنا الواقعية الإسلامية ما في حياة الفرد من عيوب أو نواقص تجسدها على أساس أنها نوع من الشرور لا على أساس أنها واقع لا يمكن التخلص منه، والإنسان المسلم بإمكانه ومقدوره أن يغير سلبياته ويطورها إلى إيجابيات، وذلك لأن أدب الفطرة السوية أدب موجه مهمته الأساسية تغيير الواقع بل تطويره إلى ما هو أفضل وأحسن، وهذه هي عين الحكمة التي يسعى من أجلها الإسلام ليغير حياة الفرد من ظلمات الجاهلية بكل ما فيها من تعصب ونزاعات وحروب قبلية، إلى حياة التكافل والمودة والرحمة. إذاً فهي تختلف عن الواقعية التي نجدها في النظريات الأدبية الأخرى التي تعمل على تضيق الخناق على الأديب وتحد من حركته.

هذه الواقعية التي ينطلق منها الأديب المسلم ترتكز على دعامتين اثنتين هما العقل والعاطفة، ولابد من التوازن بينهما إذ لا يمكن أن تستغني دعامة عن الأخرى ومثال ذلك قول العباس بن مرداس:.

رأيتك يا خير البرية كُلِها نشرت كتاباً جاء بالحق مُعلما
ونورت بالبرهان أمراً مُدمسا وأطفأت بالبرهان ناراً مُضرما
فمن مبلغ عني النبي محمدا وكل امريء يُجزى بما قد تكلما
تعالى عُلواً فوق عرش إلهنا وكان مكان الله أعلى وأعظما[1]

ولقد أشاد القرآن الكريم بالعقل وفضل به الإنسان على سائر مخلوقاته، وأوكل إليه كل ما يخص أمر العقيدة، ودعا إلى التفكر والتدبر كقوله تعالى:ـ **(اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (12) (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الجاثية12 : 13)** ، كذلك قوله جل شأنه : . **(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (البقرة:164)** ، لذا نجد أن الإسلام قد حرر العقل من كافة القيود التي تحد حركته أو تقيدها ، أو تكون حاجزاً أو حائلاً بينه وبين التفكير السليم؛ لذا جاءت دعوة الإسلام ملحة للتفكر والتدبر في ملكوت

01 الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني طبعة دار الكتب المصرية القاهرة 1963م 9 /288. 289.

السماوات والأرض. وكذلك السنة النبوية الشريفة " على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم "، ويشير إلى هذا المعنى محمد الندوي في كتابه الأدب الإسلامي وصلته بالحياة:. [1] " وذلك لأن الإسلام ليس ديناً بالمعنى الذي راج وعم في الديانات الأخرى في العالم حيث لا يتسع الدين في نظرها اتساع الحياة ".

7. عالمية أدب الفطرة السوية :

أدب الفطرة السوية أدب عالمي وهذه الخاصية نابعة من صميم عالمية الدعوة المحمدية . على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم . التي تتجلى في قوله تعالى:. (**(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) (سبأ:28)** وكذلك قوله تعالى :.(**(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (الأعراف:158)** والآيات التي تشير إلى عالمية الدعوة المحمدية كثيرة لا يتسع المجال لذكرها، وكلها تبين أن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله تعالى للناس جميعاً. ولم تنحصر بعثته صلى الله عليه وسلم إلى أمة دون أخرى، كما نجد في بقية الشرائع السماوية، بل كانت للناس قاطبة. فنوح عليه السلام كانت رسالته خاصة بقومه، قال الله تعالى: . (**(إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (نوح:1) (قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) (نوح:2)** وإلى عاد أرسل هود عليه السلام :. (**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ) (لأعراف:65)** كما أرسل الله تعالى شعيباً عليه السلام لمدين:. (**(وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ -----) (لأعراف:85)**

---

[1] الأدب الإسلامي وصلته بالحياة : محمد الرابع الحسني الندوي الناشر مكتب الندوة العالمية للأدب الإسلامي الهند الطبعة الرابعة 1984م/30.

أما قوم ثمود فكان رسولهم صالحاً U الذي أمرهم بعبادة الله سبحانه وتعالى :ـ (**(وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ .....) (الأعراف:73)** ، وكذلك رسالة موسى كانت تحمل طابع الخصوصية، أي لقومه:ـ (**(وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (9) (إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً) (10) (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى) (11) * (إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً) (طـه:12) (وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى) (13) (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي) (طـه9 : 14)** ورسالة عيسى U أيضاً كانت خاصة بقومه، قال تعالى : . (**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) (116) (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (المائدة116 : 117)** .

وأدب الفطرة السوية يستمد وجوده من الإسلام، ويستمد صفة العالمية من عالمية الدين الإسلامي، وأشار العقاد إلى عالمية الدين الإسلامي بقوله:ـ" إن ديناً من الأديان الأخرى لم يكسب أمة ذات كتب عريقة في الحضارة، وإنما كانت الأديان مقصورة على العصبية القومية، أو على تحويل الوثنيين الذين درجوا على عبادة الأوثان وما يشبه الأصنام من رموز القوى الطبيعة. فالموسوية قد قصرت دعوتها على العبريين أو اليهود ،والبرهمية ظلت ديانة قومية عنصرية حتى خرجت منها النحلة البوذية ،أما الإسلام فقد حول إليه على خلاف ذلك أعرق الأمم في الحضارة وفي الإيمان بالعقيدة الكتابية، فأسلمت فارس وأسلمت مصر وهما على التحقيق أعرق أمم العالم يومئذ في تاريخ الحضارة، أولاهما كانت تؤمن بالله وباليوم الآخر والحساب والعقاب وغلبة الخير على الشر وخلود الروح وثانيهما كانت تدين بالمسيحية وتحمل لواءها في العالم القديم. إلى أن يقول: هذه المزية ينفرد بها الإسلام بين جميع

الديانات وهي آية العالمية والصلاح لدعوة الأمم جمعاء، سواء منها الأمم المعرقة في الحضارة والدين أو الأمم التي لم تبلغ بعد الارتقاء في التحضر والاعتقاد " .[1] وتناول الشاعر محمد إقبال هذا المعنى بقوله:.

الصين لنا والهند لنا ... والعرب لنا والكل لنا
أضحى الإسلام لنا دينا ... وجميع الكون لنا وطنا
توحيد الله لنا نور ... أعددنا الروح له سكنا
الكون يزول ولا تمحى ... في الدهر صحائف سؤددنا
بنيت في الأرض معابدنا ... والبيت الأول كعبتنا
هو أول بيت نحفظه ... بحياة الروح ويحفظنا

***

في ظل السيف تربينا ... وبنينا العز لدولتنا
علم الإسلام على الأيام ... شعار المجد لملتنا
بهلال النصر يضيء لنا ... ويمثل خنجر سطوتنا
وأذان المسلم كان له ... في الغرب صدى من همتنا

***

قولوا لسماء الكون لقد ... طاولنا النجم برفعتنا
يا دهر لقد جربت على ... نيران الشدة عزمتنا
طوفان الباطل لم يغرق ... في الخوف سفينة قوتنا

***

يا ظل حدائق أندلس ... أنسيت مغاني عشرتنا ؟!
وعلى أغصانك أطيار ... صدحت بطلائع نشأتنا
يا دجلة سجلت على ... شطيك مآثر عزتنا

---

[1] موسوعة العقاد الإسلامية: عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي بيروت بدون تاريخ 4/ 335.

أمواجـــك تـــروي للـــدنيا وتعيـــد جواهـــر ســـيرتنا
يـــا أرض النـــور مـــن الحـــر مـــين ويـــا مـــيلاد شـــريعتنا
روض الإســـــلام ودوحتـــــه فـــي أرضـــك رواهـــا دمنـــا
ومحمـــد كـــان أميـــر الركـــب يقـــود الفـــوز لنصـــرتنا
إن اســـم محمـــد الهـــادي روح الآمـــــال لنهضـــــتنا

***

دوت أنشـــــــودة إقبـــــال جرســـا بحـــدو فيـــه الزمنـــا
ليعيـــد قوافلنـــا الأولـــى فـــي المجـــد ويبعـــث أمتنـــا [1]

إذاً معجزة القرآن الكريم معجزة عامة لا تحدها حدود زمانية أو مكانية شملت الإنس والجن إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، وأدب الفطرة السوية يستمد وجوده وكيانه من الدين الحنيف، وهو يقوم على خدمة الدين بغرس مبادئه وتعاليمه السمحة.

كذلك حظي الأدب الإسلامي بالطابع العالمي من اللغة العربية التي شرفها الله تعالى وجعلها لغة القرآن، هذه اللغة التي ولدت في جزيرة العرب وترعرعت بين شعابها، وبنزول الوحي الكريم على الصادق الأمين أصبح لها شأن آخر، فتحررت من أسرها وحلت عُقالها فانطلقت اللغة البدوية بنت الصحراء إلى العالم لتنشر القيم السماوية السامية التي انتشلت الإنسان من حالة الضياع التي كان يعيش فيها إلى بر اليقين، ومن ظلمات الجهل إلى نور الحق، فقد كانت الوعاء الذي اختاره الله تعالى لحفظ كلامه وحفظها الله تعالى من أجل هذه الغاية السامية والغرض النبيل قال تعالى :(**(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر:9)** .

---

[1] من قضايا الأدب الإسلامي: آدم صالح بيلو، دار المنارة للنشر جدة الطبعة الأولى 1985م /112.

واقتضت الحكمة الإلهية أن تكون معجزة خاتم الأنبياء والمرسلين معجزة عقلية أي تخاطب العقل الذي ميز الله تعالى به الإنسان وفضله به على سائر مخلوقاته بل جعل التدبر والتفكر في آياته تعالى جزءاً لا يتجزأ من العبادة، بينما نجد معجزة من سبقه من الأنبياء معجزة حسية أي مادية ملموسة أو محسوسةكعصا موسى υ التي تلقفت ما صنعه سحرة فرعون، فقوم موسى كانوا أهل علم ودراية بالسحر لذا كانت معجزته من جنس علمهم. وبرع قوم عيسى في الطب لذا كانت معجزته إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى. ونار إبراهيم عليه السلام وغيرها من المعجزات التي أيد الله تعالى بها من اصطفى من أنبيائه ورسله . على نبينا وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم .. روى البخاري عن الرسول ε أنه قال:. " ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر . وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي: فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً " . [1]

وجاءت معجزة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عقلية حتى يتم لها الخلود الأبدي والبقاء. وكانت أيضاً من جنس ما تميز به العرب من الفصاحة والبلاغة والبيان. وأينما حلت بنت الصحراء حلت معها العلوم والمعارف التي يزخر بها القرآن الكريم، لأنه الكتاب الجامع الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكذلك كانت سبباً من أسباب الحضارة والتقدم، ومن الثوابت أن تحدي القرآن الكريم لم يكن خاصاً بمدة زمنية محددة ولا بمكان دون الأمكنة ولا بأمة دون الأمم الأخرى.

[1] الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن بن عبد الله السيوطي، القاهرة بدون تاريخ، 116/2.

8. إنسانية أدب الفطرة السوية:

أدب الفطرة السوية أدب إنساني لأنه يستمد هذه الخصيصة من طبيعة مرجعيته الإسلامية ،والإسلام موجه لكل بني البشر دون تمييز للون أو عرق، لأنه دين الفطرة السليمة، فالناس في الإسلام سواسية كأسنان المشط، وإنسانيته تعني الرحمة وهي من صميم مبادىء الدين الحنيف قال تعالى :. ((**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**) **(يونس:57)** كذلك قوله تعالى :.(**(وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً) (الاسراء:82)** .

والإنسان هو المحور الأساسي الذي يدور في فلكه الأدب. ويرى أفلاطون أن النفس البشرية قوة تتحرك بذاتها قد اتحدت بالله قبل أن تظهر في العالم الحسي، ثم تسفلت بحلولها في المادة وصارت على شكل جسم ناسية وجودها السابق لكي تكفر عن آثام ارتكبتها في حياة ماضية وهي واحدة أبدية لا تتغير وللنفس . عنده . ثلاث قوى :

1- النفس العاقلة ومقرها الرأس .
2- النفس الغضبية ومركزها القلب .
3- النفس الشهوانية ومقرها البطن [1]

أما الإسلام فإنه يهتم بالإنسان بوصفه كياناً متكاملاً روحاً وجسداً، والإنسان السوي هو الذي لا يطغى جانب فيه على الجانب الآخر. فالإسلام ينظر إلى النفس البشرية نظرة متكاملة، لذا سبق وصف أدب الفطرة السوية بأنه أدب التكامل والشمولية، فهو عندما يعرض صورة الإنسان ويتناولها يجسدها من جميع الجوانب:

---

[1] مع مسيرة الفكر الإنساني في العصر القديم: محمد رشاد عبد العزيز دهمش، مطبعة الفجر الجديد ، الطبعة الأولى 1982م /102.

1- النواحي الحسية والمعنوية فالحسية تتمثل في قوله تعالى: .(**(إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ) (صّ:71)** كذلك قوله تعالى:. (**ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) (السجدة:6) (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْأِنْسَانِ مِنْ طِينٍ) (السجدة:7)** وقوله تعالى:.(**(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ) (الحجر:28)** .

2- النواحي المعنوية أو الروحية ففي قوله تعالى:. (**(فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) (الحجر:29)** ، وكذلك قوله تعالى :. (**ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ) (السجدة:9)** .

وقد أشار جل شأنه إلى النفس الإنسانية وحالتها التي تكون كائنة فيها في مواضع عديدة، ووصفها بعدد من الصفات :.

1- النفس المطمئنة: قال تعالى :. (**(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) (الفجر:27)** (**ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً)** (الفجر:28) **(فَادْخُلِي فِي عِبَادِي) (الفجر:29) (وَادْخُلِي جَنَّتِي) (الفجر:30)** .

2- النفس اللوامة: قال تعالى:. (**(لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) (القيامة:1) (وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) (القيامة:2)** .

ومن الشعراء من لام نفسه وعاتبها حتى كاد أن يتحول ما ألم به من ألم نفسي إلى مرض عضوي، وذلك لأنه أسرف في محاولة النيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن الزبعرى في أيام جاهليته وضلاله كان يؤذى الرسول صلى الله عليه وسلم بلسانه، أي بما ينظمه من شعر يحاول أن يطفئ به نور الله ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون،

لقوله عز وجل:. (**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**) **(التوبة:32)**

، وبعد أن شرح الله صدره للإسلام وقذف الله تعالى نور الحق في قلبه وهداه إلى سواء السبيل كان يلوم نفسه ويعاتبها بقوله:.

منـــع الرقـــادَ بلابـــلٌ وهمـــومُ والليـــل معتـــلج الـــرواق بهيـــم
ممـــا أتـــاني أن أحمـــد لامنـــي فيـــه، فَبِـــتُّ كـــأنني محمـــوم[1]

والشاعر يعاتب نفسه ويلومها لتقصيرها في حق الله وحق رسوله الكريم ε. ووصف الله تعالى هذه النفس بقوله:. (**(أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ) (الزمر:56) (أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (الزمر:57) (أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) (الزمر:58)**

3- كذلك من الصفات التي وصف بها الله تعالى النفس قوله : . (**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا) (الشمس:7) (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) (الشمس:8) (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا) (الشمس:9) (وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) (الشمس:10)**

4- وهنالك النفس الأمارة بالسوء لقوله تعالى : .(**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**) **(يوسف:53)**

---

[1] السيرة النبوية: عبد الملك الحميري بن هشام، تحقيق السقا الأبياري، مطبعة البابي الحلبي 1955م 3 / 419.

ومن خلال هذه الآيات الكريمة يتضح لنا أن أعلى النفوس مرتبة ومنزلة هي النفس المطمئنة. وتجلت حكمة الباري جل وعلا في وضع الضوابط التي من شأنها أن تنسق وتزاوج بين رغبات النفس المختلفة. هذا التنسيق والتزاوج يؤدي إلى حفظ التوازن الذي ينتج أو يخلق أدباً سوياً يزخر بالقيم والمبادئ السامية.

وهكذا حث الإسلام على معرفة أغوار النفس البشرية ، وكل ما يدور في فلكها من غرائز وميول ، قال الله تعالى:.(**(وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ)(الذريات:21)** .

الفصل الثالث

الخصائص الفنية لأدب الفطرة السوية

كما أشرت آنفاً إلى أن أدب الفطرة السوية امتداد طبيعي لأدب ما قبل الإسلام الملتزم بالقيم الفاضلة من ناحية الموضوعات مع اختلاف المواقف والتوجهات، مثلاً الموقف الذي استفز الشاعر الإسلامي وغالباً ما يكون رد فعل طبيعي لأي موقف من المواقف تجاوب معها الشاعر وحركت شاعريته فترجمها بصدق أحاسيس المسلم، وقد تكون الترجمة وليدة لحظة جهادية فرضت نفسها في ساحة الحرب. أو غيرها من المواقف التي قد تستفز الشاعر المسلم. وفي الغالب الأعم نجد أن الشعراء الإسلاميين أو معظمهم قد حافظوا على الشكل التقليدي للقصيدة القديمة المتزمة بالقيم الفاضلة، لأن معظمهم كانوا من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا شطراً من حياتهم في الجاهلية والشطر الآخر في الإسلام ، ومن هذه الأنماط التي حافظوا عليها المشهد الطللي ومخاطبة الصاحب أو الرفيق إلى غيرها من المشاهد التي كانت تزخر بها القصيدة القديمة، وتعدد أو تنوع الأغراض في القصيدة الواحدة، وأكبر دليل على ذلك لامية كعب بن زهير التي أنشدها في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يستح من ذكر فتاته والتوجع على فراقها وما سببه بعدها أو بينها من ألم وحسرة في نفسه، وكذلك الحال عند حسان بن ثابت، ولكن مع هذا نجد أن العديد من الشعراء المسلمين قد تمردوا على سنة من سبقوهم من الشعراء في بناء القصيدة الجاهلية، فاندثرت المطالع الطللية وتوحد الغرض وقد دعا حسان بن ثابت بل أمر بنبذ الأنماط التقليدية التي ألفوها في الماضي من ذكر ربوع الأحبة والمحبوبة ففي يوم الخندق نسمعه ينشد :

فدع الديارَ وذِكر كل خريدة بيضاءَ آنسة الحديث كعاب[1]

أما بائيته التي نظمها يوم بدر فقد مهد لها على طريقة سنة قد خلت .

عرفت ديار زينب بالكثيب كخط الوحي في الورق القشيب
تعاورها الرياح وكل جون من الوسمي منهم سكوب
فأمسى رسمها خلقاً وأمست يباباً بعد ساكنها الحبيب

[1] ديوان حسان بن ثابت / 247.

فــدع عنــك التــذكر كــل يــوم ورُد حـــزازة الصـــدر الكئيـــب [1]

ثم يخلص الشاعر إلى غرضه الأساسي وهو الإخبار بموقعة بدر الكبرى وما آل إليه حال المشركين بعد الهزيمة التي لحقت بهم :.

وخبـــر بالـــذي لاعيـــب فيـــه بصـــدق غـــير إخبـــار الكـــذوب
بمـــا صـــنع المليـــك غـــداة بـــدر لنـــا فـــي المشـــركين مـــن النصـــيب
غـــداة كـــأن جمعهـــم حـــراء بـــدت أركـــانه جُـــنح الغيـــوب
فوافيناهـــــم منـــــا بجمـــــع أســـد الغـــاب مـــردان وشـــيب

وكذلك قوله رداً على ابن الزبعرى الذي كان يفاخر بما حققته جيوش الكفر أعداء الله ورسوله الكريم :.

أشـــاقك مـــن أم الولـــيد ربـــوع بلاقـــع مـــا مـــن أهلـــهن جميـــع
عفـــاهن صـــيفي الربيـــع وواكـــف مـــن الـــدلو رجـــاف الســـحاب همـــوع
فلـــم يبـــق إلا موقـــد النـــار حولـــه رواكـــد أمثـــال الحمـــام وقـــوع
فـــدع ذكـــر دار بـــددت بـــين أهلهـــا نـــوى فرقـــت بـــين الجميـــع قطـــوع

ثم يبدأ في غرضه الأساسي وهو نقض ما قاله ابن الزبعرى :.

وقـــل إن يكـــن يـــوم بأحـــد يَعُـــده ســـفيه فـــإن الحـــق ســـوف يشـــيع[2]

أمـا فيمـا يخـتص بالألفـاظ والعبـارات فنجـدها مسـتمدة مـن المعجـم الإسـلامي والتي لم تكن معروفة لدى أهل الشرك كلمة الإيمان ، كقول بكر بن جبلة الكلبي

---

01 المرجع السابق /14.

02 شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري: ضبطه وصححه عبد الرحمن البرقوقي ، المطبعة التجارية الكبرى بمصر 1929م / 258.

أتيــت رســول الله إذ جــاء بالهــدى فأصـبحت بعـد الجحـد لله مؤمنـا [1]

كما أعلن عمرو بن معد يكرب :.

إننـــي بـــالنبي موقنـــة نفســـ ي ؛ وإن لـــم أر النبـــي عيانـــا

إلى أن يقول :.

إن نكـــن لـــم نـــر النبـــي فإنـــا قـــد تبعنـــا ســـبيله إيمانـــا[2]

وحلت كلمة الإسلام محل كلمة الكفر كقول حمزة بن عبد المطلب :.

حمـــدت الله حـــين هـــدى فـــؤادي إلـــى الإســـلام والـــدين الحنيـــف [3]

كذلك قول لبيد بن ربيعة :.

الحمـــد لله إذ لـــم يـــأتني أجلـــي حتـى اكتسيت مـن الإسـلام سربالا [4]

أما كلمة الكفر فقد وردت في رائية نوفل بن الحارث بن عبد المطلب عندما تبرأ من دين قومه بعد أن شرح الله تعالى صدره للإسلام :.

---

(1) الإصابة في تمييز الصحابة: شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ، دار الكتب العلمية بيروت دون تاريخ،10/ 167 .

(2) البداية والنهاية : ابن كثير،25/1.

(3) الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي، المطبعة الجمالية بمصر 1914م / 186.

(4) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري : تحقيق إحسان عباس ، طبعة ثانية مصورة بإشراف حكومة الكويت 1984 م / 358.

إليكم إليكم ... إنني لست منكم تبرأت من دين الشيوخ الأكابر
لعمرك ما ديني بشيء أبيعه وما أنا إذ أسلمت يوماً بكافر [1]

وأورد التنوخي في كتابه الفرج بعد الشدة حكاية الأعرابية التي اتهمت بسرقة وشاح وكانت يومئذ تدين بدين الكفر فاستصرخت الله، لأنهم أرادوا أن يفتشوا موطن عفتها فإذا بغراب يلقيه بين أيديهم، فعرفت الله وأسلمت وأنشدت قائلة:.

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا ألا إنه من ظلمة الكفر أنجاني [2]

وورد في كتاب الأغاني أن حساناً وكعباً:- " كانا يعارضان شعراء قريش بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر، فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب وأهون القول عليهم قول ابن رواحة، فلما أسلموا وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة ". [3] ومن المفردات التي أضافها الإسلام إلى المعجم اللغوي كلمة الشرك، إذ كان العرب في جاهليتهم يجهلون هذه اللفظة، ووعى المسلم معنى الشرك وصار يعير الكفار بشركهم كقول كعب بن مالك يوم أحد :.

جالوا وجُلنا فما فاؤوا وما رجعوا ونحن نثفنهم لم نأل في الطلب
ليسا سواء وشتى بين أمرهما حزب الإله وأهل الشرك والنُصب [4]

---

(1) الطبقات الكبرى: ابن سعد،4 / 45.

(2) كتاب الفرج بعد الشدة: أبو علي المحسن بن علي التنوخي، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر بيروت 1978 م 56/1 .

(3) الأغاني: الأصفهاني 4/ 138.

(4) السيرة النبوية: ابن هشام ،2 / 165.

ومن المفردات التي لم ترد في القاموس الجاهلي كلمة المساجد، وبعد أن أشرقت الأرض بنور ربها وذاق الناس حلاوة الإيمان من خلال ما نزل به الوحي الأمين من قرآن كريم، أضاف الشعراء هذا اللفظ إلى قاموسهم اللغوي والشعري كقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه :.

لا يســـــتوي مـــــن يعمـــــر المســـــاجدا
يـــــدأب فيهـــــا راكعـــــاً وســـــاجدا
وقائمـــــاً طـــــوراً وطـــــوراً قاعـــــدا
ومـــــن يـــــرى عـــــن التـــــراب حائـــــدا [1]

والزكاة ركن من أركان الإسلام أدرك المسلم الهدف السامي منها، وآمن قلبه أنها حق الفقير في مال الغني فصار يخرجها من ماله عن قناعة ورضا كقول حميد بن ثور:.

أصـــبح قلبـــي مـــن ســـليمى مقصـــدا
إن خطـــأً منهـــا وإن تعمـــّداَ
فَحَمّـــــل الهـــــمَّ كـــــلازاً جلعـــــدا
تـــــرى العُليفـــــيَّ عليهـــــا مَوِكـــــدا

01 العقد الفريد: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري مطبعة لجنة التأليف 1940م4 / 342.

إلى أن يقول :.

حتـــــى أرانـــــا ربنـــــا محمـــــدا
يتلـــــو مـــــن الله كتابـــــا مرشـــــدا
فلـــــم نُكَـــــذِّب، وخـــــررنا ســـــجدا
نعطـــــي الزكـــــاة ، ونقـــــيم المســـــجدا[1]

والبعث والنشور من القضايا التي لم يفطن إليها إلا بعض الحنفاء أو بعض الموحدين، أو من أدرك بفطرته السوية أن وراء هذا الكون الفسيح من يدبر أمره، أما من أعمى الله بصيرته عن الحق لم يكن يدرك ما بعد الحياة الدنيا من ثواب وعقاب، وبعد أن شرح الله صدره للإسلام وأزاح الله تعالى عن عينيه الغشاوة، ووعى هذه المعاني السامية أصبح يتعوذ من عذاب يوم القيامة وما فيها من أهوال كما فعل الحصين بن حمام:.

أعـــوذ بربـــي مـــن المخـــزيا ت يـــوم تـــرى الـــنفس أعمالهـــا
وخـــف المـــوازين بالكافريـــ ن وزلزلـــت الأرض زلزالهـــا [2]

وذكر لبيد في رائيته أن الناس يوم القيامة سيقفون أمام الله تعالى ، وأن الموت حق لا شك فيه :.

إنمـــا يحفـــظ التقـــى الأبـــرار وإلـــى الله يســـتقر القـــرار
وإلـــى الله ترجعـــون وعنـــد اللـــ ـــه ورد الأمـــور والإصـــدار [3]

أما كلمة الصلاة والصوم والحج فقد كان العرب في جاهليتهم على علم ودراية بهم، إذ كانت من إرثهم الذي ورثوه من بقايا دين إبراهيم الخليل عليه السلام. مع

---

(1) ديوان حميد بن ثور/ 77 . 78.

(2) الإصابة: ابن حجر العسقلاني،335/1.

(3) ديوان لبيد بن ربيعة: تحقيق إحسان عباس الكويت، بدون تاريخ /174 .

الفارق الكبير بين التوجهات وكيفية الأداء، ففي الجاهلية كانت صلاتهم عند البيت عبارة عن مكاء وتصدية كما ورد في قوله تعالى:. (**وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**).[1] **(لأنفال:35)**

أما الصلاة في الإسلام فهي ركن من أركانه وبها يتم الفلاح في الدارين، ولها أوقات معلومة، لذا تحسرت عثامة زوج أبي الدرداء بعد أن كف بصرها وأصبحت لا تستطيع أن تصلي الصلاة لوقتها وأنشدت قائلة:.

عثـــــام مالـــــك لاهيـــــة حلـــــت بـــــدارك داهيـــــة
إبكـــــي الصـــــلاة لوقتهـــــا إذ كنـــــت يومـــــاً باكيـــــه
وابكـــــي القـــــرآن إذا تُلِـــــي قـــــد كنـــــت يومـــــاً تاليـــــه [2]

كذلك من المفردات التي لم تكن معروفة عند أهل الشرك كلمة النار وأمد المعجم الإسلامي المؤمن بهذه اللفظة كقول الشاعر النابغة الجعدي:.

تبعـت رسـول الله إذ جـاء لاهـدى ويتلـــو كتابـــاً كـــالمجرة نيـــرا

إلى أن يقول :.

أقـيم علـى التقـوى وأرضـى بفعلهـا وكنـت مـن النـار المخوفـة أوجـرا[3]

ومن الشعراء من ربط بين الجنة والنار في قول الشاعر عدي بن وداع :.

لا عـــــيش إلا الجنـــــة المخضـــــره
مـــن يـــدخل النـــار يـــلاق ضُـــره [4]

---

[1] سورة الأنفال آية /35.

[2] كتاب الزهد : أحمد بن حنبل مطبعة أم القرى/170.

[3] الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري، دار الثقافة بيروت 1969م، 247/1.

[4] الإصابة : ابن حجر العسقلاني 2 /495.

ويظهر أثر التأثر بالقرآن الكريم في دالية حسان بن ثابت التي نظمها في مدح الرسول ε :.

وأنـــذرنا نـــاراً وبشـــر جنـــة وعلمنـــا الإســـلامَ فـــاللهَ نحمـــد[1]

كذلك يزخر أدب الفطرة السوية بالعبارات التي صبغت بالطابع الإسلامي أو التي تحمل الدلالات الإسلامية كالبسلمة (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (الفاتحة:1) مثل قول الشاعر:

باســـــــم الله وبـــــــه هدينـــــــا
ولـــــو عبـــــدنا غيـــــره شَـــــقينا
يـــا حبـــذ ربـــاً وحـــب دينـــا [2]
والحوقلـــة (لا حـــول ولا قـــوة إلا بـــالله)
أين شـاهد الحوقلـة من الشعـر؟؟

كذلك من العبارات التي يتجلى فيها أثر الإسلام على لغة الأديب المسلم عبارتي التوبلة (التوبة لله) والاستغفار، وأعلن عمرو بن الجموح توبته واستغفر الله تعالى في قوله:.

أتـــوب إلـــى الله ســـبحانه وأَســـتغفر الله مـــن نـــاره [3]

---

[1] ديوان حسان بن ثابت / 78.

[2] البداية والنهاية : ابن كثير 97/4. * أنشد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا البيت وهو لأحد شعراء المسلمين.

[3] الإصابة: ابن حجر العسقلاني 2/ 523.

والحمدلة (الحمد لله) كما حمد عمر بن الخطاب τ الله بقوله :.

الحمـد لله ذي المـن الـذي وجبـت لـه علينـا أيـاد مالهـا غِيـر [1]

والتهليل(لا إله إلا الله) والتكبير (الله أكبر) وغيرها من العبارات التي يزخر القرآن الكريم. لخص الحصين بن الحُمام عدداً من الأفكار والألفاظ والمعاني في قوله :.

فلـم يبـق مـن ذاك إلا التقـى ونفـس تعـالج آجـالها
أمـور مـن الله فـوق السـما ء مقاديـر تنـزل إنزالهـا
أعـوذ بربـي مـن المخـزيا ت يـوم تـرى الـنفس أعمالهـا
وخـف المـوازين بالكـافرين وزلزلـت الأرض زلزالهـا
ونـادى منـاد بأهـل القبـو ر فهبـوا لتبـرز أثقـالها
وسِّـعرت النـار فيهـا العـذا ب وكـان السلاسـل أغلالهـا [2]

لذا فالملامح والسمات التي تميزت بها الألفاظ والمفردات والعبارات في أدب الفطرة السوية عبارة عن:.

أ . **السهولة:** أي ابتعد الشاعر الإسلامي بطبعة عن الغريب والحوشي من الألفاظ كقول حسان بن ثابت :.

الله أكرمنـا بنصـر نبيـه وبنـا أقـام دعـائم الإسـلام
وبنـا أعـز نبيـه وكتابـه وأعزنـا بالضـرب والإقـدام [3]

---

[1] الروض الأنف: السهيلي 1/ 218.
[2] الأغاني: الأصفهاني 12/ 132.
[3] ديوان حسان بن ثابت / 389.

ب- **وضوح المعنى:** الذي نجد ضده في غالبية الشعر الجاهلي الذي كثيرا ما تحيط به الغرابة. فالشاعر يوظف المفردات توظيفا جيدا حتى تؤدي الغرض المطلوب منها وهو تحقيق المعنى، وجند رافع بن عمير المفردات ووظفها لكي تشرح ما آل إليه حاله بعد أن شرح الله تعالى صدره للإسلام، وعاف أفعال الجاهلية مثل السلب والنهب، ورحل إلى المدينة المنورة وأسلم وحسن إسلامه :.

سعيت إليه قد شمرت ثوبي عن الكعبين معتمداً ركوبي
فألفيت النبي يقول قولاً صدوقاً، ليس بالقول الكذوب
يبشرني بدين الحق حتى تبيَّنَتِ الشريعة للمنيب
وأبصرتُ الضياء يضيء حولي أمامي إن سعيت ومن جنوبي
ألا أبلغ بني عمرو بن عوف وأختَهمُ حذيلة أن أَجيبي
دعاء المصطفى لا شك فيه فإنك إن تجيبي لا تخيبي [1]

ج- **قوة السبك:** التي تبعد عنه أي صفة من صفات الضعف أو المعاني الهزيلة وكل حوشي. وكما تميز أسلوبه بالسلاسة، واكتسب الشعر هذه الميزة من لغة القرآن الكريم، فقد عمل القرآن الكريم على تهذيب اللغة من الألفاظ الحوشية الغريبة مما جعلها تتسم بقوة السبك، كقصيدة كعب بن مالك:.

أبقى لنا حدث الحروب بقية من خير نحلة ربنا الوهاب
بيضاء مشرقة الذرى ومعاطفا جم الجذوع غزيرة الأحلاب
جاءت سخينة كي تغالب ربها فليبلغن مغالب الغلاب [2]

---

[1] المحاسن والمساوئ : البيهقي، دار بيروت 1960م ،1/ 22.

[2] خزانة الأدب : عبد القادر بن عمر البغدادي، مطبعة بولاق 1299هـ/377 .

د . تسلسل الأفكار وترتيبها وتناسقها وانسجامها مع المعاني: ويتضح جلياً في كل الشعر الإسلامي تسلسل الأفكار وترتيبها وتناسقها مع المعاني، كما في رائية حمزة بن عبد المطلب عندما سجل ما دار بين المسلمين والكفار يوم بدر:.

ألم تر أمراً كان من عجب الدهر ؟ وللحين أسباب مُبينه الأمر
وما ذاك إلا أن قوماً أفادهم فحانوا... تواص بالعقوق وبالكفر
عشية راحوا نحو بدر بجمعهم فكانوا رهوناً للركية من بدر
وكنا طلبنا العير لم نبغ غيرها فساروا إلينا فالتقينا على قدر
فلما التقينا لم تكن مثنوية لنا غير طعن بالمثقفة السمر
وضرب ببيض يختلي الهام حدها مشهرة الألوان بينه الأثر
أولئك قوم قتلوا في ضلالهم وخلوا لواد غير محتضر النصر
لواء ضلال قاد إبليس أهله فخاس بهم إن الخبيث إلى غدر
وقال لهم إذ عاين الأمر واضحاً برئت إليكم . مابي اليوم من صبر
فإني أرى ما لاترون وإنني أخاف عقاب الله والله ذو قسر
فقدمهم للحَيْنِ حتى تورطوا وكان بما لم يخبر القوم ذا خبر
فكانوا غداة البشر ألفاً وجمعنا ثلاث مئين كالمسدمة) الزهر
وفينا جنود الله حين يمدنا بهم في مقام ثم مستوضح الذكر
فشد بهم جبريل تحت لوائنا لدى مأزق فيه منایاهمُ تجري [1]

هـ- الدقة والعمق: سحر القرآن الكريم الشاعر المسلم بدقته في انتقاء الألفاظ والمفردات، وعمقه في الوصف وتجسيد المعاني، وحاول الشاعر المسلم أن يتحرى الدقة في مفرداته، ومعانيه، وصوره الشعرية وتشبهاته، وصور بجير بن زهير بدقة فتح الطائف واستسلام ثقيف بقوله:.

صبحناهم بألف من سليم وألف من بني عثمان واف

---

[1]) السيرة النبوية : ابن هشام 3 / 107.

ورحنـــا غـــانمين بمـــا أردنـــا وراحـــوا نـــادمين علـــى الخـــلاف
وأعطينـــا رســـول الله منـــا مواثيقـــاً علـــى حســـن التصـــافي
فجزنـــا بطـــن مكـــة وامتنعنـــا بتقـــوى الله والبـــيض الخفـــاف
أرادوا الـــلات والعـــزى إلهـــاً كفـــى بـــالله دون الـــلات كـــاف [1]

و . الاقتباس من القرآن الكريم: وظهر أثر القرآن الكريم على ألفاظ الشعراء الذين شرح الله صدروهم للإسلام إذ وشحوا أشعارهم بالألفاظ القرآنية، ويزخر الشعر الملتزم بالتعاليم القرآنية بالاقتباس من القرآن، على سبيل المثال لا الحصر عندما قرأ حسان بن ثابت الآية الكريمة: (**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا....**) [2] وتدبر معناها جادت عليه قريحته بدالية يقول فيها:.

مستعصـمين بحبـل غيـر منجـذم مسـتحكم مـن حبـال الله ممـدود [3]

كذلك تمعن الشاعر نجم بن مفرح معنى الآية الكريمة:ـ (**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**)، [4] **(الحديد:21)**

فأنشد :.

ولله فـــي عَـــرض الســـماوات جنـــةٌ ولكنهـــا محفوفـــة بالمكـــاره [5]

أما عجز البيت فمن قوله صلى الله عليه وسلم :ـ " حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات " . [6]

---

[1] الأغاني: الأصفهاني 17 /282.

[2] سورة آل عمران آية / 103.

[3] ديوان حسان بن ثابت 1/ 128.

[4] سورة الحديد آية/21.

[5] فتوح الشام: محمد بن عمر الواقدي، مطبعة البابي الحلبي الطبعة الثالثة 1954م1/147.

[6] صحيح مسلم حديث رقم 3822.

وفيما يختص بالبحور الشعرية فنجد أن أكثر البحور الشعرية التي كانوا ينظمون عليها قصائدهم عبارة عن البحور التي نظم عليها الجاهليون، ولكن شاعت الأراجيز وكثرت، ولعل المواقف كانت تتطلب ذلك، لأن الشاعر المجاهد في ساحة الحرب يكون في حالة عدم استقرار، عكس حالة السلم أو وقت الأمان.

أما من ناحية الأساليب اللغوية فقد تباينت وتنوعت حسب ما يقتضيه الموقف، وأشار شوقي ضيف إلى الأدوات والجمل والأساليب المختلفة التي استخدمتها اللغة العربية للدلالة على العاطفة:" أن اللغة قد وضعت للعاطفة أدوات كثيرة للدلالة عليها ومن ذلك أن وأخواتها ... وأدوات الاستنساخ وأدوات التوكيد من أحرف الزيادة وغيرها فكل ذلك جاء ليعبر عن العاطفة وكما عبرت اللغة بحروف وأدوات عبرت أيضاً بجمل وأساليب مختلفة من نداء وتحسر وتعجب وأمر ونهي وتَمنٍّ وطلب ورجاء وقسم واستفهام ودعاء ".[1]ووقف الشعراء عند العديد من هذه الأساليب كما يلي :.

1. الدعاء والتضرع :

يأتي الدعاء والتضرع مشحونا بالمعاني الدينية، وقد يكون غرض الشاعر من هذا الدعاء والتضرع لله تحقيق حاجة من الحاجات، أو لقناعة السلم بأن الدعاء وسيلة من وسائل التقرب إلى الله تعالى والخضوع لعزته وجلاله، قال الله تعالى:ـ (**(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)**[2] **(البقرة:186)**

وكثيراً ما يبتهل المسلم لله تعالى، كما ابتهل قيس بن هرمة الأنصاري لله تعالى ألا يظهر عليه الأعداء:.

أقول إذا دعوك في كل بيعة تباركت قد أكثرت لاسمك داعيا
أقول إذا جاوزت أرضاً مخوفة حنانيك لا تظهر على الأعاديا
فوالله ما يدري الفتى كيف يتقي إذا هو لم يجعل له الله واقيا [3]

---

[1] في الأدب والنقد: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر بدون تاريخ /55.

[2] سورة البقرة آية / 186 .

[3] البداية والنهاية: ابن كثير 204/3.

والمسلم دائم التضرع لله تعالى ليغفر له ذنوبه ويتجاوز عن سيئاته قال تعالى:ـ(**(ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)** [1] **(الأعراف:55)** وتضرع النعمان بن بشير الأنصاري لله تعالى في قوله:.

رب، إني ظلمت نفسي كثيراً اعف عني أنت الغفور الودود
وقني شر ما أخاف فإني مشفق خائف لما تستعيد
من خطوب إذا ذكرت ذنوبي وقرأت القرآن فيه الوعيد[2]

2. الحمد والشكر:

والحمد والشكر من أسباب دوام النعمة، قال الله تعالى:. (**يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**) [3] **(سبأ:13)** وعلى العبد أن يشكر خالقه في السراء والضراء كما شكر لبيد بن ربيعة الله سبحانه وتعالى قائلاً:.

حمدت الله، والله الحميد ولله المؤثل والعديد
فإن الله نافلة تقاه وما يقتالها إلا الحميد [4]

وكان خالد بن الوليد τ يحمد الله تعالى ويشكره قبل كل معركة من المعارك ثم يدعو الله تعالى مخلصاً أن ينصره على أهل الشرك ومن ذلك قوله :.

لك الحمد مولانا على كل نعمة وشكراً لما أوليت مع سابغ النعم

---

1 () سورة الأعراف آية/55.

2 () ديوان النعمان بشيرالأنصاري: تحقيق يحيى الجبوري، مطبعة المعارف بمصر بدون تاريخ/92.

3 () سورة سبأ آية /13.

(4) ديوان لبيد/44.

مننـت علينـا بعـد كفـر وظلمـة وأنقـذتنا مـن حنـدس الظُلـم والظُلَـم
وأكرمتنـــا بالهاشـــمي محمـــد وكشـفت عنـا مـا نلاقـي مـن الغمـم
فـتمم إلــه العـرش مـا قـد ترومــه وعجـل لأهـل الشـرك بـالبؤس والـنقم
وألقهـــم ربـــي ســـريعاً ببغـــيهم بحـق نبـي سـيد العـرب والعجـم [1]

3. النـداء:

والنداء أسلوب إنشائي الغرض منه طلب الإقبال، وللنداء معان أدبية كثيرة تفهم من سياق الأسلوب كالألم أو الضيق، ومنها ما يحمل معنى التعظيم، والمحبة، كرائية حسان بن ثابت التي مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم يوم بدر:.

يـا ركـن معتمـد وعصـمة لائـذ ومـلاذ منتجـع وجـار مجـاور
يـا مـن تخيـره الإلـه لخلقـه فحبـاه بـالخلق الزكـي الطـاهر
أنـت النبـي وخيـر عصـبة آدم يـا مـن يجـود كفـيض بحـر زاخـر
ميكـال معـك وجبرائيـل إنهمـا مـدد لنصـرك مـن عزيـز قـادر [2]

4. الحوار :

والحوار من طرق التعبير، ويأتي بصورة تلقائية دون تكلف، وقد يكون الحوار بين اثنين أو أكثر، ومن أهم وظائف الحوار تجسيد الحضور الذهني والمادي للشخصيات، كما يساعد على ترجمة الأبعاد الحقيقة لمشاعر المتحاورين، وتصوير المواقف بدقة كما ورد في رائية كعب بن مالك التي نظمها بعد يوم الأحزاب عندما نقض بني قريظة العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين وتحالفوا مع الأحزاب ضد المسلمين: .

---

[1] فتوح الشام: البيهقي 21/1. 22.

[2] الروض الأنف: السهيلي2 /91.

لقـــد خزيـــت بغـــدرتها الحبـــور كـــذاك الـــدهر ذو صـــرف يـــدور
وذلـــــك أنهـــــم كفـــــروا بـــــرب عزيـــــز، أمـــــره أمـــــر كبيـــــر[1]

إلى أن يقول :.

فقـــالوا : مـــا أتيـــت بـــأمر صـــدق وأنـــت بمنكـــر منـــا جـــدير
فقـــال: بلـــى، لقـــد أديـــت حقـــاً يصـــدقني بـــه الفَهِـــمُ الخبيـــر
فقـــال: الســـلم ويحكـــم فصـــدوا و(حـــالف) أمـــرَهم كـــذبٌ وزور

5. أسلوب القسم :

الغرض منه تأكيد الكلام ودفع الشك عنه، والتعبير عن عاطفة تجيش بنفس الشاعر. وللقسم ضروب عديدة كقسم كعب بن زهير في لاميته:.

فأقســمت بــالرحمن لا شــيء غيــرُه يمـــينَ امـــرئٍ بَـــرٍّ ولا أَتَحلـــل
لأستشــعرنْ أعلــى دريســي مســلماً لوجــه الــذي يُحيــي الأنــام ويقتــل [2]

والقسم يأتي بصورة متعددة كقسم عبد الله بن رواحة:.

فأقســمت لا تنفــك منــا كتائــب ســراة خمــيس مــن لهــام مســوم
نــروع قــريش الكفــر حتــى نعلهــا بخاطمـــة فـــوق الأنـــوف بمَيْسَـــم
وينــدم قــوم لــم يطيعــوا محمــداً علـــى أمـــرهم وأي حـــين تنـــدم[3]

أما مسلمة بن هارون فقد حلف برب الراقصات أي الإبل المسرعات في سيرهن ويحدو بها الشوق إلى المشاعر المقدسة:.

---

[1] السيرة النبوية: ابن هشام 180/2.

[2] ديوان كعب بن زهير/229.

[3] المصدر السابق 82/2، ونسب ابن هشام هذه الأبيات لأبي خيثمة.

حلفت برب الراقصات إلى مِنَى ... طوالع من بين القصيمة بالرَكْب
بأن رسول الله فينا محمداً ... له الرأس والقاموس من سلفي كعب
أتانا ببرهان من الله صادقٍ ... أضاء به الرحمن من ظلمة الكَرْب[1]

6. الأسلوب الخطابي:

والأسلوب الخطابي يكسب القصيدة حيوية، ويخلق نوعاً من الارتباط القوي بين الشاعر والمتلقي أو السامع، كمخاطبة النابغة الجعدي لرفيقيه في رائيته التي أنشدها يوم وفادته على الرسول ε :.

خليلي غضا ساعة وتهجرا ... ولوما على ما أحدث الدهر أو ذَرا
وإن كان الأمر لا تطيقان دفعه ... فلا تجزعا مما قضى الله وآصبرا
ألم تعلما أن الملامةَ نفعُها ... قليل إذا ما الشيء ولىَّ وأدبرا
لوى الله علم الغيب عمن سواءه ... ويعلم منه ما مضى و تأخرا [2]

7. أسلوب النهي :

وأسلوب النهي من الأساليب الأدبية التي تنقل السامع أو المتلقي إلى ما وراء المعاني اللغوية من دلالات، ويزيد من قوة التأثير، وله أغراض بلاغية كثيرة منها الدعاء والالتماس كقوله تعالى:.(**رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ....)**، [3] **(البقرة:286)**

والنصح والتوجيه، والهدف منه طلب الكف عن الفعل. ويأتي بصيغة

---

[1] الإصابة: ابن حجر العسقلاني 3 /399.

[2] أمالي المرتضى: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب المصرية 1954م 10 / 267

[3] سورة البقرة آية / 286.

المضارع مع لا الناهية. ومن أسلوب النهي قول سداد بن عارض عند ما نهى عن عبادة الأصنام ونصرها في قوله:.

لا تنصـروا الـلات؛ إن اللهَ مهلكُهـا وكيـف يُنصر مـن هو لـيس ينتصر
إن التـي حُرقـت بالسـد فاشـتعلت ولـم تقاتـل لـدى أحجارهـا هَـدَرُ [1]

كذلك من أسلوب النهي قول ليلى الأخيلية في رثائها لعثمان بن عفان رضي الله عنه:.

فـلا تكـذب بوعـد الله وارض بـه ولا توكـل علـى شـيء بإشـفاق
ولا تقـولَنْ لشـيء سـوف أفعلـه قـد قـدر الله مـا كـل امـريء لاق [2]

8. الحض والتنبيه :

وفي هذا اللون من ألوان الأساليب الشعرية غالباً ما يبدأ الشاعر بـ (ألا) التـي يكثر استعالها، والغرض شد انتباه السامع واستنفار ملكاته الفكرية والذاتية وتهيئتها لما هو آت كقول الطفيل بن عمرو الدوسي:.

ألا أبلـغ لـديك بنـي لـؤي علـى الشـنان والغضـب المـرد
بـأن الله رب النـاس فـرد تعـالى جـده عـن كـل جـد
وأن محمـداً عبـدٌ رسـولٌ دليـلُ هـدىً ومُوضِـحُ كـلُ رشـد
وأن الله جـلَّله بهـاءً وأعلـى جـدَّه فـي كـلَ جـد [3]

---

[1] السيرة النبوية: ابن هشام 302/2.

[2] الشعر والشعراء: ابن قتيبة /417 .

[3] الإصابة: ابن حجر العسقلاني217/2.

كذلك من الشعراء الذين تناولوا أسلوب التنبيه والحض في شعرهم امرؤ القيس بن عابس :.

ألا أبلـــغ أبـــا بـــكر رســـولا وأبلغهـــا جميـــع المســـلمينا
دعـــوت عشـــيرتي للســـلم حتـــى رأيـــتهم أغـــاروا مفســـدينا
فلـــيس مجـــاوراً بيتـــي بيوتـــاً بمـــا قـــال النبـــي مكـــذبينا
ولا متبـــــدلاً بـــــالله ربـــــاً ولا متبـــدلاً بالـــدين دينـــا
شـــأمتم قـــومكم وشـــأمتمونا وآخـــركم سيشـــأم آخرينـــا[1]

9. أسلوب الاستفهام:

والغرض منه إثارة الطرف المتلقي للمشاركة في الحدث عن طريق الوقوف على جواب للسؤال، كذلك يوضح مدى اهتمام المتلقي بالقضية موضوع النقاش. ويحمل أسلوب الاستفهام بين طياته عدداً من العناصر، كالتشويق والتعجب والتوبيخ والوعيد، مما يولد نوعا من الحيوية بين الطرفين، كما يزيد من شدة الأثر وقوته، وقد طرح عمر بن الخطاب τ في داليته عدداً من الأسئلة الغرض منها استفزاز المتلقي لمشاركته في الرد على هذه الاستفسارات التي طرحت:.

ألـــم تـــر أن الله أظـــهر دينـــه على كـــل ديـــن قبـــل ذلـــك حـــائدِ
وأمكنـــه مـــن أهـــل مكـــة بعدمـــا تـــداعوا إلـــى أمـــر مـــن الغـــي فاســـد
غـــداةَ أجـــال الخيـــل فـــي عرصـــاتها مســـومة بـــين الزبيـــر وخـــالدِ
فأمســـى رســـول الله قـــد عـــز نصـــره وأمســـى عـــداه مـــن قتيـــل وشـــارد [2]

---

[1] الحماسة الصغرى الوحشيات: ضبط كمال مصطفى المطبعة الرحمانية بمصر الطبعة الأولى 1929م / 58 . 59.

[2] زهر الآداب: الحصري ،42/1.

ومما سبق يتضح جلياً أن تنوع الأساليب اللغوية وتعددها يدل عل مدى مقدرة الشاعر الإسلامي وتمكنه من نواصي اللغة.

الفصل الثالث

الخصائص الفنية لأدب الفطرة السوية

كما أشرت آنفاً إلى أن أدب الفطرة السوية امتداد طبيعي لأدب ما قبل الإسلام الملتزم بالقيم الفاضلة من ناحية الموضوعات مع اختلاف المواقف والتوجهات، مثلاً الموقف الذي استفز الشاعر الإسلامي وغالباً ما يكون رد فعل طبيعي لأي موقف من المواقف تجاوب معها الشاعر وحركت شاعريته فترجمها بصدق أحاسيس المسلم، وقد تكون الترجمة وليدة لحظة جهادية فرضت نفسها في ساحة الحرب. أو غيرها من المواقف التي قد تستفز الشاعر المسلم. وفي الغالب الأعم نجد أن الشعراء الإسلاميين أو معظمهم قد حافظوا على الشكل التقليدي للقصيدة القديمة المتزمة بالقيم الفاضلة، لأن معظمهم كانوا من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا شطراً من حياتهم في الجاهلية والشطر الآخر في الإسلام ، ومن هذه الأنماط التي حافظوا عليها المشهد الطللي ومخاطبة الصاحب أو الرفيق إلى غيرها من المشاهد التي كانت تزخر بها القصيدة القديمة، وتعدد أو تنوع الأغراض في القصيدة الواحدة، وأكبر دليل على ذلك لامية كعب بن زهير التي أنشدها في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يستح من ذكر فتاته والتوجع على فراقها وما سببه بعدها أو بينها من ألم وحسرة في نفسه، وكذلك الحال عند حسان بن ثابت، ولكن مع هذا نجد أن العديد من الشعراء المسلمين قد تمردوا على سنة من سبقوهم من الشعراء في بناء القصيدة الجاهلية، فاندثرت المطالع الطللية وتوحد الغرض وقد دعا حسان بن ثابت بل أمر بنبذ الأنماط التقليدية التي ألفوها في الماضي من ذكر ربوع الأحبة والمحبوبة ففي يوم الخندق نسمعه ينشد :

فـدع الـديارَ وذِكـر كـل خريـدة بيضـاءَ آنسـة الحـديث كعـاب[1]

أما بائيته التي نظمها يوم بدر فقد مهد لها على طريقة سنة قد خلت .

عرفـت ديـار زينـب بالكثيـب كخـط الـوحي فـي الـورق القشـيب
تعاورهـا الريـاح وكـل جـون مـن الوسـمي مـنهم سـكوب
فأمسـى رسـمها خلقـاً وأمسـت يبابـاً بعـد سـاكنها الحبـيب

---

[1] ديوان حسان بن ثابت / 247.

فــدع عنــك التــذكر كــل يــوم ورُد حـــزازة الصـــدر الكئيـــب [1]

ثم يخلص الشاعر إلى غرضه الأساسي وهو الإخبار بموقعة بدر الكبرى وما آل إليه حال المشركين بعد الهزيمة التي لحقت بهم :.

وخبـــر بالـــذي لاعيـــب فيـــه بصـــدق غـــير إخبـــار الكـــذوب
بمـــا صـــنع المليـــك غـــداة بـــدر لنـــا فـــي المشـــركين مـــن النصـــيب
غـــداة كـــأن جمعهـــم حـــراء بـــدت أركـــانه جُـــنح الغيـــوب
فوافيناهـــــم منـــــا بجمـــــع أســـد الغـــاب مـــردان وشـــيب

وكذلك قوله رداً على ابن الزبعرى الذي كان يفاخر بما حققته جيوش الكفر أعداء الله ورسوله الكريم :.

أشـــاقك مـــن أم الولـــيد ربـــوع بلاقـــع مـــا مـــن أهلـــهن جميـــع
عفـــاهن صـــيفي الربيـــع وواكـــف مـــن الـــدلو رجـــاف الســـحاب همـــوع
فلـــم يبـــق إلا موقـــد النـــار حولـــه رواكـــد أمثـــال الحمـــام وقـــوع
فـــدع ذكـــر دار بـــددت بـــين أهلهـــا نـــوى فرقـــت بـــين الجميـــع قطـــوع

ثم يبدأ في غرضه الأساسي وهو نقض ما قاله ابن الزبعرى :.

وقـــل إن يكـــن يـــوم بأحـــد يَعُـــده ســـفيه فـــإن الحـــق ســـوف يشـــيع[2]

أمـا فيمـا يخـتص بالألفـاظ والعبـارات فنجـدها مسـتمدة مـن المعجـم الإسـلامي والتي لم تكن معروفة لدى أهل الشرك كلمة الإيمان ، كقول بكر بن جبلة الكلبي

---

01 المرجع السابق /14.

02 شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري: ضبطه وصححه عبد الرحمن البرقوقي ، المطبعة التجارية الكبرى بمصر 1929م / 258.

أتيــت رســول الله إذ جــاء بالهــدى فأصـبحت بعـد الجحـد لله مؤمنـا [1]

كما أعلن عمرو بن معد يكرب :.

إننـــي بـــالنبي موقنـــة نفســـ ي ؛ وإن لـــم أر النبـــي عيانـــا

إلى أن يقول :.

إن نكـــن لـــم نـــر النبـــي فإنـــا قـــد تبعنـــا ســـبيله إيمانـــا[2]

وحلت كلمة الإسلام محل كلمة الكفر كقول حمزة بن عبد المطلب :.

حمـــدت الله حـــين هـــدى فـــؤادي إلـــى الإســـلام والـــدين الحنيـــف [3]

كذلك قول لبيد بن ربيعة :.

الحمـــد لله إذ لـــم يـــأتني أجلـــي حتـى اكتسيت مـن الإسـلام سربالا [4]

أما كلمة الكفر فقد وردت في رائية نوفل بن الحارث بن عبد المطلب عندما تبرأ من دين قومه بعد أن شرح الله تعالى صدره للإسلام :.

---

(1) الإصابة في تمييز الصحابة: شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ، دار الكتب العلمية بيروت دون تاريخ،10/ 167 .

(2) البداية والنهاية : ابن كثير،25/1.

(3) الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي، المطبعة الجمالية بمصر 1914م / 186.

(4) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري : تحقيق إحسان عباس ، طبعة ثانية مصورة بإشراف حكومة الكويت 1984 م / 358.

إليكم إليكم ... إنني لست منكم تبرأت من دين الشيوخ الأكابر
لعمرك ما ديني بشيء أبيعه وما أنا إذ أسلمت يوماً بكافر [1]

وأورد التنوخي في كتابه الفرج بعد الشدة حكاية الأعرابية التي اتهمت بسرقة وشاح وكانت يومئذ تدين بدين الكفر فاستصرخت الله، لأنهم أرادوا أن يفتشوا موطن عفتها فإذا بغراب يلقيه بين أيديهم، فعرفت الله وأسلمت وأنشدت قائلة:.

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا ألا إنه من ظلمة الكفر أنجاني [2]

وورد في كتاب الأغاني أن حساناً وكعباً:- " كانا يعارضان شعراء قريش بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر، فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب وأهون القول عليهم قول ابن رواحة، فلما أسلموا وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة ". [3] ومن المفردات التي أضافها الإسلام إلى المعجم اللغوي كلمة الشرك، إذ كان العرب في جاهليتهم يجهلون هذه اللفظة، ووعى المسلم معنى الشرك وصار يعير الكفار بشركهم كقول كعب بن مالك يوم أحد :.

جالوا وجُلنا فما فاؤوا وما رجعوا ونحن نثفنهم لم نأل في الطلب
ليسا سواء وشتى بين أمرهما حزب الإله وأهل الشرك والنُصب [4]

---

(1) الطبقات الكبرى: ابن سعد،4 / 45.

(2) كتاب الفرج بعد الشدة: أبو علي المحسن بن علي التنوخي، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر بيروت 1978 م 56/1 .

(3) الأغاني: الأصفهاني 4/ 138.

(4) السيرة النبوية: ابن هشام ،2 / 165.

ومن المفردات التي لم ترد في القاموس الجاهلي كلمة المساجد، وبعد أن أشرقت الأرض بنور ربها وذاق الناس حلاوة الإيمان من خلال ما نزل به الوحي الأمين من قرآن كريم، أضاف الشعراء هذا اللفظ إلى قاموسهم اللغوي والشعري كقول علي بن أبي طالب τ :.

لا يســـــتوي مـــــن يعمـــــر المســـــاجدا
يـــــدأب فيهـــــا راكعـــــاً وســـــاجدا
وقائمـــــاً طـــــوراً وطـــــوراً قاعـــــدا
ومـــــن يـــــرى عـــــن التـــــراب حائـــــدا [1]

والزكاة ركن من أركان الإسلام أدرك المسلم الهدف السامي منها، وآمن قلبه أنها حق الفقير في مال الغني فصار يخرجها من ماله عن قناعة ورضا كقول حميد بن ثور:.

أصـــبح قلبـــي مـــن ســـليمى مقصـــدا
إن خطـــأً منهـــا وإن تعمـــّداَ
فَحَمّـــــل الهـــــمَّ كـــــلازاً جلعـــــدا
تـــــرى العُليفـــــيَّ عليهـــــا مَوِكـــــدا

01 العقد الفريد: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري مطبعة لجنة التأليف 1940م4 / 342.

إلى أن يقول :.

حتـــــى أرانـــــا ربنـــــا محمـــــدا
يتلـــــو مـــــن الله كتابـــــا مرشـــــدا
فلـــــم نُكَـــــذِّب، وخـــــررنا ســـــجدا
نعطـــــي الزكـــــاة ، ونقـــــيم المســـــجدا[1]

والبعث والنشور من القضايا التي لم يفطن إليها إلا بعض الحنفاء أو بعض الموحدين، أو من أدرك بفطرته السوية أن وراء هذا الكون الفسيح من يدبر أمره، أما من أعمى الله بصيرته عن الحق لم يكن يدرك ما بعد الحياة الدنيا من ثواب وعقاب، وبعد أن شرح الله صدره للإسلام وأزاح الله تعالى عن عينيه الغشاوة، ووعى هذه المعاني السامية أصبح يتعوذ من عذاب يوم القيامة وما فيها من أهوال كما فعل الحصين بن حمام:.

أعـــوذ بربـــي مـــن المخـــزيا ت يـــوم تـــرى الـــنفس أعمالهـــا
وخـــف المـــوازين بالكافريـــ ن وزلزلـــت الأرض زلزالهـــا [2]

وذكر لبيد في رائيته أن الناس يوم القيامة سيقفون أمام الله تعالى ، وأن الموت حق لا شك فيه :.

إنمـــا يحفـــظ التقـــى الأبـــرار وإلـــى الله يســـتقر القـــرار
وإلـــى الله ترجعـــون وعنـــد اللـــ ـــه ورد الأمـــور والإصـــدار [3]

أما كلمة الصلاة والصوم والحج فقد كان العرب في جاهليتهم على علم ودراية بهم، إذ كانت من إرثهم الذي ورثوه من بقايا دين إبراهيم الخليل عليه السلام. مع

---

(1) ديوان حميد بن ثور/ 77 . 78.

(2) الإصابة: ابن حجر العسقلاني،335/1.

(3) ديوان لبيد بن ربيعة: تحقيق إحسان عباس الكويت، بدون تاريخ /174 .

الفارق الكبير بين التوجهات وكيفية الأداء، ففي الجاهلية كانت صلاتهم عند البيت عبارة عن مكاء وتصدية كما ورد في قوله تعالى:. (**وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) (لأنفال:35)** .

أما الصلاة في الإسلام فهي ركن من أركانه وبها يتم الفلاح في الدارين، ولها أوقات معلومة، لذا تحسرت عثامة زوج أبي الدرداء بعد أن كف بصرها وأصبحت لا تستطيع أن تصلي الصلاة لوقتها وأنشدت قائلة:.

عثـــــام مالـــــك لاهيـــــة حلـــــت بـــــدارك داهيـــــة
إبكـــــي الصـــــلاة لوقتهـــــا إذ كنـــــت يومـــــاً باكيـــــه
وابكـــــي القـــــرآن إذا تُلِـــــي قـــــد كنـــــت يومـــــاً تاليـــــه [1]

كذلك من المفردات التي لم تكن معروفة عند أهل الشرك كلمة النار وأمد المعجم الإسلامي المؤمن بهذه اللفظة كقول الشاعر النابغة الجعدي:.

تبعـت رسـول الله إذ جـاء لاهـدى ويتلـــو كتابـــاً كـــالمجرة نيـــرا

إلى أن يقول :.

أقـيم علـى التقـوى وأرضـى بفعلهـا وكنـت مـن النـار المخوفـة أوجـرا[2]

ومن الشعراء من ربط بين الجنة والنار في قول الشاعر عدي بن وداع :.

لا عـــــيش إلا الجنـــــة المخضـــــره
مـــن يـــدخل النـــار يـــلاق ضُـــره [3]

---

1 0 كتاب الزهد : أحمد بن حنبل مطبعة أم القرى/170.

(2) الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري، دار الثقافة بيروت 1969م، 247/1.

(3) الإصابة : ابن حجر العسقلاني 2 /495.

ويظهر أثر التأثر بالقرآن الكريم في دالية حسان بن ثابت التي نظمها في مدح الرسول ε :.

وأنـــذرنا نـــاراً وبشـــر جنـــة وعلمنـــا الإســـلامَ فـــاللهَ نحمـــد[1]

كذلك يزخر أدب الفطرة السوية بالعبارات التي صبغت بالطابع الإسلامي أو التي تحمل الدلالات الإسلامية كالبسلمة (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (الفاتحة:1)
مثل قول الشاعر:

باســـــــم الله وبـــــــه هدينـــــــا

ولـــــو عبـــــدنا غيـــــره شَـــــقينا

يـــا حبـــذ ربـــاً وحـــب دينـــا [2]

كذلك من العبارات التي يتجلى فيها أثر الإسلام على لغة الأديب المسلم عبارتي التوبلة (التوبة لله) والاستغفار، وأعلن عمرو بن الجموح توبته واستغفر الله تعالى في قوله:.

أتـــوب إلـــى الله ســـبحانه وأَســـتغفر الله مـــن نـــاره [3]

---

(1) ديوان حسان بن ثابت / 78.

(2) البداية والنهاية : ابن كثير 97/4. * أنشد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا البيت وهو لأحد شعراء المسلمين.

(3) الإصابة: ابن حجر العسقلاني 2/ 523.

والحمدلة (الحمد لله) كما حمد عمر بن الخطاب τ الله بقوله :.

الحمـد لله ذي المـن الـذي وجبـت لـه علينـا أيـاد مالهـا غِيـر [1]

والتهليل(لا إله إلا الله) والتكبير (الله أكبر) وغيرها من العبارات التي يزخر القرآن الكريم. لخص الحصين بن الحُمام عدداً من الأفكار والألفاظ والمعاني في قوله :.

فلـم يبـق مـن ذاك إلا التقـى ونفـس تعـالج آجـالها
أمـور مـن الله فـوق السـما ء مقاديـر تنـزل إنزالهـا
أعـوذ بربـي مـن المخـزيا ت يـوم تـرى الـنفس أعمالهـا
وخـف المـوازين بالكـافرين وزلزلـت الأرض زلزالهـا
ونـادى منـاد بأهـل القبـو ر فهبـوا لتبـرز أثقـالها
وسِّـعرت النـار فيهـا العـذا ب وكـان السلاسـل أغلالهـا [2]

لذا فالملامح والسمات التي تميزت بها الألفاظ والمفردات والعبارات في أدب الفطرة السوية عبارة عن:.

أ . **السهولة:** أي ابتعد الشاعر الإسلامي بطبعة عن الغريب والحوشي من الألفاظ كقول حسان بن ثابت :.

الله أكرمنـا بنصـر نبيـه وبنـا أقـام دعـائم الإسـلام
وبنـا أعـز نبيـه وكتابـه وأعزنـا بالضـرب والإقـدام [3]

---

[1] الروض الأنف: السهيلي 1/ 218.
[2] الأغاني: الأصفهاني 12/ 132.
[3] ديوان حسان بن ثابت / 389.

ب- **وضوح المعنى:** الذي نجد ضده في غالبية الشعر الجاهلي الذي كثيرا ما تحيط به الغرابة. فالشاعر يوظف المفردات توظيفا جيدا حتى تؤدي الغرض المطلوب منها وهو تحقيق المعنى، وجند رافع بن عمير المفردات ووظفها لكي تشرح ما آل إليه حاله بعد أن شرح الله تعالى صدره للإسلام، وعاف أفعال الجاهلية مثل السلب والنهب، ورحل إلى المدينة المنورة وأسلم وحسن إسلامه :.

سعيت إليه قد شمرت ثوبي عن الكعبين معتمداً ركوبي
فألفيت النبي يقول قولاً صدوقاً، ليس بالقول الكذوب
يبشرني بدين الحق حتى تبيَّنَتِ الشريعة للمنيب
وأبصرتُ الضياء يضيء حولي أمامي إن سعيت ومن جنوبي
ألا أبلغ بني عمرو بن عوف وأختَهمُ حذيلة أن أَجيبي
دعاء المصطفى لا شك فيه فإنك إن تجيبي لا تخيبي [1]

ج- **قوة السبك:** التي تبعد عنه أي صفة من صفات الضعف أو المعاني الهزيلة وكل حوشي. وكما تميز أسلوبه بالسلاسة، واكتسب الشعر هذه الميزة من لغة القرآن الكريم، فقد عمل القرآن الكريم على تهذيب اللغة من الألفاظ الحوشية الغريبة مما جعلها تتسم بقوة السبك، كقصيدة كعب بن مالك:.

أبقى لنا حدث الحروب بقية من خير نحلة ربنا الوهاب
بيضاء مشرقة الذرى ومعاطفا جم الجذوع غزيرة الأحلاب
جاءت سخينة كي تغالب ربها فليبلغن مغالب الغلاب [2]

---

[1] المحاسن والمساوئ : البيهقي، دار بيروت 1960م ،1/ 22.

[2] خزانة الأدب : عبد القادر بن عمر البغدادي، مطبعة بولاق 1299هـ/377 .

د . تسلسل الأفكار وترتيبها وتناسقها وانسجامها مع المعاني: ويتضح جلياً في كل الشعر الإسلامي تسلسل الأفكار وترتيبها وتناسقها مع المعاني، كما في رائية حمزة بن عبد المطلب عندما سجل ما دار بين المسلمين والكفار يوم بدر:.

ألم تر أمراً كان من عجب الدهر ؟ وللحين أسباب مُبينه الأمر
وما ذاك إلا أن قوماً أفادهم فحانوا... تواص بالعقوق وبالكفر
عشية راحوا نحو بدر بجمعهم فكانوا رهوناً للركية من بدر
وكنا طلبنا العير لم نبغ غيرها فساروا إلينا فالتقينا على قدر
فلما التقينا لم تكن مثنوية لنا غير طعن بالمثقفة السمر
وضرب ببيض يختلي الهام حدها مشهرة الألوان بينه الأثر
أولئك قوم قتلوا في ضلالهم وخلوا لواد غير محتضر النصر
لواء ضلال قاد إبليس أهله فخاس بهم إن الخبيث إلى غدر
وقال لهم إذ عاين الأمر واضحاً برئت إليكم . مابي اليوم من صبر
فإني أرى ما لاترون وإنني أخاف عقاب الله والله ذو قسر
فقدمهم للحَيْنِ حتى تورطوا وكان بما لم يخبر القوم ذا خبر
فكانوا غداة البشر ألفاً وجمعنا ثلاث مئين كالمسدمة) الزهر
وفينا جنود الله حين يمدنا بهم في مقام ثم مستوضح الذكر
فشد بهم جبريل تحت لوائنا لدى مأزق فيه منایاهمُ تجري [1]

هـ- الدقة والعمق: سحر القرآن الكريم الشاعر المسلم بدقته في انتقاء الألفاظ والمفردات، وعمقه في الوصف وتجسيد المعاني، وحاول الشاعر المسلم أن يتحرى الدقة في مفرداته، ومعانيه، وصوره الشعرية وتشبهاته، وصور بجير بن زهير بدقة فتح الطائف واستسلام ثقيف بقوله:.

صبحناهم بألف من سليم وألف من بني عثمان واف

---

[1] السيرة النبوية : ابن هشام 3 / 107.

ورحنـــا غـــانمين بمـــا أردنـــا وراحـــوا نـــادمين علـــى الخـــلاف
وأعطينـــا رســـول الله منـــا مواثيقـــاً علـــى حســـن التصـــافي
فجزنـــا بطـــن مكـــة وامتنعنـــا بتقـــوى الله والبـــيض الخفـــاف
أرادوا الـــلات والعـــزى إلهـــاً كفـــى بـــالله دون الـــلات كـــاف [1]

و . الاقتباس من القرآن الكريم: وظهر أثر القرآن الكريم على ألفاظ الشعراء الذين شرح الله صدروهم للإسلام إذ وشحوا أشعارهم بالألفاظ القرآنية، ويزخر الشعر الملتزم بالتعاليم القرآنية بالاقتباس من القرآن، على سبيل المثال لا الحصر عندما قرأ حسان بن ثابت الآية الكريمة: (**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا....**) **(آل عمران :103)** وتدبر معناها جادت عليه قريحته بدالية يقول فيها:.

مستعصـــمين بحبـــل غيـــر منجـــذم مســـتحكم مـــن حبـــال الله ممـــدود [2]

كذلك تمعن الشاعر نجم بن مفرح معنى الآية الكريمة:ـ (**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**)، **(الحديد:21)**

فأنشد :.

ولله فـــي عَـــرض الســـماوات جنـــةٌ ولكنهـــا محفوفـــة بالمكـــاره [3]

أما عجز البيت فمن قوله صلى الله عليه وسلم :ـ " حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات " . [4]

---

[1] الأغاني: الأصفهاني 17 /282.

[2] ديوان حسان بن ثابت 1/ 128.

[3] فتوح الشام: محمد بن عمر الواقدي، مطبعة البابي الحلبي الطبعة الثالثة 1954م1/147.

[4] صحيح مسلم حديث رقم 3822.

وفيما يختص بالبحور الشعرية فنجد أن أكثر البحور الشعرية التي كانوا ينظمون عليها قصائدهم عبارة عن البحور التي نظم عليها الجاهليون، ولكن شاعت الأراجيز وكثرت، ولعل المواقف كانت تتطلب ذلك، لأن الشاعر المجاهد في ساحة الحرب يكون في حالة عدم استقرار، عكس حالة السلم أو وقت الأمان.

أما من ناحية الأساليب اللغوية فقد تباينت وتنوعت حسب ما يقتضيه الموقف، وأشار شوقي ضيف إلى الأدوات والجمل والأساليب المختلفة التي استخدمتها اللغة العربية للدلالة على العاطفة:" أن اللغة قد وضعت للعاطفة أدوات كثيرة للدلالة عليها ومن ذلك أن وأخواتها ... وأدوات الاستنساخ وأدوات التوكيد من أحرف الزيادة وغيرها فكل ذلك جاء ليعبر عن العاطفة وكما عبرت اللغة بحروف وأدوات عبرت أيضاً بجمل وأساليب مختلفة من نداء وتحسر وتعجب وأمر ونهي وتَمنٍّ وطلب ورجاء وقسم واستفهام ودعاء ".[1]ووقف الشعراء عند العديد من هذه الأساليب كما يلي :.

6. الدعاء والتضرع :

يأتي الدعاء والتضرع مشحونا بالمعاني الدينية، وقد يكون غرض الشاعر من هذا الدعاء والتضرع لله تحقيق حاجة من الحاجات، أو لقناعة السلم بأن الدعاء وسيلة من وسائل التقرب إلى الله تعالى والخضوع لعزته وجلاله، قال الله تعالى:ـ (**(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) (البقرة:186)** .

وكثيراً ما يبتهل المسلم لله تعالى، كما ابتهل قيس بن هرمة الأنصاري لله تعالى ألا يظهر عليه الأعداء:.

أقول إذا دعوك في كل بيعة تباركت قد أكثرت لاسمك داعيا
أقول إذا جاوزت أرضاً مخوفة حنانيك لا تظهر على الأعاديا
فوالله ما يدري الفتى كيف يتقي إذا هو لم يجعل له الله واقيا [2]

---

[1] في الأدب والنقد: شوقي ضيف، دار المعارف بمصر بدون تاريخ /55.

[2] البداية والنهاية: ابن كثير 204/3.

والمسلم دائم التضرع لله تعالى ليغفر له ذنوبه ويتجاوز عن سيئاته قال تعالى:ـ(**(ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (الأعراف:55)** وتضرع النعمان بن بشير الأنصاري لله تعالى في قوله:.

رب، إني ظلمت نفسي كثيراً اعف عني أنت الغفور الودود
وقني شر ما أخاف فإني مشفق خائف لما تستعيد
من خطوب إذا ذكرت ذنوبي وقرأت القرآن فيه الوعيد[1]

7. الحمد والشكر:

والحمد والشكر من أسباب دوام النعمة، قال الله تعالى:. (**يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**) **(سبأ:13)** وعلى العبد أن يشكر خالقه في السراء والضراء كما شكر لبيد بن ربيعة الله سبحانه وتعالى قائلاً:.

حمدت الله، والله الحميد ولله المؤثل والعديد
فإن الله نافلة تقاه وما يقتالها إلا الحميد [2]

وكان خالد بن الوليد τ يحمد الله تعالى ويشكره قبل كل معركة من المعارك ثم يدعو الله تعالى مخلصاً أن ينصره على أهل الشرك ومن ذلك قوله :.

لك الحمد مولانا على كل نعمة وشكراً لما أوليت مع سابغ النعم

---

1 () ديوان النعمان بشيرالأنصاري: تحقيق يحيى الجبوري، مطبعة المعارف بمصر بدون تاريخ/92.

(2) ديوان لبيد/44.

مننـت علينـا بعـد كفـر وظلمـة وأنقـذتنا مـن حنـدس الظُلـم والظُلَـم
وأكرمتنـــا بالهاشـــمي محمـــد وكشـفت عنـا مـا نلاقـي مـن الغمـم
فـتمم إلــه العـرش مـا قـد تروميـه وعجـل لأهـل الشـرك بـالبؤس والـنقم
وألقهـــم ربـــي ســـريعاً ببغـــيهم بحـق نبـي سـيد العـرب والعجـم [1]

8. النـداء:

والنداء أسلوب إنشائي الغرض منه طلب الإقبال، وللنداء معان أدبية كثيرة تفهم من سياق الأسلوب كالألم أو الضيق، ومنها ما يحمل معنى التعظيم، والمحبة، كرائية حسان بن ثابت التي مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم يوم بدر:.

يـــا ركـــن معتمـــد وعصـــمة لائـــذ ومـــلاذ منتجـــع وجـــار مجـــاور
يـــا مـــن تخيـــره الإلـــه لخلقـــه فحبـــاه بـــالخلق الزكـــي الطـــاهر
أنـــت النبـــي وخيـــر عصـــبة آدم يـــا مـــن يجـــود كفـــيض بحـــر زاخـــر
ميكـــال معـــك وجبرائيـــل إنهمـــا مـــدد لنصـــرك مـــن عزيـــز قـــادر [2]

9. الحوار :

والحوار من طرق التعبير، ويأتي بصورة تلقائية دون تكلف، وقد يكون الحوار بين اثنين أو أكثر، ومن أهم وظائف الحوار تجسيد الحضور الذهني والمادي للشخصيات، كما يساعد على ترجمة الأبعاد الحقيقة لمشاعر المتحاورين، وتصوير المواقف بدقة كما ورد في رائية كعب بن مالك التي نظمها بعد يوم الأحزاب عندما نقض بني قريظة العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين وتحالفوا مع الأحزاب ضد المسلمين: .

---

[1] فتوح الشام: البيهقي 21/1. 22.

[2] الروض الأنف: السهيلي2 /91.

لقـــد خزيـــت بغـــدرتها الحبـــور كـــذاك الـــدهر ذو صـــرف يـــدور
وذلـــــك أنهـــــم كفـــــروا بـــــرب عزيـــــز، أمـــــره أمـــــر كبيـــــر[1]

إلى أن يقول :.

فقـــالوا : مـــا أتيـــت بـــأمر صـــدق وأنـــت بمنكـــر منـــا جـــدير
فقـــال: بلـــى، لقـــد أديـــت حقـــاً يصـــدقني بـــه الفَهِـــمُ الخبيـــر
فقـــال: الســـلم ويحكـــم فصـــدوا و(حـــالف) أمـــرَهم كـــذبٌ وزور

10. أسلوب القسم :

الغرض منه تأكيد الكلام ودفع الشك عنه، والتعبير عن عاطفة تجيش بنفس الشاعر. وللقسم ضروب عديدة كقسم كعب بن زهير في لاميته:.

فأقســمت بــالرحمن لا شــيء غيــرُه يمـــينَ امـــرئٍ بَـــرٍّ ولا أَتَحلـــل
لأستشــعرنْ أعلــى دريســي مســلماً لوجــه الــذي يُحيــي الأنــام ويقتــل [2]

والقسم يأتي بصورة متعددة كقسم عبد الله بن رواحة:.

فأقســمت لا تنفــك منــا كتائــب ســراة خمــيس مــن لهــام مســوم
نــروع قــريش الكفــر حتــى نعلهــا بخاطمـــة فـــوق الأنـــوف بمَيْسَـــم
وينــدم قــوم لــم يطيعــوا محمــداً علـــى أمـــرهم وأي حـــين تنـــدم[3]

أما مسلمة بن هارون فقد حلف برب الراقصات أي الإبل المسرعات في سيرهن ويحدو بها الشوق إلى المشاعر المقدسة:.

---

[1] السيرة النبوية: ابن هشام 180/2.

[2] ديوان كعب بن زهير/229.

[3] المصدر السابق 82/2، ونسب ابن هشام هذه الأبيات لأبي خيثمة.

حلفت برب الراقصات إلى مِنَى ... طوالع من بين القصيمة بالرَكْب
بأن رسول الله فينا محمداً ... له الرأس والقاموس من سلفي كعب
أتانا ببرهان من الله صادقٍ ... أضاء به الرحمن من ظلمة الكَرْب[1]

6. الأسلوب الخطابي:

والأسلوب الخطابي يكسب القصيدة حيوية، ويخلق نوعاً من الارتباط القوي بين الشاعر والمتلقي أو السامع، كمخاطبة النابغة الجعدي لرفيقيه في رائيته التي أنشدها يوم وفادته على الرسول ε :.

خليلي غضا ساعة وتهجرا ... ولوما على ما أحدث الدهر أو ذَرا
وإن كان الأمر لا تطيقان دفعه ... فلا تجزعا مما قضى الله وآصبرا
ألم تعلما أن الملامةَ نفعُها ... قليل إذا ما الشيء ولىَّ وأدبرا
لوى الله علم الغيب عمن سواءه ... ويعلم منه ما مضى و تأخرا [2]

7. أسلوب النهي :

وأسلوب النهي من الأساليب الأدبية التي تنقل السامع أو المتلقي إلى ما وراء المعاني اللغوية من دلالات، ويزيد من قوة التأثير، وله أغراض بلاغية كثيرة منها الدعاء والالتماس كقوله تعالى:.(**رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ....) (البقرة:286)** .

والنصح والتوجيه، والهدف منه طلب الكف عن الفعل. ويأتي بصيغة المضارع مع لا الناهية. ومن أسلوب النهي قول سداد بن عارض عند ما نهى عن عبادة الأصنام ونصرها في قوله:.

---

[1] الإصابة: ابن حجر العسقلاني 3 /399.

[2] أمالي المرتضى: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب المصرية 1954م 10 / 267

لا تنصـروا الـلات؛ إن اللهَ مهلكُهـا وكيـف يُنصر مـن هـو لـيس ينتصر
إن التـي حُرقـت بالسـد فاشـتعلت ولـم تقاتـل لـدى أحجارهـا هَـدَرُ[1]

كذلك من أسلوب النهي قول ليلى الأخيلية في رثائها لعثمان بن عفان رضي الله عنه:.

فـلا تكـذب بوعـد الله وارض بـه ولا توكـل علـى شـيء بإشـفاق
ولا تقـولَنْ لشـيء سـوف أفعلـه قـد قـدر الله مـا كـل امـريء لاق [2]

8. الحض والتنبيه :

وفي هذا اللون من ألوان الأساليب الشعرية غالباً ما يبدأ الشاعر بـ (ألا) التي يكثر استعالها، والغرض شد انتباه السامع واستنفار ملكاته الفكرية والذاتية وتهيئتها لما هو آت كقول الطفيل بن عمرو الدوسي:.

ألا أبلـغ لـديك بنـي لـؤي علـى الشـنان والغضـب المـرد
بـأن الله رب النـاس فـرد تعـالى جـده عـن كـل جـد
وأن محمـداً عبـدٌ رسـولٌ دليـلُ هـدىً ومُوضِـحُ كـلُ رشـد
وأن الله جـلَّله بهـاءً وأعلـى جـدَّه فـي كـلَ جـد [3]

كذلك من الشعراء الذين تناولوا أسلوب التنبيه والحض في شعرهم امرؤ القيس بن عابس :.

---

[1] السيرة النبوية: ابن هشام 302/2.

[2] الشعر والشعراء: ابن قتيبة /417 .

[3] الإصابة: ابن حجر العسقلاني217/2.

ألا أبلـــغ أبـــا بـــكر رســـولا وأبلغهـــا جميـــع المســـلمينا
دعـــوت عشـــيرتي للســـلم حتـــى رأيـــتهم أغـــاروا مفســـدينا
فلـــيس مجـــاوراً بيتـــي بيوتـــاً بمـــا قـــال النبـــي مكـــذبينا
ولا متبـــــدلاً بـــــالله ربـــــاً ولا متبـــدلاً بالـــدين دينـــا
شـــأمتم قـــومكم وشـــأمتمونا وآخـــركم سيشـــأم آخرينـــا[1]

9. أسلوب الاستفهام:

والغرض منه إثارة الطرف المتلقي للمشاركة في الحدث عن طريق الوقوف على جواب للسؤال، كذلك يوضح مدى اهتمام المتلقي بالقضية موضوع النقاش. ويحمل أسلوب الاستفهام بين طياته عدداً من العناصر، كالتشويق والتعجب والتوبيخ والوعيد، مما يولد نوعا من الحيوية بين الطرفين، كما يزيد من شدة الأثر وقوته، وقد طرح عمر بن الخطاب τ في داليته عدداً من الأسئلة الغرض منها استفزاز المتلقي لمشاركته في الرد على هذه الاستفسارات التي طرحت:.

ألـــم تـــر أن الله أظـــهر دينـــه على كـــل ديـــن قبـــل ذلـــك حـــائدِ
وأمكنـــه مـــن أهـــل مكـــة بعدمـــا تـــداعوا إلـــى أمـــر مـــن الغـــي فاســـد
غـــداةَ أجـــال الخيـــل فـــي عرصـــاتها مســـومة بـــين الزبيـــر وخـــالدِ
فأمســـى رســـول الله قـــد عـــز نصـــره وأمســـى عـــداه مـــن قتيـــل وشـــارد [2]

ومما سبق يتضح جلياً أن تنوع الأساليب اللغوية وتعددها يدل عل مدى مقدرة الشاعر الإسلامي وتمكنه من نواصي اللغة.

---

[1] الحماسة الصغرى الوحشيات: ضبط كمال مصطفى المطبعة الرحمانية بمصر الطبعة الأولى 1929م / 58 . 59.

[2] زهر الآداب: الحصري ،42/1.

الفصل الرابع

وظيفة الأديب المسلم ومسؤوليته

قبل الولوج في المهام والأعباء التي تقع على عاتق الأديب المسلم، لابد من الوقوف على تعريف واضح ومحدد للأديب المسلم، وذلك من خلال ما ورد في الذكر الحكيم من وصف للشعراء الذين جندوا ألسنتهم للذود عن محارم الله تعالى والدفاع عن نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم وذلك في قوله تعالى:ـ (**يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) (224) (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ) (225) (وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ) (226) (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)** **(الشعراء 224 : 227)** .

الصفة الأولى: **التي وصف بها رب العزة والجلالة هذه الفئة هي الإيمان** (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا) **والإيمان هو وحدانية الله تعالى، والتصديق بما جاء به الرسول الكريم ε. والإيمان مصدر العطاء للأديب المسلم، لأن فكره وشعوره وأحاسيسه وعلمه وسلوكه ما هي إلا شكل من أشكال هذا الإيمان فطاب عطاؤه من طِيب مصدرِه .**

والصفة الثانية: العمل الصالح (**وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**) .

والعمل الصالح ترجمة حقيقية للسلوك القويم ويُدخل الشاعرَ المسلم في زمرة الذين يقولون ما يفعلون قال تعالى:ـ (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ) (2) (كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ) (الصف2 : 3)** ، فالجوارح عبارة عن ترجمان لما وقر في القلب.

أما الصفة الثالثة: **فهي ذكر الله سبحانه وتعالى:ـ** (وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً).

والذكر هو أفضل أنواع العبادات، وفضل الذكر ورد في آيات كثيرة من القرآن الكريم كقوله تعالى:ـ ((الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (آل عمران:191) . **ومما ورد في فضل الذكر في السنة النبوية الشريفة ما رواه أبو الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ε " ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا: بلى يا رسول الله قال: ذكر الله ".** [1]

والصفة الرابعة:ـ (**وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا**) ، فالمسلم حريص كل الحرص على عزته وكرامته لأنهما مصدر قوته، هذه القوة التي يحبها الله تعالى ورسوله فالمؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وهذه القوة التي يتمتع بها الأديب المسلم عبارة عن قوة مادية وقوة معنوية، فوثبة المسلم للحق لينتصر لنفسه أي رد أي عدوان أو أذى يلحق به كفرد من أفراد الأمة المسلمة وفي رده لهذا الظلم والعدوان حماية للمجتمع المسلم أو الأمة المسلمة ككل فلا تكون هذه الأمة لقمة سائغة لكل من تسول له نفسه محاولة النيل منها.

ويقع على عاتق الأديب المسلم الملتزم بحدود الله تعالى وسنة نبيه الكريم، مهام عديدة و متشبعة، وينبغي له أن يضطلع بهذه المهام، كما ينبغي عليه النهوض برسالة عظيمة تجاه دينه وتجاه مجتمعه، أي عليه خدمة معينة يقدمها لمجتمعه في أي مجال من مجالات الحياة. وعندما انتدب الرسول ε حسان بن ثابت ورفاقه الكرام من الشعراء الملتزمين للذود عن محارم الله تعالى والدفاع عن نبيه الكريم ε ، كان على علم ودراية تامة بمقدرة هؤلاء الشعراء، وأنهم جديرون بحمل

---

[1] سنن الترمذي : كتاب الدعاء باب فضل الذكر حديث رقم 3377.

المسؤولية التي ألقاها صلى الله عليه وسلم على عاتقهم، فالرسول صلى الله عليه وسلم هو أول من حدد مسؤولية الشعراء تجاه هذا الدين الحنيف.

وهذه الصفات التي تمتع بها الأديب المسلم أهلته للقيام بعدد من الوظائف. وحدد أحمد رحماني وظيفة الأدب بقوله: " والحق أن الاختلاف حول وظيفة الأدب كان منذ زمن بعيد، ففي النقد الكلاسيكي كان التركيز على أن الأدب وظيفته الأخلاق .... المدرسة الفنية ترى أن غاية الأدب محصورة فيه لا تتعداه، فالفن للفن لا غير، والمدارس الأخلاقية التي ترى أن الأدب يجب أن يكون خادماً لحاجات الإنسانية وأنه سيتحول – إذا تخلى عن وظيفته – إلى زخرفة لا ثمن لها ".[1]

وهكذا على الأديب المسلم أن ينهض للقيام بعدد من الوظائف والمسؤوليات تجاه دينه ، وأمته ومجتمعه على النحو التالي:

1 – بناء المجتمعات الفاضلة:

من أهم هذه المهام التي تقع على عاتق الأديب المسلم بناء المجتمعات الفاضلة ، فلابد أن يجند الأديب المسلم قلمه ولسانه ويهيئ نفسه لهذه المهمة الشاقة الصعبة، لأن تربية النشء وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم وتربيتهم من الناحية الخُلقية والروحية تحتاج من المربي إلى صدق النية مع صدق العزيمة والتوجه، فلابد أن يعتني الأديب المسلم بشرح كل تعاليم الإسلام وتقريب مفهومها للأذهان، وبذلك يتمكن من إرساء دعائم الشريعة الإسلامية وتعاليمها السمحة. إضافة إلى إثارة المتعة والترويح البرىء عن النفس. وهذا الدور الذي يقوم به الأديب المسلم في بناء المجتمعات المسلمة قد

---

[1] نظريات نقدية وتطبيقاتها: أحمد رحماني/ 18.

وضع لبناتِه الأولى الأنصارُ رضوان الله تعالى عليهم عندما ساندوا الرسول ε وآزروه ونصروه. وبناء المجتمعات الفاضلة يحتاج إلى أن يعي دوره كواعظ ومرشد.

والواعظ هو الذي يعظ الناس ويرشدهم ويوجههم إلى ما فيه صلاحُهم في الدنيا والآخرة، والعظة فن من فنون الأدب النثرية، وهي أقرب إلى الخطب، وقد ولد هذا اللون الأدبي بمبعثه ε وشب وترعرع في ظل الإسلام. ولأهمية الموعظة في حياة المسلم نجد أنها وردت في القرآن الكريم في عدة مواضع كقوله تعالى:.((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .....) (النحل:125) **ومما ورد من الوعظ في الذكر الحكيم على لسان لقمان وهو يعظ ابنه في قوله تعالى :ـ (** وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (لقمان:13) .

كذلك قوله تعالى:. ((وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ) (لأعراف:145) **وفي لامية كعب بن زهير التي أنشدها في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم عندما جاءه معتذراً ورد لفظ الوعظ التي تفيد معنى النصح والتوجيه والإرشاد وذلك في قوله: -**

نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ قرآن فيها مواعيظ وتفصيل[1]

كذلك قول كعب بن مالك :.

وموعظٌ من ربنا نُهدى بها بلسان أزهر طيب الأثواب
عرضت علينا فاشتهينا ذكرها من بعد ما عرضت على الأحزاب[2]

---

[1] شرح ديوان كعب بن زهير : السكري / 6 . 25.

[2] ديوان كعب بن مالك / 78 .

فالصحابي الجليل أبو هريرة τ كان يقف قاصا(أي واعظاً) على منبره الذي أمر الرسول ε بوضعه له في مسجده الشريف.

ومنهم من كان يبدأ بوعظ نفسه مذكراً إياها بما أعده الله تعالى للمتقين من نعيم أبدي لا يزول ولا يفنى، وفي المقابل ما أعده الله تعالى للكفار من عذاب أليم، كذلك يصور جهنم وما فيها من أهوال يشيب لها الولدان، كقول شاعر الدعوة المحمدية "على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم " عبد الله بن رواحة الذي خاطب نفسه في موقعة مؤتة ليبعد عنها أي مظهر من مظاهر الخوف عند ملاقاة العدو أو الرهبة التي قد تحاول أن تتسرب إلى نفسه لحظة ملاقاة الأعداء و نزالهم :.

أقسمت يا نفسُ لتنزلنه طائعة أو لتُكرَهنَّه
إن أجلب الناس وشدوا الرَنَّة ما لي أراك تكرهين الجنة
قد طال ما كنت مطمئنة هل أنت إلا نطفة في شَنَّة

جعفرُ ما أطيبَ ريحَ الجنة [1]

وقوله طائعة أو لتكرهنة استمد المعنى من قوله تعالى:ـ (**(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِين) (فصلت:11) 0**أما جعفر الذي أشار إليه فهو جعفر بن أبي طالب الذي سبقه بنيل الشهادة.

ومن الشعراء الوعاظ من خص أولاده بالنصح والتوجيه وإن كان الخطاب لعامة الأشبال الصغيرة المسلمة حتى تشب على التقى والفلاح وترتوي نفوسها من تعاليم الإسلام السمحة كقيس بن أبي صرمة بن أنس الذي شرح الله تعالى صدره للإسلام وأتى الرسول ε مبايعاً وأنشد بين يديه الشريفتين قائلاً:.

---

[1] شعر الدعوة الإسلامية: عبد الله الحامد،/ 165.

سـبحوا الله شـرق كـل صـباح طلعـت شمسـه وكـل هـلال
عـالم السـر والبيـان لدينـا لـيس مـا قـال ربنـا بضـلال[1]

ثم يأتي بعدد من المواعظ مستمدة من نفس تشبعت بتعاليم الدين الحنيف يصوغها بروح الوالد الحريص والمعلم الذي جند نفسه لتربية أجيال الغد حتى تحمل مشاعل الدعوة في سبيل الله تعالى عن طريق الموعظة الحسنة:.

يا بَنِيَّ : الأرحامَ لا تقطعوها وصـلوها قصيـرة مـن طـوال
واتقوا الله في ضعاف اليتامى ربما يستحل غير الحلال
وأعلموا أن لليتيم ولياً عالماً يهتدي بغير سؤال
ثـم مـال اليتيـم لا تـأكلوه إن مـال اليتيم يرعاه وال
يا بني التخوم لا تخذلوها إن خذل التخوم ذو عقال
يا بني الأيام لا تأمنوها واحـذروا مكرهـا ومراليـالي
واجمعوا أمركم على البروالتقـ وى وتـرك الخنـا وأخـذ الحـلال[2]

ويظهر جلياً الآثار الإيجابية للتعاليم الإسلامية على الوالد الحكيم، وتناول في نصيحته العديد من الأمور الشرعية للدين فيها رأي واضح وصريح، منها المحافظة على صلة الرحم، كذلك أوصى برعاية اليتيم والمحافظة على حقوقه من قبل وصي شرعي وأن يستعفف من يوكل إليه رعاية أموال اليتامى. وحقوق الجار الذي أوصى

---

(1) السيرة النبوية: ابن هشام 2 / 22، وشعر الدعوة الإسلامية: عبد الله الحامد/ 534.

(2) الإصابة: ابن حجر العسقلاني491/1.

به الرسول ε ، وعلى المسلم أن يعيش في هذه الدنيا كأنه عابر سبيل يقيناً منه أنه سيرحل منها وإن عمر طويلا، وختم الشاعر الحكيم موعظته ناصحاً أولاده أن يتعاونوا على البر والتقوى كما أمر الله تعالى.

كذلك فقد تأمل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الآية الكريمة:ـ (**فإن مع العسر يسرا * إن مع العسر يسرا**) **(الشرح 5 : 6)** التي وردت في سورة الشرح ونظم منها موعظة بلغة القوافي:.

ألا فاصبر على الحدث الجليل ... وداوِ جواك بالصبر الجميل
ولا تجزع، فإن أعسرت يوماً ... فقد أيسرت في الدهر الطويل
ولا تظنن بربك ظن سوءٍ ... فإن الله أولى بالجميل
فإن العسر يتبعه يسار ... وقول الله أصدق كُل قيل
فكم من مؤمن قد جاع يوماً ... سيروى من رحيق سلسبيل[1]

وله أيضاً في تقوى الإله والتواضع:.

أجِدِ الثياب إذا اكتسيت فإنها ... زين الرجال بها تعز وتكرم
ودع التواضع في الثياب تخشعاً ... فالله يعلم ما تُجنّ وتكتم
فرثاث ثوبك لا يزيدك زُلفة ... عند الإله، وأنت عبد مجرم
وبهاء ثوبك لا يضرك بعد أن ... تخشى الإله وتتقي ما يحرم[2]

ولسهولة حفظ الشعر بما يتمتع به من موسيقا داخلية وجرس لم يرفض الرسول صلى الله عليه وسلم تحويل مواعظه إلى كلام موزون مقفى أي نظمها شعراَ، فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها قول الرسول ε لأصحابه:ـ " إنما مثل أحدكم

---

[1] البداية والنهاية: ابن كثير 8 /10.

[2] المصدر السابق 8 /10.

ومثل ماله وعمله ومثل أهله كمثل رجل له ثلاثة أخوة، فقال لأخيه الذي هو ماله حين حضره الموت: قد نزل بي ما ترى فما عندك قال: مالك عندي غنى ولا نفع إلا ما دمت حياً، فإن فارقتني ذُهب بي إلى غيرك . فالتفت النبي ε فقال : أي أخ ترونه ؟ قالوا : ما نرى طائلاَ. قال ثم التفت لأخيه الذي هو أهله فذكر نحوه فقال أقوم عليك فأمرضك فإذا مت غسلتك وكفنتك وحملتك ودفنتك ثم أرجع فأخبر عنك من سأل. قال : فأي أخ ترونه ؟ قالوا: ما نرى طائلاّ، ثم جاء لأخيه الذي هو عمله فذكر له نحوه . فقال أتبعك إلى قبرك وأقيم معك وأونس وحشتك وأقعد في كفنك فلا أفارقك. فقال فأي أخ هذا ؟ قالوا خير أخ "[1]، فقام عبد الله بن كرز فقال: أي رسول الله أتأذن لي أن أقول على هذا شعراً ؟ فقال نعم ، قال فبات ليلة وغدا فقام على رأس رسول الله εفقال:.

وإني ومالي والذي قدمت يدي كداع إليه صحبة ثم قائلٌ
لأصحابه إذ هم ثلاثة إخوة أعينوا على أمرٍ بي اليوم نازلُ

كذلك فقد حدث أن طلب قيس بن عاصم الذي وفد في صحبة بني تميم على النبي ε وطلبوا منه أن يعظهم ولما فرغ عليه الصلاة والسلام من وعظهم، أرادوا أن تصاغ موعظته شعراً حتى تداولها الأجيال لسهولة حفظ الكلام الموزون المقفى، فألهم الله تعالى الصحابي الجليل الصلصال بن الدلهمس بن جندله وكان من بين الجلساء، ونظم أبياتاً تحمل معاني خطبته صلى الله عليه وسلم، واشتملت على العديد من التوجيهات والوصايا وبدأها بتحري الصدق في كل ما يصدر من المرء من أقوال وأفعال، كذلك حذر من عذاب القبر وما فيه من أهوال، ويوم يبعث الله تعالى الخلق

---

[1] الإصابة: ابن حجر العسقلاني،354/2 والحديث أخرجه الرامهرمزي في " أمثال الحديث " ص 112والقزويني في " التدوين في أخبار قزوين " 4 / 122 وإسناده ضعيف جداً كما في " العلل المتناهية " لابن الجوزي 2 / 890 .

ليروا أعمالهم، لذا يعظ كل مسلم ويوصيه بتقوى الله تعالى التي هي العماد والركيزة الأساسية لفعل الطاعات فأنشد:

تجنب خليطاً من مقالك إنما قرين الفتى في القبر ما كان يفعل
ولا بد بعد الموت من أن تعده ليوم ينادى المرءُ فيه فيقبل
وإن كنت مشغولاً بشيء فلا تكن بغير الذي يرضى به الله تشغل
ولن يصحب الإنسان من قبل موته ومن بعده إلا الذي كان يعمل
ألا إنما الإنسان ضيف لأهله يقيم قليلاً بينهم ثم يرحل[1]

ويختم الشاعر لاميته بما ختم به عليه الصلاة والسلام موعظته الشريفة التي تجلت فيها حكمته ε ، فقد شبه وجود الإنسان في هذه الحياة الدنيا بزيارة الضيف، وإن مكث طويلاً فلابد أن يرحل أو يسافر إلى حال سبيله أو إلى ديار أخرى.

أما الشاعر عبدة بن الطبيب فينشد ناصحاً :.

أوصيكُمُ بتُقَى الإله فإنه يعطي الرغائبَ من يشاء ويمنع
وببرِّ والدكم وطاعة أمره إن الأبر من البنين الأطوع
واعصوا الذي يُزجِي النمائم بينكم متنصحاً ذاك السمام المقنع [2]

فقد تناول الشاعر عبدة في نصيحته ثلاثة أمور أساسية :

1. تقوى الله سبحانه وتعالى وعدم الشرك به.
2. بر الوالدين.
3. محاربة كل من يسعى بالخراب بين الناس بنقل النمائم.

---

[1] المصدر السابق2 /87.

[2] المفضليات: تحقيق شاكر هارون الطبعة الثالثة دار المعارف بمصر 1964م /146.

وكل هذه المعاني التي لابد أن يحرص عليها المسلم لأنها من لب العبادة استمد الشاعر مفرداتها من معجم زاخر بالمفردات ذات المعاني السامية والنبيلة وهو القرآن الكريم.

والمواعظُ التي وردت في قوالبَ شعريةٍ كثيرةٌ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أقر ذلك ولم يرفضه، فقام الشعراء بصياغة مواعظه الشريفة شعراً، أي تم تحويلها إلى كلام موزون مقفى، مما شجع العديد من الشعراء للولوج في هذا المجال كالنابغة الجعدي الذي أدلى بدلوه مع الدلاء في هذا المجال:.

الحمد لله لا شريك له ... من لم يقلها فنفسه ظَلَما
المولج الليل في النهار وفي ... الليل نهاراً يُفرج الظُلَما
الخافض الرافع السماء على ... الأرض ولم يبن تحتها دعما
الخالق الباري المصور في الأ ... رحام ماء حتى يصير دما
من نطفة قدرها مقدرها ... يخلق منها الأبشار والنسما
ثم عظاماً أقامها عصب ... ثمت لحماً كساه فالتأما
ثم كسى الريش والعقائق أبـ ... ـشاراً وجلداً تخاله أدما
ثُمَّت لا بد أن سيجمعكم ... والله جهراً شهادة قسما
فائتمروا الآن متى بدا لكم ... واعتصموا إن وجدتم عصما
في هذه الأرض والسماء ولا ... عصمة منه إلا لمن رحِما [1]

كذلك من العظات النثرية القيمة وعظ الإمام علي رضي الله عنه رجلاً طلب منه أن يعظه:. " لا تكن من الآخرة بغير العمل، ويرجي التوبة بطول الأمل. يقول في الدنيا بقول الزاهدين، ويعمل فيها بعمل الراغبين. إن أُعطي منها لم يشبع، وإن مُنع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أُتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي يَنهى ولا ينتهي ويأمر بما لا يأتي. يحب الصالحين ولا يعمل عملهم، ويبغض المذنبين وهو أحدهم. يكره

[1] الشعر والشعراء: ابن قتيبة، 253/1.

الموت لكثرة ذنوبه، ويقيم على ما يكره الموت له، إن سقم ظل نادماً، وإن صَح أمن لاهياً. يُعجب بنفسه إذا عوفي ويقنط إذا ابتلي، إن أصابه بلاء دعا مضطراً وإن ناله رخاء اعترض مغتراً. تغلبه نفسه على ما تظن ولا يغلبها على ما يستيقن، يخاف على غيره بأدنى من ذنبه، ويرجو لنفسه بأكثر من عمله، إن استغنى بطر وفُتن وإن افتقر قنط ووهن، يُقصر إذا عمل ويبالغ إذا سأل. إن عرضت عليه شهوة أسلف المعصية وسَوف التوبة. وإن عَرته محنة انفرج عن شرائط الملة. يصف العبرة ولا يعتبر ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ، فهو بالقول مُدلٌّ ومن العمل مُقِلٌّ، ينافس فيما يفنى ويسامح فيما يَبقى. يرى الغُنمَ مَغرما، والغرمَ مغنما، يخشى الموت ولا يبادر الفَوت. يستعظم من معصية غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه، ويستكثر من طاعته، ما يحقر به من طاعة غيره، فهو على الناس طاعن ولنفسه مداهن. اللغو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء. يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره، ويرشد غيره ويغوي نفسه، فهو يطاع ويعصي ويستوفي ولا يوفي. ويخشى الخلق في غير ربه ولا يخشى ربه في خلقه ". [1]

لقد وعظ الإمام علي كرم الله وجهه هذا الرجل السائل بعظات تفيده حياتيه

الأولى والآخرة. فلم يترك τ أمراً من أمور الدنيا إلا أوضح له صالِحَه من طالحه،

غَثَّه من سمينه، كذلك بين له سبل النجاة من ملذات الدنيا وملهياتها، حتى يكون ممن

يخشى ربه في خلقه.

---

[1] نهج البلاغة: شرح محمد عبده، دار المعارف للمطبوعات، بيروت 1982م 694/1.

كذلك من المواعظ النثرية القيمة موعظة الصحابية الجليلة تماضر بنت عمرو بن الشريد، التي كانت تلقب بالخنساء فقد قدمت خلاصة تجربتها التي استمدتها من عقيدة راسخة آمنت بالله رباً وبمحمد ε نبياً ورسولاً، فوقفت في أبنائها موقف القائد الشجاع من جنوده تشحذ هممهم للذود عن حمى الإسلام وتوضح لهم النعيم الدائم الذي أعده الله تعالى لمن يقاتل في سبيله فخاطبتهم بقولها: . { يا بني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ووالله الذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد كما إنكم بنو امرأة واحدة ما خانت أباكم ولا فضحت خالكم ولاهجنت حسبكم، وقد تعلمون ما أعده الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية قال الله تعالى: .(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**) **(آل عمران:200)** فإذا أصبحتم

غداَ إن شاء الله سالمين فأغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين }.

وهنا نجد أن هذه الأم الواعية والمربية الخبيرة قد حركت في فلذات أكبادها كل بواعث الإيمان وأثارت فيهم حفيظة المسلم الغيور على دينه، وبينت لهم ما وعد الله تعالى به من يقاتل في سبيله ووعده الحق.

ونتيجة لهذه النصيحة التي تعد ديباجة عسكرية من المفترض أن تقوم عليها وتبنى على ضوئها كل قواعد الجندية وضوابطها، خرج الأبناء الأربعة يضعون نصيحة أمهم نصب أعينهم واتجهوا بكلياتهم لله تعالى يبغون إحدى الحسنيين، وصاغوا تلك النصيحة أنشودة عذبة يستلهمون منها كل معاني الثبات وأصبحت مصدرَ قوةٍ لهم، وعندما أصبح الصباح تسابقوا إلى الصفوف الأولى في معركة القادسية وانضم الأول إلى صفوف المقاتلين وهو يردد: .

يا أخوتي إن العجوز الناصحة ... قد نصحتنا إذ دعتنا البارحه
مقالة ذات بيان واضحة ... فباكروا الحرب الضروس الكالحه
وإنما تلقون عند الصائحة ... من آل ساسان الكلاب النابحه
قد أيقنوا منكم بوقع الجائحة ... وأنتم بين حياة صالحه

وكتب الله تعالى له الشهادة ولاقى ربه راضياً مرضياً، فتقدم شقيقه الثاني وهو يحمل لواء الحرب في يده ويحمل بين جنباته كل القيم والمعاني السامية التي تشبع بها من عقيدة سماوية وعاها قلبه وكلمات الأم العجوز الصابرة في مسامعه وحاديه رأيها السديد وحزمها وجلدها، فانطلق في حومة الوغى كالأسد الضاري وهو يردد: .

إن العجوز ذات حزم وجلد ... والنظر الأوفق والرأي السدد
وقد أمرتنا بالسداد والرشد ... نصيحة منها وبراً بالولد
فباكروا الحربَ حماةً في العدد ... إما لفوز بارد على الكبد
أومِيتةٍ تورثكم عزَّ الأبد ... في جنة الفردوس والعيش الرغد

وحقاً فقد كتبت له الشهادة في سبيل الله، و لقى ربه وورث بتلك الشهادة عزا ً أبدياً، وتقدم عندئذ ثالثهم عملاً بنصيحة أمهم العجوز وهو يقسم بالله تعالى أن لا يعصي لها أمراً وترجم نصيحتها أنشودة عذبة يستمد منها الحماس والقوة:.

والله لا نعصي العجوز حرفا ... قد أمرتنا حرباً وعطفا
نصحاً وبراً صادقاً ولطفا ... فبادروا الحرب الضروس زحفا
حتى تلقوا كسرا لفا ... أو يكشفوكم عن جمالكم كشفا
إنا نرى التقصير منكم ضعفا ... والقتل فيكم نجدة وزلفى

ونال الشهادة التي سبقه إليها أخواه السابقان، وهنا جاء دور رابعهم وتقدم للنزال ايماناً بالله الذي فرض شريعة الجهاد على كل مسلم متى دعا داعي الجهاد لقوله تعالى:.(**انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (التوبة:41)** .

فتقدم كاراً في سبيل الله تعالى وهو يشدو:

لست لخنساء ولا للأحزم ... ولا لعمرو ذي السناء الأقدم
إن لم أرد في الجيش جيش الأعجم ... ماض على الهول خضم خضرم

فكتب الله تعالى لهم الشهادة في سبيل إعلاء كلمة الحق ورفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، وعندما بلغ الخبر أمهم لم تلتطم خدودها ولا شقت جيوبها بل احتسبتهم عند الله، وهي الأم الثكلى والشاعرة الفذة التي تجيد كل ضروب الشعر بخاصة فن الرثاء منه، فقد منحها الإسلام الصبر والسلوان وقالت بضع كلمات أضاءت جبين الدهر على مر العصور: " الحمد لله الذي شرفتي بقتلهم وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر رحمته " . [1]

---

[1] الاستيعاب: ابن عبد البر،4/ 289.

وهكذا جسدت هذه الصحابية الجليلة قمة الإيمان وكل معاني الصبر. ومما تقدم يتضح أن مقالة تلك الأم الخبيرة بأمور الدين والدنيا قد جعلت من أولادها أبطالاً يصولون ويجولون في ساحات الوغى لنيل مرضاة الله تعالى.

فإذا كان هذا حالَ الكلمة المنثورة، فإن الكلمة الموزونة المقفية أشد أثراً في نفوس المجاهدين لما تحمله من لحن أو موسيقا داخلية تتجاوب معها الأحاسيس والمشاعر، وبالتالي تتفجر ينابيع البذل والعطاء في سبيل الله تعالى، كذلك الكلمة المنظومة أو اللغة المقفية أسهل رواية من الكلمة المنثورة.

والوصايا لون آخر من ألوان النثر التي ورثها الأدباء من العصر الجاهلي كقول الأعرابية التي أوصت ابنها بقولها: . " أي بني إياك والنميمة، فإنها تورث الضغينة، وتفرق بين المحبين. وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضاً، وخليق ألا يثبت الغرض مع كثرة السهام، وقلما اعتورت السهام غرضاً إلا كَلمته حتى يهي ما اشتد من قوته, وإياك والجودَ بدينك والبخلَ بمالك، وإذا هززت فاهزز كريماً يلن لهِزَّتِك، ولا تهزز لئيماً فإن الصخرة لا ينفجر ماؤها. ومثل لنفسك مثال ،استحسنت من غيرك فاعمل به، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه، فإن المرأ لا يرى عيب نفسه، ومن كانت مودته بشَره وخالف ذلك من فعله، كان صديقه منه على مثل الريح في تصرفها، والغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم، ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحلة ربطتها وسربالها ".[1]

وغير الإسلام التوجه العام للوصايا بعد أن تأثرت بالمفردات القرآنية والروح الإسلامية في مجملها، والصلة وثيقة بين الوصايا والعظات وخطوط التماس دقيقه بينهما، والفرق الوحيد أن الوصية تكون ممن أحس بدنو أجله، ومنها وصية عمر بن الخطاب لابنه عبد الله قبيل وفاته :ـ { أي بني: إذا قام الخليفة بعدي فائته . وقل له: إن عمر بن الخطاب يقرئك السلام، ويوصيك بتقوى الله وحده، لا شريك له، ويوصيك

---

[1] في الأدب العربي القديم: محمد صالح الشنطي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية حائل،الطبعة الأولى 1992م /149.

بالمهاجرين والأنصار، أن تقبل من محسنهم وتتجاوز عن مسيئهم، ويوصيك بأهل الأمصار خيراً، فإنهم غيظ العدو وجباة الفيء، لا تحمل فيئهم إلا عن فضل منهم . ويوصيك بأهل البادية خيراً، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام--------- ". [1]

ونجد وصيته رضي الله عنه تدور في الفلك السياسي، لأنها عبارة عن رسالة لمن يقوم بأمر المسلمين بعده وفي نفس الوقت تزخر بالمعاني الإسلامية.

كذلك من الركائز الأساسية في بناء المجتمعات الفضلة تربية النشء تربية سليمة كما أمر الله سبحانه وتعالى وكما ورد في السنة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، وعلى الأديب المسلم أن ينصب من نفسه معلماَ ومربياً، وطلب العلم فريضة على كل مسلم، ووردت آيات كثيرة تحث على طلب العلم وترفع من شأن أهله كقوله تعالى:ـ (**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ) (27) (وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) (فاطر27 : 28)** .

وقوله تعالى:ـ (**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**) **(التوبة:122)** .

كذلك قوله تعالى:ـ (**(وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ**

---

[01] المعمرون والوصايا: أبو حاتم السجستاني، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية 1961م / 149.

رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً) (النساء:83) .

وعلى الأديب مخاطبة الناس وخاصة النشء منهم بأسلوب تعليمي، كقول قيس بن أبي صرمة بن أنس الأنصاري:.

سبحـــوا الله كـــل صبـــاح طلعـــت شمـــسه وكـــل هـــلال
عـــالم الســـر والبيـــان لدينـــا ليـــس مـــا قـــال ربنـــا بضـــلال [1]

استخدم القرآن الكريم القصة كوسيلة من وسائل التربية: " تربية الروح، وتربية العقل وتربية الجسم، والتوقيع على الخطوط المتقابلة في النفس، والتربية بالقدوة والتربية بالموعظة فهي سجل حافل لجميع التوجيهات " [2]، كذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوظف القصة لجميع ضروب التربية المختلفة: " الغرض التعليمي في القصة النبوية أن هذه القصص التي يسردها النبي ε على صحابته الكرام ليست إلا حلقات من دروس النبوة التعليمية، التي كان يتعهد بها الرسول ε صحابته تثقيفاً وتعليما وتوجيها لهم نحو أحكام الإسلام " . [3]

ومن المهام الكبيرة التي يلقيها الإسلام على كاهل الأديب المسلم القيام بدور القاص أو الكاتب الروائي الملتزم بتعاليم الدين الحنيف الذي يقف دائماً إلى جانب الحق وينتصر للخير ويرفض كل ألوان الشر وأشكاله، وذلك لأن الرواية أو القصة تلعب دوراً كبيراً في تربية النشء وتهذيب النفوس، كما كان الحال في بداية نزول

---

(1) السيرة النبوية: ابن هشام 3 / 511 .

(2) منهج التربية الإسلامية: محمد قطب، دار الشروق بيروت بدون تاريخ/239.

(3) القصص في الحديث النبوي: محمد بن حسن الزير، دار المدني الطبعة الثالثة 1985م/445.

الوحي، فقد أمر الله تعالى نبيه الكريم أن يقص على الناس القصص حتى يخلصوا إلى ما فيها من عظات وعبر:. (**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً**

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (يوسف:111)

إذاً فقد اتخذ القرآن الكريم من هذا اللون من ألوان الأدب وسيلة من وسائل الدعوة إلى الحق عن طريق ما تتمتع به من أسلوب توجيهي وإرشادي، وهنا حاول أعداء الكفر أمثال النضر بن الحارث التصدي لهذا الأسلوب الفريد من أساليب الدعوة، فكان إذا حدث النبي ε الناس بأخبار الأمم الغابرة من خلال ما ورد في القرآن، كان النضر بن الحارث " قاتله الله " يوهم هؤلاء المشركين أن أحاديث محمد ما هي إلا أساطير الأولين، وحدثهم بأخبار الفرس وغيرهم من ملوك الأعاجم، وفي النضر وأمثاله من المشركين لعنهم الله نزل قوله تعالى : .(**وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين**) **(الأنفال :31)** والعظة والعبرة التي يرمي إليها القصص القرآني عدد التراب والرمل والحصى ومنها ما ورد في قصة بقرة بني إسرائيل . [1]

[1] البداية والنهاية: ابن كثير،293/1.

(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً)

(قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً)

(قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)

(قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ)
(قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ)

(قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا)
(قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ)

(قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ)

(قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ)
(قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيهَا)
(قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ)

(وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ)
(فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)
(البقرة67 : 73)

وآفاق القصة الإسلامية واسعة ورحبة، وموضوعاتها تدور في فلك الدين الحنيف والتعاليم الإسلامية وكل ما يهم الإنسان في حياته، إذ لا يوجد هنالك أي شأن من شؤون الحياة خارج نطاق الإسلام.

وعلى الأديب المسلم أن يعي مسؤوليته أمام خالقه، وتجاه مجتمعه، ويجند يراعه للذب عن محارم الله تعالى بما يسوقه من قصص وحكايات، هذه القصص التي تستمد صورها وتشبيهاتها من القصص القرآني.

ومن خلال كل هذه المحاور يستطيع الأديب المسلم أن يترجم الحكمة الإلهية من الاهتمام بالإنسان من الناحية الروحية والجسدية، كذلك يستطيع أن يجنب مجتمعه خطر بعض الآفات والأوبئة الاجتماعية. وإذا تمكن الأديب المسلم من تحقيق هذه الأهداف السامية ينطبق عندئذ عليه قول الله تعالى:. (**(وَالشُّعَرَاءُ .....* (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) (الشعراء:227)**

وبعد أن يؤدي الأديب المسلم دوره كواعظ ومُربٍّ للأجيال، يسخر يراعه للفخر بمآثر الإسلام، ويصُبُ جامَ غضبِه على الكفار.

2. التغني بمآثر الإسلام وذم الأعداء:

الفخر بالمكتسبات التي حققها الإسلام من صميم واجبات الأديب المسلم الملتزم. والفخر من صميم موضوعات الشعر العربي قبل الإسلام أي تمتد جذوره وتعود أصوله إلى العصر الجاهلي، حيث فاخر الشاعر الجاهلي بما ورثه من دين الحنيفية من قيم شكلت منظومة حياته اليومية، أما النوع السالب من العادات والتقاليد (القيم الجاهلية السيئة) التي كان يفاخر بها الرجل في جاهليته تختلف تمام الاختلاف عن الفخر في الإسلام، إذ كان يرتكز هذا النوع من الفخر على ركائز العصبية، كالنسب والحسب والجاه والسلطان والمال وغيرها من العادات السيئة التي كانت سائدة في جاهليتهم كشرب الخمر وغيرها فقد افتخر طرفة بن العبد بإسرافه الشديد في شرب الخمر:.

وما زال تشرابي الخمور ولذتي وبيعي وإنفاقي طريفي ومتلدي
إلى أن تحاشتني العشيرةُ كلُّها وأُفرِدتُ إفرادَ البعير المعبد[1]

أما عنترة العبسي فقد افتخر بشربه الخمر بالرغم من أن فطرته هدته إلى الآثار السلبية التي تترتب على شربها :.

[1] شرح المعلقات السبع: أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، دار القلم بيروت، بدون تاريخ /81.

ولقد شربت من المُدامة بعدما ركد الهواجر بالمشوف المعلم
بزجاجة صفراء ذات أسرة فرنت بأزهر في الشمال مفدم
فإذا شربت فإنني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرمي[1]

أما بالنسبة للفخر تحت مظلة الإسلام الظليلة فقد اختلفت توجهات الشعراء وكيفية تناولهم لهذا اللون من موضوعات الشعر بعد أن منّ الله تعالى عليهم بنعمة الإسلام، فتجلت فيه الروح الإسلامية وما يحيط بها من الطهر والعفاف، وما يكمن بداخلها من الصفاء والنقاء، لذا كان من ضمن المسؤوليات التي تقع على عاتق الأديب المسلم أن يفتخر ويفاخر بالإسلام ويبرز قيمه السامية وتعاليمه التي تدعو إلى الطهر والعفاف، وبذا انسجمت موضوعات الفخر مع مبادئ الإسلام بعد أن تم صَهرُه في القوالب الإسلامية واستمد الشعراء مفرداتهم ومعانيهم وصورهم من المعجم الإسلامي، فانسجم بذلك هذا اللون من الشعر مع العقيدة الإسلامية السمحة لقوله تعالى:. (**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**) **(النجم:32)** .

فأصبح من أهم المفاخر لهم السبقُ إلى الإسلام والالتفافُ حول الرسول صلى الله عليه وسلم، كقول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عندما كان يقف بين القوم مفاخراً بحسبه ونسبه وسبقه إلى الإسلام، إذ كان أول من أسلم من الصبيان، وسبب هذه القصيدة كما حكى ابن كثير أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى علي بن أبي طالب يذكر له فضائله الكثيرة فانفعل ثم قال اكتب يا غلام:.

محمدٌ النبيُّ أخي وصِهْري وحمزةُ سيدُ الشهداء عمي

---

[1] المرجع السابق /206.

وجعفـرٌ الـذي يُمســي ويُضـحي يطيــر مــع المــلائكة ابــنُ أمــي
وبنــتُ محــمد سَــكَني وعُرســي مســوط لحمهــا بــدمي ولحمــي
وســبطا أحمــدٍ ولــداي منهــا فأيكُــمُ لــه سهــم كسهمــي
سبقتكــمُ إلــى الإســلام طُــراً صغيــراً مــا بلغــت أوانَ حُلمــي[1]

وله أيضاً :.

أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي معــه ربيــت، وســبطاه همــا ولــدي
صدقتــه، وجميــع النــاس فــي بُهُــم مــن الضــلالة والإشــراك والنكــد
فالحمــد لله شــكراً، لا شــريك لــه البــر بالعبــد، والبــاقي بــلا أمــد[2]

كذلك من مفاخره τ يوم الخندق عندما فاخر بنصرة دين محمد" ε بينما نصر أهلُ الشرك والضلالة الأصنامَ ، و كذلك يفاخر بنصرة الله تعالى للذين آمنوا :.

نصــر الحجــارة مــن سفــاهة رأيــه ونصــــرت رب محمــــد بصــــوابي
فصــدرت حــين تركتــه متجــدلاً كالجــذع بيــن دكــادك ورواب
وعففــت عــن أثوابــه ولــو اننــي كنــت المقطــرَ بَزنَّــى أثــوابي
لا تحســبن الله خــاذلَ دينِــه ونبيِــه يــا معــشرَ الأحــزاب [3]

وافتخر القعقاع بشجاعته وفروسيته وهو الذي قال عنه أبو بكر الصديق: " لا يهزم جيش فيه القعقاع ":

أنــا الهمــام الفــارس القعقــاع ليــث شــجاع ضــيغم مطــاع

---

(1) البداية والنهاية: ابن كثير 8 /9.
(2) المصدر السابق 8/ 9.
(3) السيرة النبوية: ابن هشام175/2.

وبحســـامي تشـــوى الأضـــلاع وتقطـــع الهامـــات والأضـــلاع
مـــن الحيـــاة تقطـــع الأطمـــاع وتهـــدم الحصـــون والقـــلاع
يفـــر مـــن أغـــرى بـــه النـــزاع منـــــي إذا احتـــــكت الأدراع
وللأعـــادي طـــال منـــي البـــاع وســـيد مهـــذب شـــجاع [1]

وجهر سعد بن أبي وقاص بصوته عالياً والنشوة تملأ كل كيانه ومصدر فخره اعتزازه بشجاعته وفروسيته، فقد تمكن من ردع أعداء الله ورسوله، وبذا نال لقب أول من صوب سهمه ضد المشركين ففرق شملهم وشتت جمعهم وسجل هذا النصر العظيم الذي حققه لنصرة دين الله بقوله:.

ألا هـــل أتـــى رســـول الله أنـــي حميـــت صـــحابتي بصـــدور نَبْـــلي
أذود بـــــها أوائلهـــــم ذيـــــادا بكـــل حزونـــة وبكـــل ســـهل
فمـــا يعتـــد رام فـــي عـــدو بسهـــم يـــا رســـول الله قبلـــي
وذلـــك أن دينـــك ديـــن صـــدق وذو حـــق أتيـــت بـــه وعـــدل
يُنـــجي المؤمنـــون بـــه ويُجـــزي بـــه الكـــفار عنـــد مقـــام ســـهل[2]

وافتخر قيس* بن المكشوح بقتله للأسود العنسي أحد أركان الشرك:.

مـــا أن رأيـــت أو ســـمعت بمثـــله يومـــاً كيـــوم الأســـود الكـــذاب
دعانـــا رســـول الله مـــن دون قومنـــا إلـــى قتلـــه مـــن بعـــد طـــول عتـــاب
فجللـــنه فـــي رأس غمـــدان ضـــربة بـــكف مـــراديّ الـــنجاد لبـــاب [3]

---

[1] في الأدب العربي القديم: محمد صالح الشنطي/189.

[2] السيرة النبوية: ابن هشام 2/ 56.

[3] الاستيعاب: ابن عبد البر 3/ 226. *(قيس بن المكشوح من الفرسان الذين أسلوا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ابن أخت عمرو بن معد يكرب وكان قيس أحد الذين أبلوا بلاءً حسناً في معركة القادسية).

كذلك كان من ضمن المآثر التي فاخر بها الأنصار نصرتهم للإسلام، ووصف شاعرهم حسان بن ثابت بكل فخر واعتزاز موقف قومه عندما هاجر الرسول ε من مكة إلى المدينة : .

نصرنـــا وآويـــنا النبـــي محمـــدا عـــلى أنـــف راض مـــن نعـــد وراغـــم
نصـــرناه لمـــا حـــل وســـط رحالنـــا بأسيافـــنا مـــن كـــل بـــاغ وظـــالم
جعلنـــا بنيـــنا دونـــه وبناتـــنا وطبنـــا لـــه نفســـاً بفـــيء المغـــانم [1]

ولم ينته دور الأنصار عند هذا الحد أي نصرة الرسول ε بل جعلوا أخوانهم المهاجرين شركاء لهم في أموالهم وديارهم، وكانت هذه من المفاخر التي افتخر بها شاعر الأنصار النعمان بن عجلان:.

نصـــرنا وآوينـــا النبـــي ولـــم نخـــف صـــروف الليـــالي والعظـــيم مـــن الأمـــر
وقلـــنا لقـــوم هـــاجروا مرحبـــاً بكـــم وأهـــلاً وســـهلاً قـــد أمنـــتم مـــن الفقـــر
نقـــــاسمكم أموالنـــــا وديـــــارنا كقســـمة آبـــار الجـــذور علـــى الشَّـــطر
ونكفيـــكم الأمـــر الـــذي تكرهونـــه وكنـــا أناســـاً نُـــذهب العســـر باليســـر [2]

وحُقَّ لشاعرٍ له مثلُ هذه العشيرة أن يفتخر بها. ويشيد شاعر الدعوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم بأن هذه القوة والمنعة وهذه الريادة والسيادة ما هي إلا شيْ متأصل في قومه فقد فطروا عليه حتى في جاهليتهم، أي كان ذاك شأنهم وحالهم بين القبائل في سالف الأزمان.

وبشروق شمس الإسلام كان لهم السبق والفضل في الإيمان بالله تعالى، وما أنزله على نبيه محمد ε فزادوا إلى أمجادهم القديمة مجداً آخر أقيم، وأرفع شرفاً وهو

---

[1] شعر الدعوة الإسلامية: عبد الله الحامد / 318.

[2] الإصابة: ابن حجر العسقلاني 3/ 352.

السبق إلى الإيمان، وأضافوا إلى عزهم القديم عزاً منيعاً سياجه القرآن ويحفه التقى والعفاف، وكأن الشاعر عقد موازنة بين مكانة قومه بين القبائل في عصور الظلام وبين المكانة العظيمة التي نالوها بفضل الإسلام:.

وكنـــا ملـــوك النـــاس قبـــل محمـــد فلمـا أتـى الإسـلام كـان لنـا الفضـل

إلى أن يقول :.

أولئـك قـومي خيـرُ قـوم بأسـرهم ولـيس علـى معروفـهم أبـداً شـكْلُ
وقـــائلهم بالحـــق أولُ قائـــل فحكمهـمُ عـدل وقـولهمُ فصـل [1]

وله أيضاً :.

الله أكرمنـــا بنصـــر نبيـــه وبنـــا أقـــام دعـــائم الإســـلام
ينتابنـــا جبريـــل فـــي أبياتـــنا بفـــرائض الإســـلام والأحكـــام
يتـــلو علينـــا النـــور فيهـــا مُحْـــكماً قســـماً لعـــمرك لـــيس كالأقـــسام
فنـــكون أول مستحـــل حلالـــه ومحـــرم الله كـــل حـــرام [2]

ومن الذين افتخروا أيضاً بالقبيلة نافع بن الأسود، فقد كان كثير الإشادة بأفعال قومه وذكر خصالهم الحميدة بصورة عامة وقبيلته على وجه الخصوص، وبين طيات هذا الفخر وثناياه يشير إلى بطولات المسلمين الذين كانوا يجاهدون في سبيل الله تعالى، ففي معركة القادسية تلك المعركة الضروس التي دارت رحاها في أرض الرافدين وبلاد فارس يشيد الشاعر ببطولات قومه وما حققوه من أمجاد في ظل الإسلام:.

وقـال القضـاة مـن معـد وغيرهـا تميمـك أكفـاء الملـوك الأعاظـم

---

[1] ديوان حسان بن ثابت / 328 . 329.

[2] المصدر السابق /233.

هــم أهــل عــز ثابــت وأرومــة وهـم مـن معدِّ فـي الـذرى والغلاصـم
وهــم المـــال لجـــار مـــا ثـــوى وهـم يطعمـون الدهـر ضـربة لازم
لــذلك كــان الله شــرف فرســانها فـــي الزمـــان الأول المتقـــادم [1]

وبعد أن فاخر بمآثر قومه عبر العصور الماضية ونعتهم بكل صفة كريمة في حال السلم وفي حال الحرب ، بعدئذ دلف إلى تصوير واقع هذه القبيلة وحالها بعد الإسلام :.

وحيــن أتــى الإســلام كــانوا أئمــة وبـــادوا معـــداَ كلهـــا بالجرائـــم
إلــى هجــرة كانــت ســناءً ورفعــةً لبـــاقهم فيهـــم وخيـــر مراغـــم
فجـاءت بهـم وفـي الكتائـب نصـرة فكـانوا حمـاة النـاس عنـد العظـائم
فصـفوا لأهـل الشـرك ثـم تكبكبـوا وطـاروا علـيهم بالسـيوف الصـوارم
لـدى غـدوة حتـى تولـوا تسـوقهم سـيوف تميـم كالليـوث الضـراغم

ومن عيون شعر النابغة الجعدي رائيته التي يفتخر فيها بقومه :.

ومهمــا يقــل فينــا العــداة فإنهــم يقولون معروفاً وآخر منكرا
ومــا علمــت مــن عصــبة عربيــة كـــميلادنا منـــا أعـــز وأكبـــرا
وأســرع منــا إن طردنــا انصــرافه وأكــرم منــا إن طردنــا وأظفــرا
وأجــدر ألا يقصــروا عــن كرامــة ثويــاً وإن كــان الإقامــة أشــهرا
بلغنــا الســماء مجــدنا وجــدودنا وإنــا لنرجــو فــوق ذلــك مظــهرا*[2]

---

[1] الإصابة: ابن حجر العسقلاني 3 / 58.

[2] ديوان النابغة الجعدي: الطبعة الأولى 1964م ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر دمشق /51 .52 قصة النابغة مع النبي ε أخرجها البراز في مسنده قال الهيثمي في " مجمع الزوائد " 8 / 126 : وفي سنده يعلي بن الأشدق وهو ضعيف .

وعندما بلغ الفخر مداه سأله الرسول ε إلى أين يا أبا ليلى ؟ فرد عليه ببديهة حاضرة إلى الجنة يا رسول الله فبشره عليه الصلاة والسلام بالجنة التي أعدها للمتقين من عباده.

وافتخر شاعر الرسول ε بالمهاجرين وأثنى عليهم، وذلك عندما وفد على النبي ε وفد بني تميم بغرض الفخر بمآثرهم ومفاخرهم، وعندما أنشد شاعرهم الزبرقان بن بدر عينيته التي استهلها بقوله:.

نحن الكِرَامُ فَلا حَيٌّ يُفَاخِرُنَا ... فِينَا المُلُوكُ وفينَا السادة الرُّفَعُ
وكم قَسَمْنَا من الأحْيَاء كلهمُ ... عند النِّهابِ وفضلُ العِزِّ يُتبَعُ
ونَحْن يُطعَمُ عند المَحْل مُطْعِمُنَا ... من السدِيفِ إذا لم يُؤنس القزَع
فما ترى الناس تَأتينا سراتهم ... من كل أوْبٍ هويّاً ثم يندفعوا
فننحر الكوَمَ عُبْطاً في أرُومتهَا ... للنازلين إذا ما أنزِلوا شَبَعُوا
ولا ترانا إلى حَيٍّ نُنَازِعُهُمْ ... إلا استَفَادُوا وإلاَّ الرأسُ يُقتطعُ
فمَنْ يُعَادِلُنَا في ذاك نعْرِفُه ... فَيُرْجِعُ القَوْلَ والأخْبارُ تسْتَمَعُ
إنَّا أبَيْنَا ولم يأب لنَا أحدٌ ... إنّا كذلك عندْ الفَخِر نَرتَفِعُ (1)

وعندما انتهى شاعرهم أرسل الرسول ε لحسان بن ثابت وعندما علم بخبر وفد بني تميم الذين وفدوا مفاخرين خرج وهو يردد ميميته التي يقول فيها:.

منعنَا رَسُولَ اللهِ إذ حَل وَسْطنا ... على أنفِ رَاضٍ من مَعَدٍّ ورَاغِم
مَنعنَاهُ لمَّا حَلّ وَسْط بيُوتِنا ... بأسْيافنَا من كلِّ بَاغٍ وظالم

(1) شعر الدعوة المحمدية: عبد الله الحامد / 379.

جَعَلنـــا بَنِينـــا دُونـــه وبَناتِـــنا ... وطِـبنَا لَـهُ نَفـْساً بِفـيءِ المَغـانِمِ
ونحـن ضَرَبْنـا النـاسَ حتـى تتـابعوا ... علـى دِينـه بالمرْهفَـاتِ الصَّـوَارِمِ
ونحـن وَلـدْنا مـن قرَيـشٍ كريمَهَـا ... ولـدنا نـبَيَّ اللهِ مـنَ آل هَاشِـمِ
هل المَجْد إلا السُّؤْدُدُ العَوْدُ والندَى ... وَجَـاهُ المُلـوكِ واحْـتِمَالُ العَظـَائِمِ
لنا المُلك في الإشراك والسبق في ... الهدى ونصر النبي واحتمال العظائم
بنـــي دارمٍ لا تفخـــروا إن فخـــركم ... يعـود وَبَـالا عنـد ذكـركم المكـارم
هبَلتـــم عَلَيْنـــا تَفخـــرُونَ وأنـــتُمُ ... لنَـا خِـوَلٌ مـن بَـينَ ظِئـرٍ وخَـادِم
فـإن كـنْتم جِئـتم لِحَقـنِ دِمَـائِكمْ ... وأمـوالِكمْ أنْ تقسَـمُوا فِـي المقـاسم
فـــلا تجْعَلـــوا للهِ نِـــدًّا وأسْـــلِمو ... ولا تلبَسُـوا زِيـا كـزي الأعاجـم
وإلاَّ أبَحْنـــاكمْ وسُقنـــا نِسَاءَكـــمُ ... بصـم القنـا والمقربـات الصـلادم
وأفضَـل مـا نِلـتم مـن المَجْـدِ والعُـلا ... ردافتنـا عنـد احتضـار المـواسم[1]

وعندما مثل شاعر النبوة بين يدي رسول الله ε ، أعاد الزبرقان على مسامعه عينيته، فارتجل حسان τ

قصيدته العينية التي تعد من عيون شعره ، فلقفت كل ما قاله شاعر بني تميم كما لقفت عصا موسى ما صنعه سحرة فرعون:.

إن الـذوائب مـن فِهـر وإخوتهـم ... قـد بينـوا سـنة للنـاس تتبـع
يرضـى بهـا كـلُّ مـن كانـت سـريرتُه ... تقـوى الإلـه وبـالأمر الـذي شـرعوا
قـوم إذا حـاربوا ضـروا عـدوَّهم ... أو حـاولوا النفـع فـي أشـياعهم نفعـوا
سـجية تلـك فـيهم غيـر محدثـة ... إن الخلائـق فـاعلم شـرها البـدع
إن كـان فـي النـاس سباقون بعدهم ... فكـل سـبق لأدنـى سـبقهم تبـع
أعفـة ذكـرتْ فـي الـوحي عفـتُهم ... لا يطمعـون ولا يـردي بهـم طمـع
كـم مـن صـديق لهـم نـالوا كرامتـه ... ومـن عدو عليهم جاهد جدعوا

[1] شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري: البرقوقي/ 384.

أعطوا نبي الهدى والبرِ طاعتهم فما ونا نصرُهم عنه وما نزعوا
نَسْموا إذا الحرب نالتنا مخالبُها إذ الزعانف من أظفارها خشعوا
لا فخر إن هم أصابوا من عدوهم وإن أصيبوا فلا خور ولا جزع
كأنهم في الوغى والموت مكتنع أسْد ببيشة في أرساغها فدع
أكرِمْ بقوم رسول الله شيعتهم إذا تفرقت الأهواء والشيع
أهدي لهم مدحتي قلب يؤازره فيما يُحَبُّ لسانٌ حائك صَنَعُ [1]

ومن التوجهات التي استحدثها الإسلام في فن الفخر، أن الشاعر أصبح يفتخر بتركه كل أفعال الجاهلية وإقباله على الإسلام بكلياته، فقد قدم الصحابي الجليل ضرار بن الأزور بن مرداس الأسدى " رضى الله عنه" إلى الرسول ε ليعلن عن المبادىء الإسلامية الجديدة التي أصبحت تسير دولاب حياته، وكان قد ترك خلفه ألف بعير برعاتها وعندما مثل في حضرته الشريفة أنشده:

خلعت القداح وعزف القيا ن والخمر أشربها والثمالا
وكري المجير في غمرة وجهدي على المشركين القتالا
وقالت جميلة : بددتنا وطرحت أهلك شتى شمالا
فيا رب لا أغبنن صفقة فقد بعت أهلي ومالي بدالا [2]

لقد ترجم هذا الصحابي الجليل رضوان الله عليه ما ورد في نص الآية الكريمة:ـ **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (المائدة:90) .**
إلى عمل بعد أن وعى قلبه وعقله ما فيها من خير وفلاح ، وذلك هو الفوز العظيم، ودعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: " ما غبنت تجارتك يا ضرار ".

---

[1] ديوان حسان بن ثابت / 245.

[2] أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري مطبعة الشعب بمصر 1970م 3 / 39.

ومن الشعراء من فاخر بهجره للشعر بعد أن من الله تعالى عليه بنعمة الإسلام وأقبل على كتاب الله تعالى يتلوه ويتدبر معانيه كسويد بن عدي :.

تركـــت الشـــعر واســـتبدلت منـــه إذا دعـــى منـــادي الصـــبح قامـــا
كتـــاب الله ليـــس لـــه شـــريك وودعـــت المُدامـــة والنـــدامى[1]

ومما جاء في الفخر المنثور خطبة السيدة عائشة رضى الله عنها، فقد حدث أن سمعت أن قوماً يتناولون أبا بكر τ ، فأرسلت إلى جماعة من الناس فلما حضروا أسدلت أستارها، ثم قالت:ـ" أبي وما أبيه ! أبي والله لا تعطوه الأيدي، ذلك طود منيف، وفرع مديد، هيهات، كذبت الظنون، أنجح إذ أكديتم، وسبق إذ ونيتم، سبق الجواد إذا استولى على الأمد، فتى قريش ناشئاً، وكهفها كهلاً، يفك عانيها، ويريش مُملقها، ويرأبُ شعبها ويلم شعثها، حتى حليثه قلوبها، ثم استشرى في دين الله، فما برحت شكيمته في ذات الله عز وجل، حتى اتخد بفنائه مسجداً، يحيي فيه ما أمات المبطلون .

فأكبرت ذلك رجالات من قريش، فجبت قسيها وفوفت سهامها، وامتثلوه غرضاً، فما فلوا له صفاة ولا قصفوا له قناة، ومر على سياسته فلما قبض الله نبيه محمد ε ضرب الشيطان رِواقه، ومد طنبُه، ونصب حبائله، وأجلب بخيله ورَجله، واضطرب حبل الإسلام، ومرج عهده، وماج أهله، وبـُغى الغوائل، فظنت رجال أن قد أكثبت أطماعهم، ولات حين الذي يرجون. وأنـَّى والصدِّيق بين أظهرهم؛ فقام حاسراً مشمرا، فجمه حاشيتيه، ورفع قطريه، فرد رَسن الإسلام على غربه، ولمّ شعثه بِطِبِّه، وانتاش الدين فنعَشه، فلما أراح الحقَّ على أهله، وقرر الرءوس على كواهلها، وحقن الدماء في أهبُها، أتته منيته، فسد ثـُلمته بنظيره في الرحمة، وشقيقه في السيرة والمعدلة، ذلك ابن الخطاب، فلله در أمٍّ حملت به، ودرت عليه، لقد أوْحدت به، ففتح الكفرة

---

[1] الأمالي: أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة 1926 م 1/ 205.

وديـَّخها، وشرد الشرك شذر مذر، وبـَعج الأرض وبـَخعها، فقامت أكلها، ولفظت خبْأها، تزَأمه ويصدِف عنها، وتصدَّى لها ويأباها، ثم وزع فيها فيئها، وودعها كما صحبه.

فأروني ماذا ترتؤون ؟ وأي يوم أبي تنقمون ؟ أيوم إقامته إذ عدل فيكم، أم يوم ظعنه إذ نظر لكم ؟ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم" ثم أقبلت على الناس بوجهها، فقالت: " أنشدكم الله، هل أنكرتم مما قلت شيئاً ؟ قالوا : اللهم لا ".[1]

افتخرت الصديقة بنت الصديق عائشة رضى الله عنها، وحق لها أن تفاخر، بمن لقبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالصديق، ثم دلفت إلى عهد خليفته عمر بن الخطاب رضى الله عنه، الذي سار على نهج الرسول ε و صاحبه أبي بكر الصديق τ ، ووضحت سيرته التي انتهجها ولإقامته للعدل أسوة بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم و خليفته أبي بكر الصديق τ .

ومن صور التغني بالمآثر الإسلامية المديح وهو توأم الفخر، والعلاقة بينهما وثيقة العُرى، فإذا كان الفخر يدغدغ الأحاسيس الداخلية والشعور الخفي في نفسية الشاعر فتتفجر ينابيع عطائه وتسيل أودية وأنهاراً عذبة لذة للشاربين، فالمديح يدغدغ مشاعر الممدوح ويحرك مشاعره الطيبة بمجرد ذكر مناقبه أو الإشارة إليها، فتتحرك الرغبة فيه لفعل الخيرات أو الاستزادة منها، لذا كان المديح من ضمن الموضوعات الشعرية التي تناولها العرب في جاهليتهم فقد مدح زهير بن أبي سُلمى الهرم بن سنان بن حارثة:.

قـوم أبـوهم سـنان حـين تنسـبهم ... طـابوا وطـاب مـن الأولاد، مـا ولـدوا
لـو كـان يقعد فـوق الشمس من كرم ... قـوم بـأولهم، أو مجـدهم، قعـدوا
إنـس إذا أمنـوا ، جـن إذا غضـبوا ... مـرزؤن بهـا ليـل إذا اجتـهدوا

---

[1] العقد الفريد: ابن عبد ربه 2/ 206.

ولـو كـان يخلـد أقـوام بمجدهـم أو مـا تقـدم مـن أيـامهم خلـدوا
محسـدون علـى مـا كـان مـن نعـم لا ينزع الله منهم ماله حسدوا [1]

وحكى صاحب العقد الفريد ابن عبد ربه: أن عمر بن الخطاب τ عندما سمع مدح زهير بن أبي سُلمى في الهرم جثا على ركبتيه وقال: " ما لهذا الشاعر قاتله الله لقد قال كلاماً ما كان ينبغي أن يقال إلا في أهل رسول الله ε لما خصهم الله به من النبوة والكرامة ".

كذلك مدح الحارث بن حلزة الملك قيس بن شرحبيل بن همام بعد أن وصف ناقته بقوله:.

خـــذم نفائلهـــا بطـــرن كأقـــ طـــاع الفـــراء بصحصـــح شـــاس
أفـــلا تعديـــها إلـــى ملـــك شـــهم المقـــادة ماجـــد الـــنفس
وإلـــى ابـــن ماريـــة الجـــواد وهـــل شـــروي أبـــي حســـان فـــي الإنـــس
يجبـوك بـالزعف الفيـوض علـى هيمـــانها والدهـــم كـــالغرس
وبالســـبك الصـــفر يضـــعفها والبغايـــا البيـــض واللعـــس
لا يرتجـــي للمـــال يهلكـــه ســـعد النجـــوم إليـــه كـــالنحس
فلـــه هنالـــك لا عليـــه إذا دنعـت أنـوف القـوم للتعـس[2]

وورث شعراء الإسلام فن المديح، إذ كان غالبيتهم من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا شطراً من حياتهم في الجاهلية وشطراً في الإسلام وهم كُثر. وكما تغيرت توجهات الشعراء الإسلاميين في الفخر أيضاً تغيرت في المديح بعد أن من الله تعالى عليهم بنعمة الإسلام، وتغيرت الملامح الدقيقة لهذا اللون من الألوان الشعرية، وأصبح

---

(1) العقد الفريد: ابن عبد ربه 3/ 107.

(2) موسوعة الشعر العربي: مطاع صفدي وإيليا حاوي، تحقيق أحمد قدامة المجلد الأول الشعر الجاهلي شركة خياط للكتب والنشر 1974م 1/ 368.

الشعراء يتناولون الفضائل الدينية في الممدوح، وهذا القول لا يتعارض مع حديث رسول الله ε في المداحين، فقد مدح رجل رجلاً عند ابن عمر فجعل ابن عمر يحثو التراب نحو فيه وقال: قال: رسول الله ε " إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب "، [1] لأن المديح الذي أراده الرسول ε هو مدح الرجل بما فيه و لا يدخل هذا في باب النفاق.

وصدق المشاعر من الشروط الأساسية لتقييم أي عمل فني ومن ذلك قول حسان بن ثابت:.

وإنما الشعر لب المرء يعرضه على المجالس إن كيساً وإن حمقا
وإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقا[2]

وفتح الإسلام الباب على مصراعيه لمن أرد أن ينافح ويدافع عن العقيدة الإسلامية والدعوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، وراح الشعراء يمدحونه صلى الله عليه وسلم بل يتبارون في ذلك، فقد تجسدت فيه كل القيم والمثل " **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الأحزاب:21)** فهو القدوة الحسنة لكل من شرفه الله تعالى بالانتماء إلى شريعته و استجاب لدعوة محمد ε، وتمام الإيمان لا يكون إلا بمحبته صلى الله عليه وسلم ، كذلك الفطرة السليمة في الإنسان تميل إلى جمال الأخلاق فكان ε أجمل الناس خلقاً وخُلقاً وأعظمهم إحسانا ورحمة، وعندما سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن أخلاقه ارتقت إلى المشهد القرآني وأجابت :

---

[1] الأدب المفرد: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، مكتبة أفسيت 1970م /149والحديث أخرجه كذلك أحمد في مسنده (5426) بسند صحيح واخرجه مسلم في صحيحه (5323) من حديث المقداد بن عمرو .

[2] ديوان حسان بن ثابت /169.

كان خلقه القرآن، وصلى الله وسلم على من كان على خلق عظيم. وقد أجمع الناس على تقديم قول كعب بن زهير في مدح المصطفى ε وذلك في قوله:.

تحملــه الناقــة الأدمــاء معتــجراً بــالبرد كالبــدر جلــى ليلــة الظلّــَم
وفــي عطــا فيــه أو أثنــاء ربطتــه مــا يعلـم الله مـن ديـن ومـن كـرم [1]

كذلك تناول كعب بن زهير شجاعته ε في لاميته المشهورة " أو البردة " ،التي شغلت مساحة واسعة في تاريخ الأدب العربي على مختلف العصور ، واحتلت حيزاً كبيراً من اهتمام أهل الأدب والباحثين، وقد يكون الباعث الحقيقي لكل هذا الاهتمام مناسبة القصيدة والظروف التي ألقيت فيها، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استحسن هذه القصيدة أيما استحسان من شاعر مثل بين يديه الشريفتين متخفياً، لأن الرسول ε كان قد أهدر دمه لما سببه من أذى للإسلام والمسلمين، وجاء ومد يده بيضاء من غير سوء إلى الرسول الكريم وأنشده:.

إن الرســول لنــور يستضــاء بــه مهنــد مــن سيــوف الله مســلول

وعندما أنشد كعب هذه القصيدة قال له الرسول ε :.

" لو لا ذكرت الأنصار بخير فإنهم لذلك أهل " فقال فيهم كعب :.

مــن ســره كــرم الحيــاة فــلا يــزل فــي مقنــب مــن صالحــي الأنصــار
ورثــوا المكــارم كــابراً عــن كــابر إن الخيــار هــم بنــي الأخيــار
المكرهيــــن الســــمهري بــــأذرع كســوالف الهنــدي غيــر قصــار
والناظــــرين بأعيــــن محمــــرة كــالجمر غيــر كليلــة الأبصــار

---

[1] البداية والنهاية: ابن كثير 4/ 373.

والبـــائعين نفوســـهم لنبيـــهم ... للمـــوت يـــوم تعـــانق وكـــرار
والذائـــدين النـــاس عـــن أديـــانهم ... بالمشـــــرفي وبالقنـــــا الخطـــــار
يتطهـــرون كأنـــه نســـك لهـــم ... بدمـــاء مـــن علقـــوا مـــن الكفـــار
دَرِبـــوا كمـــا دربـــت بـــبطن خفيـــة ... غلـب الرقـاب مـن الأسـود ضـواري
وإذا حللـــــت ليمنعـــــوك إلـــــيهم ... أصـــبحت عنـــد معاقـــل الأعفـــار
لـــو يعلـــم الأقـــوام علمـــي كلـــه ... فـــيهم لصـــدقني الـــذين أمـــارى
قـــوم إذا خـــوت النجـــوم فـــإنهم ... للطـــــارقين النازليـــــن مقـــــاري
فـي الغـر مـن غسـان مـن جرثومـة ... أعيـت مخافرهـا علـى النقـار [1]

والشاعر المسلم الملتزم عندما هيأ نفسه وجند لسانه ووظفه لمدحه ε ووصف خُلقه وخلقه، إنما كان يؤكد محبته لرسوله الكريم التي يستمدها من محبته وطاعته لله سبحانه وتعالى، وعندما عدد شمائله وخصاله إنما وضح لنا الطريقة التي ينبغي أن تكون عليها أخلاق المسلم الذي ارتضى الإسلام ديناً ومحمداً ε نبياً ورسولاً ، ومما جاء في مدحه ε قول حسان بن ثابت الأنصاري:.

أغـــر عليـــه للنبـــوة خاتـــم ... مـــن الله مـــن نـــور يـــلوح ويشـــهد
وضـم الإلـه اسـم النـبي إلـى اسـمه ... إذا قـال فـي الخمـس المـؤذن أشـهد
وشـــق لـــه مـــن إســـمه ليجلـــه ... فـذو العـرش محمـود وهـذا محمـد
نبـــي أتـــانا بعـــد يـــأس وفتـــرة ... من الرسل والأوثـان فـي الأرض تعبد
فأمسـى سـراجاً مستنـيراً وهاديـا ... يلـوح كمـا لاح الصـقيل المهـنَّد

وأنـــذرنا نـــاراً وبشـــر جنـــة ... وعلمنـــا الإســـلام فـــاللهَ نحمـــد[1]

---

[1] السيرة النبوية: ابن هشام 2/ 514 .515.

ومدح البوصيري الرسول ε وأشار إلى أوصافه الحسية والمعنوية هذه الأوصاف التي تميز بها صلى الله عليه دون سواه من الخلق:.

فـاق النبيين فـي خَلقْ وفـي خُلُق ... ولـم يدنـواه فـي علـم ولا كـرم
وكلهـم مـن رسـول الله ملتمـس ... غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم
وواقفـون لديـه عنـد حـدهم ... من نقطة العلم أو من شكله الحكم
فهـو الـذي تـم معنـاه وصـورته ... ثـم اصـطفاه ـ حبيباً ـ بـاري النسـم
منـزه عـن شـريك فـي محاسـنه ... فجوهر الحسن فيـه غير منقسم
دع مـا ادعتـه النصارى فـي نبـيهم ... واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف ... وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
فـإن فضـل رسـول الله لـيس لـه ... حـد فيُعـرِب عنـه نـاطق بفـم [2]

وبين حسان بن ثابت τ أن فضل الرسول ε على البشرية جمعاء كفضل البدر على سائر الكواكب، كما وصف منطقه بالحق وهو الذي وصفه منطقه رب العزة والجلالة بأنه لا ينطق عن الهوى إنما هو وحي يوحى:.

سـائل قريشـاً غداة السفـح مـن أحد ... مـاذا لقينـا ومـا لاقـوا مـن الهـرب
فينـا الرسـول شهـاب ثـم نتبعـه ... نور مُضيءٌ له الفضل على الشهب
الحـق منطـقه والعـدل سـيرته ... فمـن يجبـه إليـه يَـنج مـن تبَـبِ
نمضـي ويـذمرنا فـي غيـر معصـية ... كأنـه البـدر لـم يُطبـع علـى الكـذب
بـدا لنـا فتبعنـاه نصدقـه ... وكذبـوه فكنـا أسـعد العـرب
جـالوا وجلنـا فمـا فـاؤوا ومـا رجعـوا ... ونحـن نثفـنهم لـم نـأل فـي الطلـب
ليسـا سـواءٌ وشـتى بـين أمرهـما ... حزب الإله وأهل الشرك والنُّصب [1]

---

[1] ديوان حسان بن ثابت/ 47.

[2] المجموعة النبهانية في المدائح النبوية: يوسف إسماعيل النبهاني، دار الفكر بدون تاريخ5/4.

ويوم حنين مدح العباس بن مرداس النبي ε بقوله :.

يـــا خـــاتم الأنبيـــاء إنـــك مرســـل للحـــق كـــل هـــدى الســـبيل هـــداكا
إن الإلـــه بنـــى عليـــك محبـــة فـــي خـــلقه ومحمـــدا ســـماكا [2]

وأدلت عاتِكَةُ * بنتُ عبدِ المُطَّلب بدلوها مع الدلاء ومدحت المصطفى ε :.

فهـــلا صـــبرتم للنبـــي محمـــدٍ ببدرٍ ومن يغش الوغى حقٌّ صابر
ولـم ترجعـوا عـن مرهفـات كأنهـا حريـقٌ بأيـدي المؤمنيـن بواتـر
ولـم تصـبروا للبـيضِ حتـى أخـذنكم قلـيلاً بـأبي المـؤمنين المشـاعرِ[3]

وأورد ابن كثير في سيرته تتمه لهذه الأبيات التي أنشدتها عاتكة بنت عبد المطلب في مدح ابن أخيها ε :.

ووليتـــم نفـــرا ومـــا البطـــل الـــذي يقاتـــل مـــن وقـــع الســـلاح بنافـــر
أتـــاكم بمـــا جـــاء النبيـــون قبلـــه وما ابن أخي البر الصدوق بشاعر
ســيكفي الــذي ضــيعتم مــن نبــيكم وينصـره الحيـان عـمرو وعـامر [4]

وفي بعض الأحيان كان الشاعر المسلم الذي جند كلمته الطيبة ولسانه الطاهر في سبيل الدفاع عن الإسلام والذب عن محارمه ينظم قصيدته في مدح المصطفى

---

(1) ديوان حسان بن ثابت / 198.

(2) السيرة النبوية: ابن هشام 2/ 295.

* هي عمة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد اختلفت الروايات في إسلامها .

(3) منح المدح: عفت وصال حمزة ، دار الفكر دمشق سوريا الطبعة الأولى 1987م /348.

(4) البداية والنهاية: ابن كثير 2 / 340

ε ، ويأتي مدحه مغلفاً بغلاف الاستعطاف وطلب العون أو الشفاعة في أمر من الأمور التي قد تكون استعصت عليه، وهذا ما كان من حال الصحابي الجليل الشاعر لبيد بن أبي ربيعة عندما وفد عليه مع وفد قيس الذين أتوه بعد أن اشتد بهم المحل بعد أن أمسكت السماء خيرها سبع سنين متتاليات هلك فيها الزرع وجف الضرع، فجاء مدحه له صلى الله عليه وسلم ممزوجاًۜۜۜ بالرجاء ويسألوه أن يدعو لهم بالسقيا وهو الذي يستسقي الغمام بوجهه وأنشده لبيد:.

أتيناك يا خير البرية كلها ... لترحمنا مما لقينا من الأزل
أتيناك لنشكو حطة جل أمرها ... لسبع سنين واقفن على محل
فإن تدع أخرى بالقحوط فإننا ... أحاديث طسم ما دعاؤك بالهزل
وإن تدع بالسقيا وبالعفو يرسل السـ ... ـماء لنا والمرؤ يبقى على الأصل
أتيناك والعذراء تدمي لثاتها ... وقد ذهلت أم الصبي عن الطفل
وألقى بكفيه الشجاع استكانة ... من الجوع صمتاً ما يُمرُ وما يُحلي
ولا شيْ مما يأكل الناس عندنا ... سوى الحنظل العاميّ والعِلْهز الفسل
وأنت لدنيانا وأنت لديننا ... تؤمل للدنيا وللآخر الفصل
لنا منك في يوم الحساب شفاعة ... تزَحْزحُ عنا والشفاعة في الأهل[1]

وتناول رجل كناني المعنى نفسه الذي ذهب إليه لبيد وأنشد:.

لك الحمد والحمد ممن شكر ... سُقينا بوجه النبي المطر
دعا الله خالقه دعوة ... وأشخص منه البصر
فلم يك إلا كَلَفِّ الرداء ... وأسرع حتى رأينا الدرر
رُقاق العوالي عم البقا ... ع أغاث به الله عَينا مضر
وكان كما قاله عمه ... أبو طالب : أبيض ذو غرر

---

01 ديوان لبيد بن ربيعة /277 .

بـــه الله يســـقي بصـــوب الغمـــا م وهـــذا العِيـــان كـــذاك الخبـــر

فمـــن يشـــكرِ اللهَ يلقـــى المزيـــ د ومـــن يكفـــرِ الله يلقـــى الغِبـــر [1]

كذلك مدح الشعراء الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وذلك عندما سأل رسول الله ε حسَّان بن ثابت هل قلت في أبي بكر شيئاً قال: نعم، قال: قل وأنا أسمع فأنشده :.

إذا تـذكرت شـجواً مـن أخـي ثقـة فأذكـر أخـاك أبـا بـكر بمـا فعـلا
الثـاني التـالي المحمـود شـيمته وأول النـاس طـرُاً صـدق الرسـلا
وثـاني اثنـين فـي الغـار المُنيـف وقـد طـاف العـدو بـه إذ صـعد الجبـلا
وكـان حـب رسـول الله قـد علمـوا مـن البريـة لـم يعـدل بـه رجـلا
خيـر البريـة أتقاهـا وأرأفـها بعـد النبـي وأوفاهـا بمـا حمـلا
عـاش حميـداً لأمـر الله متَّبِعـا بأمر صاحبه الماضي وما انتقلا

فضحك رسول الله ε حتى بدت نواجذه وقال: " صدقت يا حسان هو كما قلت ". [2]

كذلك مدح أبو محجن الثقفي الصديق بقوله:.

وسميت صديقاً وكل مهاجـر سـواك يسـمى باسـمه غيـر منكـر

---

[1] البداية والنهاية: ابن كثير 6 /96.

[2] ديوان حسان بن ثابت / 299 (البيت السادس من البداية والنهاية 3 / 28).

سبقت إلى الإسلام والله شاهد وكنت جليساً بالعريش المشهر

وبالغار إذ سميت خلاً وصاحبا وكنت رفيقاً للنبي المطهر[1]

ولم يفت المرأة المسلمة التي شرفها الله تعالى في شخصية أم المؤمنين خديجة الكبرى رضي الله عنها، إذ كانت أول من آمن بالرسول ε وبذلك حققت السبق في أسمى معانيه في أشرف المواقف وأجلها، وساعدت وساندت الدعوة المحمدية "على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم " بجهدها ومالها. كذلك فقد سرن الصحابيات الجليلات على سيرتها العطرة ، وساهمن بالكلمة الطيبة في حق أصحاب الرسول ε ، فهذه سعدى بنت كريز الكاهنة في الجاهلية بعد أن منَّ الله تعالى عليها بنعمة الإسلام تشيد بذي النورين عثمان بن عفان ومساندته ومؤازرته للرسول ε التي تفتديه بنفسها :.

هدى الله عثماناً بقولي إلى الهدى وأرشده، والله يهدي إلى الحق

فتابع بالرأي السديد محمداً وكان برأي لا يصد عن الصدق

---

(1) الاستيعاب: ابن عبد البر 237/2.

وأنكحــه المبعــوث بــالحق بنتــه فكانا كبدر مازح الشمس في الأفق
فداؤك يا ابن الهاشميين مهجتي وأنــت أمــين الله أُرســلت للخلــق[1]

كذلك فقد مدح حسانُ الصحابيَ الجليلَ الزبيرَ بنَ العوام أحد المبشرين بالجنة وأول من سل سيفه في الإسلام لدحر أعدائه وقد كتب الله تعالى له شرف الهجرتين، إضافة إلى ذلك شهد كل المواقع وكان له موقف مشهود يوم اليرموك، لذا أشاد شاعر النبوة حسان بن ثابت بكل هذه المواقف النبيلة وصدقه في مؤازرة الدعوة المحمدية "على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم " كذلك فقد أحيا سنة نبيه الكريم وسار على نهج السيرة العطرة عندما أمر الناس بحسن الاستماع إلى إنشاد حسان كما كان يفعل خير الأنام عليه الصلاة والسلام:.

أقــام علــى عهــد النبــي وعهــده حواريه والقول بالفعل يعدل
أقـــام علـــى منهاجـــه وطريقـــه يوالي ولي الحق والحق أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذي يصول إذا ما كان يوم مُحجل
إذا كشفت عن ساقها الحرب حشها بأبيض ساق إلى الموت يرفل
وإن أمراً كانت صفيه أمه ومن أسد في بيتها لمرقل
لــه مــن رســول الله قربــي قريــب ومن نصرة الإسلام مجد مؤثل
فــكم كربـــة ذب الزبـــير بســـيفه عن المصطفى والله يُعطي فيجزل
فما مثله فيهم ولا كان قبله ولـيس يكـون الـدهر مـا دام يـذبل
ثناؤك خير من فعال معاشر وفعلك يا ابن الهاشمية أفضل [2]

أما مناسبة هذه القصيدة كما روت السيدة أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما، قالت:. مر الزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه بمجلس لأصحاب النبي ε ، وحسان ينشدهم وهم غير آذنين لما يسمعون من شعره، فقال: " مالي أراكم غير

---

[1] البداية والنهاية: ابن كثير 7 /200.

[2] شرح ديوان حسان بن ثابت: البرقوقي / 338 . 400.

آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة ؟ ---- لقد كان ينشد رسول الله ε فيحسن استماعه ، ويجزل ثوابه ولا يشتغل عنه إذا أنشده " . [1]

وكما جاء المدح مغلفاً بالرجاء كما أشرت سابقاً، نجده في أحيان أخرى يأخذ طابع الاعتذار كما كان من أمر حسان عندما أراد أن ينفي عن نفسه ما أُتهم به من خوضه في حادثة الإفك المفتراة فأنشد يمدح السيدة عائشة أم المؤمنين وختم قصيدته بأسفه و اعتذاره عما بدر منه:.

حصـــان رزان مـــا تُـــزن بريبـــة وتصـبح غـرثى مـن لحـوم الغوافـل
حليلــة خيــر النــاس دينــاً ومنصبــاً نبــي الهـدى والمكرمـات الفواضـل
عقيلــة حــي مــن لــؤي بــن غالــب كـرام المسـاعي مجـدها غـير زائـل
مهذبـــة قـــد طيـــب الله خِيمَهـــا وطهرهـا مـــن كـــل سُـــوءٍ وباطـــل
فـإن كنـت قلـت الـذي قـد زعمـتم فــلا رفعــت سَــوطي إلــى أنــاملي
وإن الــذي قـد قيـل لـيس بلائـط بها الدهر بل قول امريء بي ماحل
فكيـف وودي مـا حييـت ونصـرتي لآل نبـــي الله زيـــن المحافـــل
لـه رتب عال على النـاس كلهم تقاصـــر عنـــه ســـورة المتـــطاول
رأيتـــك وليغفـــر لـــك الله حـــرة مـن المحصنات غير ذات غوائـل [2]

ومدح على بن أبي طالب الحارث بن الصمة بعد معركة أحد، إذ حدث أن تأخر حمزة بن عبد المطلب فأرسل النبي ε علياً ليبحث عنهما فكان يردد وهو في الطريق:.

يـــا رب إن الحـــارث بـــن الصـــمه
أهـــل وفـــاء صـــادق وذمـــه

---

[1] العمدة : ابن رشيق /20.

[2] شرح ديوان حسان بن ثابت: البرقوقي/ 324.

أقبـــــل فـــــي مهامـــــــة ملمـــــــه
فـــــي ليلـــــة ظلمـــــاء مـــــدلهمه
يســـــوق بـــــالنبي هـــــادي الأمـــــه
يلـــتمس الجنـــة فيمـــا ثمـــــه [1]

كذلك مدح على رضي الله عنه قبيلة همدان اليمانية لإخلاصها له :.

لهمـــدان أخـــلاق وديـــن يـــزينهم وبـــأس إذا لاقـــوا وحســـن كـــلام
فلـــو كنـــت بوابـــاً علـــى بـــاب جنـــة لقلـــت لهمـــدان ادخلـــوا بســـلام [2]

ومن عيون شعر الفرزدق ميميته التي يمدح فيها ابن سبط رسول الله ε علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم أجمعين، فقد روى صاحب كتاب زهر الآداب:. " حج هشام بن عبد الملك أو الوليد أخوه . فطاف بالبيت وأراد استلام الحجر فلم يقدر فنُصب له منبراً فجلس عليه، فبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب "رضى الله عنهم أجمعين " في إزار ورداء وكان أحسن الناس وجهاً وأعطرهم رائحة، وأكثرهم خشوعاً وبين عينيه سجادة، كأنها ركبة عنز، وطاف بالبيت، وأتى ليستلم الحجر فتنحى له الناس هيبة وإجلالا، فغاظ ذلك هشاماً، فقال رجل من أهل الشام: من ذا الذي أكرمه الناس هذا الإكرام، وعظموه هذا الإعظام ؟ فقال هشام لا أعرفه، لئلا يعظم في صدور أهل الشام، فقال الفرزدق وكان حاضراً: .

هـــذا ابـــنُ خيـــر عبـــادِ الله كلهـــم هـــذا النِقـــيُّ التقـــيُّ الطاهـــرُ العَلـــمُ
هـــذا الـــذي تَعْـــرِفُ البَطْحَـــاء وطأتـــه والبـــيتُ يعرفـــُه والحِـــلُّ والحَـــرَمُ
إذا رأتـــْه قريـــشٌ قـــال قائلهـــا إلـــى مكـــارم هـــذا ينتهـــي الكـــرَمُ
يكـــادُ يُمْسِـــكهُ عِـــرْفانَ راحتـــهِ رُكـــنُ الحطيـــم إذا مـــا جـــاء يســـتلمُ

---

[1] الإصابة: ابن حجر العسقلاني 280/1.

[2] العقد الفريد: ابن عبد ربه 4 /339.

فـي كفـّهِ خيـزران رِيحـهُ عَـبِقٌ ... فـي كـفِّ أروَعَ فـي عِـرْ نـينِه شـَمَمُ

يُغضِـي حيـاء ويُغْضَـى مـن مَهَابَتِـه ... فمـا يُكـلمُ إلا حـين يَبْتـَسم

مُشتقـة مـن رسـول الله نَبْعَـتهُ ... طابـت عناصِـرُه والخـيمُ والشيّـَمُ

يُنْمَـى إلـى ذِرْوة العزّ التـي قصُرت ... عـن نـيْلها عَـرَبُ الإسـلامِ والعجَـمُ

يَنْجـابُ نـورِ الهـدى عن نـورِ غُرَّتـه ... كالشـمس يَنْجَـاب عن إشراقها القـدَم

حمَّـال أثقـال أقـوام إذا افتـدحوا ... حُلْـو الشـمائل تحْلـُو عنـده نـَعـَمُ

هـذا ابـنُ فاطمـة إن كنـتَ جَاهِـلَهُ ... بجـدّه أنبيـاءُ الله قـد ختِمـوا

اللهُ فضّلـه قِـدْماً وشرّفَـهُ ... جـرى بـذّاك لـه فـي لوْحِـهِ القلَـمُ

مَـنْ جـدُّه دانَ فَضْـلُ الأنبيـاء لـهُ ... وفَضْـلُ أمتـه دانـتْ لـه الأُمَـمُ

عـمَّ البريـةَ بالإحسـان فانقشعَـتْ ... عنهـا الغياهـبُ والإمـلاقُ والعـدم

كلـتا يديـه غـياثٌ عـمَّ نفعُهُـمَا ... تسـتوكفان ولا يَعْرُوهمـا العـدُم

سَـهْل الخليقـة لا تُخـشى بـوادِرُهُ ... تزيـنه اثنـان حسـن الخلـق والشـيم

لا يُخْـلِفُ الوَعْـدَ ميمـونٌ بغرَّتـِه ... رَحْـبُ الفنـاء أرِيـبٌ حـين يعـتزم

مـا قـال"لا" قـَط إلا فـي تشَـهُّده ... لـولا التشهُّـد كانـت لاءَهُ نعَـمُ

مِـنْ مَعْشـَر حـبُّهم دِيـنٌ، وبغضُـم ... كُفـرٌ، وقـرْبهُم مَنجـىً ومُعْتـَصَمُ

يُسْتَدْفـَعُ السـوءُ والبَلْـوَى بحبهـمُ ... ويسـتَرَبُّ بـه الإحسـانُ والنـِّعَـمُ

مقـدَّم بعـد ذِكْـرِ الله ذكرهـمُ ... فـي كـل بَـدْءٍ ومختـومٌ بـه الكـلِمُ

إن عُـدَّ أهـل التُّـقى كـانوا أئِـمَّتَهُمْ ... أوقيل مَنْ خيرُ أَهْلِ الأرض قيل هُمُ

لا يستـطيعُ جَـوَادٌ بُعْـدَ جـودهم ... ولا يُدانيهـمُ قـومٌ وإنْ كرُمـوا

هـمُ الغـيُوث إذا مـا أَزْمَـة َ زَمَـتْ ... الأسْـد أسُـد الشَّـرَى والبـأسُ محْـتَدِم

يَأبَى لهم أنْ يَحلّ الذَّمُّ ساحَتهم ... خِـيمٌ كـريمٌ وأيـد بالنـدى هُضُـمُ

لا يَنقـُض العسرُ بَسْطاً من أكفهـمُ ... سِـيّان ذلـك إن أَثـْرَوا وإن عدمـوا

إي الخلائـق لـيْسَتْ فـي رِقَابهـمُ ... لأوليِّـة هـذا أوْ لـَـهُ نعـم

مَـنْ يعـرف الله يَعْـرف أوليتـه ... فالـدينُ مـن بيـت هـذا نالـه الأُمـم

ولـيس قولـك مـن هـذا بضائِـرِهِ العُرْبُ تعـرف مـن أنكـرتَ والعَجـم[1]

وكما فاخر الأديب المسلم بمآثر الإسلام ، وقف بالمرصاد لكل من حاول النيل من الدين الإسلامي ورسوله الكريم محمد ε ، وجند الشاعر لسانه للذود عن محارم الله تعالى بالرد على أعدائه، واستخدم في دفاعه عدداً من الوسائل، وكان الأدب من بين هذه الوسائل، ولعبت الكلمة الموزونة دوراً بارزاً.

والهجاء من ضمن الموضوعات الشعرية التي تخدم هذا الغرض، أي الرد على الأعداء. والهجاء لغة المراد به الذم بالشعر، وفي الاصطلاح لون من ألوان الفنون الشـعرية يجـاهر فيـه الشـاعر بعيـوب خصـمه بنوعيهـا العيـوب الماديـة " الجسدية " والمعنوية .

فقد دأب العرب في جاهليتهم على وصف خصومهم بكل صفة ذميمة ، وذلك بذكر الهزائم التي لحقت بهم، أو الطعن في النسب وغيرها من الصغائر، ويجمل ابن رشيق أجود أنواع الهجاء بقوله:ـ "وأجود ما في الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية، وما تركب من بعضها مع بعض، فأما ما كان من الخلقة الجسمية من المعايب فالهجاء به دون ما تقدم، وقدامه لا يراه هجواً البتة. وكذلك ما جاء من قبل الآبـاء والأمهـات مـن الـنقص والفسـاد لا يـراه عيبـاً، ولا يعـد الهجـو بـه صواباً ... ويضيف ابن رشيق قائلاً: والذي أراه أنا على كل حال أن أشد الهجاء ما أصاب الغرض ووقع على النكتة ". [2] ومما ورد في الهجاء قول عروة بن الورد " أمير الصعاليك " في الصعلوك الخامل الذي يرضى باليسير :.

لحـى الله صـعلوكاً إذا جـن ليلـه مصـافي المشـاش آلفـاً كـل مجـزر
يعـد الغنـى مـن دهـره كـل ليلـة أصـاب قـراها مـن صـديق ميسـر
قليـل التمـاس الـزاد إلا لنفسـه إذا هـو أمسـى كـالعريش المجـور

---

[1] زهر الآداب: الحصري 104/1.

[2] الأدب الجاهلي: غازي طليمات وعرفان الأشقر/ 183.

يعـين نســاء الحــي مــا يســتعنه فيمسـي طليحـاً كـالبعير المحسـر [1]

ومن الهجاء القبلي قول بشر بن خازم في بني كلاب :.

ولــيس الحــي حــي بنــي كــلاب بمنجيــهم وإن هــربوا الفــرار
وقــد ضــمزت بجرتهــا ســليم فخافتنــا كمــا ضمــز الحمــار
وأمــا أشــجع الخنثــى فولــت تيوســاً بــا لشــظىّ لهــا يعــار [2]

بقول ابن الأثير:ـ " يستحب في الهجاء ألا يكون في ظاهره فحش يتحاماه ذوو الدين والمروءة، لا يقبح إيراده في المحافل، ولا يخشى قائله الهجو به، ومتى أتى الشاعر في شعره بالقذف والإفحاش والسباب دل ذلك على لؤم الشاعر وشماتته، ومن يصدر ذلك عنه من الشعراء فقد هجا نفسه قبل المهجو ".[3]

وبما أن الشعر كان له سلطان وسحر في النفوس فمن حط قدره شاعر من الشعراء حطه الناس، ومن مدحه الشعراء عظم الناس شأنه وقد يسودوه فيهم، لذا كان الناس يتحاشون غضب الشعراء، فقد حدث أن هجا حسان بن ثابت τ بني عبد المُدان، الذين كانوا يفخرون ويتباهون في جاهليتهم بطول أجسامهم ظناً منهم أنها مؤشر من مؤشرات القوة والمقدرة على البطش والفتك بالأعداء، ولكن هذه النعمة تحولت بكلمة من حسان بن ثابت إلى نقمة وسُبة في جبينهم، عندما شبههم بالبغال بجامع الضخامة في كلا الطرفين أي بينهم وبين البغال، وبداخل هذا الجسم الجسيم عقل يساوي عقل العصفور:.

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم جسم البغال وأحلام العصافير [4]

---

[1] ديوانا عروة بن الورد والسموأل: دار صادر بيروت / 35.

[2] الأدب الجاهلي: غازي طليمات وعرفان الأشقر /185.

[3] المرجع السابق/183.

[4] ديوان حسان بن ثابت / 122 .

وتأذى القوم أيما أذى من هذا العار الذي ألحقه ابن ثابت بهم، وبعد إسلامهم شكوا إلى حسان هوانهم بين القبائل بسبب هجائه لهم فأنشد بعض الأبيات ليصلح ما أفسده في الماضي:.

وقـــد كنـــا نقـــول إذا رأينـــا لـــذي جســـم يُعـــدُّ وذي بيـــان
كأنـــك أيهـــا المُعْطـــى لســـاناً وجسـماً مـن بنـي عبـد المـدان [1]

وعندما جاء كعب بن زهير إلى الرسول ε بغرض العفو وثب إليه رجل من الأنصار وقال يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه، فرد عليه ε أن يدع الرجل لأنه جاء تائباً فحدث أن غضب كعب على ذلك الحي من الأنصار ووصفهم بقوله:.

يمشـون مشـي الزهـر يعصـمهم ضـرب إذا عـرّد السـود التنابيـل [2]

وكان قد خص المهاجرين بمدحه وبعد اسلامه مدح الأنصار في رائيته المشار إليها سابقا التي يقول فيها :.

مـن سـره كـرم الحيـاة فـلا يـزال فـي مقنـب مـن صـالحي الأنصـار*

والأديب المسلم يقف دائماً في الخطوط الأمامية ليذب ويدافعَ بكل ما أوتي من قوة عن العقيدة الإسلامية، وكانت القاعدة المتينة الثابتة التي انطلق منها الشعراء المسلمون في هجائهم أعداء الإسلام من أهل الشرك والكفر مستمدة من قوله تعالى :. (---- فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (البقرة: من الآية194) .

---

[1] المرجع السابق / 252.

[2] شرح ديوان كعب بن زهير : السكري / 6 . 25

والدليل من السنة النبوية الشريفة:ـ " عن عمار بن ياسر قال لما هجانا المشركون شكونا ذلك إلى الرسول فقال: قولوا لهم كما يقولون لكم " .[1]

أما الهجاء بين المسلمين فقد نهت السنة الشريفة عنه، كما نهت عن الهجاء المقذع والفُحش في الهجاء، فقد أورد صاحب كتاب الأغاني:ـ حكاية الرجل الذي أتي إلى ابن عباس يستفتيه وسأله:ـ " يا ابن عم رسول الله افتني قال: فبماذا ؟ قال أتخاف علي جُناحاً إن ظلمني رجل فظلمته وشتمني فشتمته وقصر بي فقصرت به أرأيت امرءاً أتاني فوعدني وغرني ومناني، ثم اخلفني واستخف بحرمتي، أيسعني أن أهجوه ؟ قال : لا يصلح الهجاء لأنه لابد لك من أن تهجو غيره من عشيرته، فتظلم من لم يظلمك وتشتم من لم يشتمك، وتبغي على من لم يبغ عليك والبغي مرتعه وخيم، وفي العفو ما قد علمت من الفضل ".[2]

ولكن يختلف الحال تمام الاختلاف عندما يكون الهجاء بين المسلمين الذين أعزهم الله تعالى بالإسلام ومن عليهم بنعمة الإيمان وبين أهل الكفر والطغيان من المشركين، ففي هذه الحالة يكون الهجاء أو الرد على الكفار بمنزلة الحرب الكلامية لأن المشركين " قاتلهم الله " كانوا قد لجأوا إلى كل أنواع الأسلحة المادية والمعنوية أي المحسوسة منها وغير المحسوسة التي يمكن أن تحقق لهم النصر الذي يريدونه وهو دحر الإسلام والمسلمين ، لذا كان على المسلمين بالقدر نفسه أن يستعملوا كل ما أتاهم الله تعالى من قوة لنصرة دينهم وإعلاء راية الإسلام.

---

[1] رواه الإمام أحمد في مسنده 4/ 264.

[2] الأغاني: الأصفهاني 2 /161.

قال رسول الله ε لحسان:ـ " اذهب إلى أبي بكر فيحدثك حديث القوم وأيامهم وأحسابهم ثم أهجهم وجبريل معك ". [1] وفي رواية أخرى: " يا حسان فائت أبا بكر فإنه أعلم بأنساب القوم منك " فأتى أبا بكر فأعلمه ما قال رسول الله ε فقال كف عن فلانة وأذكر فلانة ولما أُنشدت قريش شعر حسان قالت : إن هذا الشتم ما غاب عنه ابن أبي قحافة "

ووضح حسان في همزيته الكيفية التي تمكنهم من كف ومنع أذى الأعداء وذلك في قوله :.

لنـــا فـــي كـــل يـــوم مـــن معـــد ســـباب أو قتـــال أو هجـــاء
فـــنُحِكمُ بـــالقوافي مـــن هجانـــا ونضـرب حيـن تخـتلط الـدماء[2]

إلى أن يقول :.

ألا أبلـــغ أبـــا ســـفيان عنـــي فأنـــت مجـــوف نخـــب هـــواء
بـــأن ســـيوفنا تركتـــك عبـــداً وعبـــد الـــدار ســـادتها الإمـــاء
هجـــوت محمـــداً فأجبـــت عنـــه وعنـــد الله فـــي ذاك الجـــزاء
أتهجـــوه و لســـت لـــه بكـــفءٍ فشـــركما لخيركمـــا الفـــداء
هجـــوت مباركـــاً بـــراً حنيفـــاً أميـــن الله شـــيمته الوفـــاء
فمـــن يهجـــو رســـول الله مـــنكم ويمدحـــه وينصـــره ســـواء
فـــإن أبـــي ووالـــده وعرضـــي لعـــرض محمـــد منـــكم وقـــاء
لســـاني صـــارم لا عيـــب فيـــه وبحـــري لا تكـــدره الـــدَّلاءُ

---

[1] المصدر السابق 4/ 142وقول الرسول ε : اهجهم وجبريل معك أخرجه البخاري (2974) ومسلم (4541) .

[2] ديوان حسان بن ثابت / 7.

أما المنافقون فقد صب عليهم جل هجائه فقد عير ابن الضحاك بن حليف الأشهلي لنفاقه وتواطئه مع اليهود ضد المسلمين:.

أبلغ أبا الضحاك أن عروقه ... أعيت على الإسلام أن تتجمدا
أتحب يُهدان الحجاز ودينهم ... كبد الحمار ولا تحب محمدا
وإذا نَشا لك ناشيء ذو غرة ... فَه الفؤاد أمرته فتهودا
لو كنت منا لم تخالف ديننا ... وتبعت دين عَتيك حين تشهدا
ديناً لعمرك ما يوافق ديننا ... ما استن آل بالبدي وخودا[1]

كذلك عير حسان بن ثابت اليهود بالكفر وذكرهم بما ورد بكتابهم السماوي الذي يؤمنون به ولا يعملون بما جاء فيه:.

هم أتوا الكتاب فضيعوه ... فهم عُمي عن التوراة بور
كفرتم بالقرآن وقد أتيتم ... بتصديق الذي قال النذير[2]

وسلك الفرزدق مسلكاً آخر في الهجاء ، فإذا كان الشعراء يهجون خصومهم بما فيهم من عيوب ونواقص فخصم الفرزدق كان من نوع آخر فطالما وسوس له وأغراه بفعل المنكرات وزين له الباطل ففي قصيدته الميمية يهجو إبليس ويخاطبه بقوله:.

ألَمْ ترَنِي عاهدتُ ربّي وأنني ... لبين رتاج قائماً ومقام
على قسمٍ لا أشتم الدهر ... ولا خارجاً مِنْ فِيَّ سُوءُ كلام

أشتم الدَّهْرَ مُسْلماً
أطعتك يا إبليسُ سبعين حجّة ... فلمّا انتهى شَيْبي وَتَمَّ تمامي
فَرَرْتُ إلى ربي وأيقنتُ أنني ... مُلاق ٍ لأيّامِ المنونِ حَمِامي

---

[1] الصدر السابق/ 81.

[2] المرجع السابق /194، والسيرة النبوية: ابن هشام 3 /272.

أَلا طَالَ ما قَدْ بِتُّ يُوضعُ ناقتي ... أبو الجِنِّ إبليسٌ بِغَيْر خِطام

يَظَلُّ يُمَنّيني على الرَّحْل فاركاً ... يكونَ ورائي مَرَّة وأَمامي

يُبَشِّرُني أَنْ لَنْ أَمُوتَ وأنه ... سيُخلدني في جنّةٍ وسلام

فَقلْتُ له : هلا أُخَيَّكَ أخْرَجْت ... يمينك من خُضْرِ البحور طَوَامِ

رَمَيْتَ به في اليَمِّ لمَا رَأَيْتَهُ ... كفرقة طَوْدَيْ يَذْبلٍ وشَمَام

فلمّا تلاقى فوْقَهُ الموج طامِياً ... نَكَصْتَ ولم تَحْتَلْ له بمرام

ألم تأتِ أهل الحِجْرِ والحِجْرُ أهْلُه ... بأنعَمِ عَيْشٍ في بيوت رُخَام

فَقلْتَ اعقروا هَذِي اللقُوحَ فإنَّها ... لكم أو تَتِيخوها لَقُوحَ غرام

فلما أناخوها تَبَرَّأتَ منهم ... وَكُنْتَ نكُوصاً عند كلِّ ذمام

وآدم أخرجته وهو ساكنٌ ... وزوجته من خير دار مقام

فكم من قُرونٍ قد أطاعوك أصبحوا ... أَحَادِيثَ كانوا في ظلال غمام

وما أنت يا إبليسُ بالمرءِ ابتغى ... رضاه، ولا يقتادني بزِمَام

سأجزيك من سوءات ما كنت سُقتَني ... إليه جروحاً فيكَ ذات كِلام [1]

وكما هجا الأديب المسلم أعداء الإسلام من أهل الشرك والكفر، نقض معنى من المعاني التي تناولها شاعر من الشعراء الكفار، والنقائض من موضوعات التي أخذت تشق طريقها إلى ميادين الأدب العربي، بل شغلت حيزاً كبيراً في ساحة الأدب. ولابد أن تكون من نفس الوزن والقافية

ومن ذلك ما أنشده ضرار بن الخطاب " الذي كان يدين بدين اللات والعزى يومئذ " وقد هزه ما حققه المسلمون من انتصارات من الله تعالى عليهم بها:.

عجبتُ لفَخرِ الأوس والحينُ دائر ... عليهم غدا والدهرُ فيه بصائرُ

وفخرُ بني النّجار إن كان معشرٌ ... أصيبوا ببدر كلهم ثم صائر [2]

---

[1] ديوان الفرزدق: تحقيق عبد الله الصاوي القاهرة 1936م 769/2.

[2] السيرة النبوية: ابن هشام 3 / 13.

فرد عليه كعب بن مالك مفندا مزاعمه بقصيدة طويلة ، يقول فيها :.

عجبـــتُ لأمـــرِ الله والله قـــادر ... علـــى مـــا أراد، لـــيس لله قـاهـــرٌ
قضـى يـومَ بـدرٍ أن نلاقـيَ معشـراً ... بغـَوْا، وسـبيلُ البغـي بالنـاس جـائرُ
وقـد حَشَـدوا واسـتَنْفَروا مَـن يلـيهمُ ... مِـن النـاسِ حتّـى جَمْعـُهم مُـتكاثرُ

ويقول فيها:.

فلمـــا لـــقيناهُم وكـــل مجاهـــدٌ ... لأصحابهِ مُسْتَبْسل النفسِ صابرُ
شـــهدنا بـــأنّ الله لا ربَّ غيـــره ... وأنّ رسـولَ الله بالحـقّ ظاهـرُ

ويختم بقوله : .

فأمسَـوْا وقـودَ النـارِ فـي مُسْـتَقرّها ... وكـلّ كفـورٍ فـي جهنـمَ صائـرُ
وكـان رسـولُ الله قـد قـال :أقـْبلوا ... فوَلـوا وقـالوا: إنَّمـا أنـتَ ساحِـرُ
لأمـــرٍ أراد الله أن يـَهلِكـــُوا بـــه ... ولـيس لأمـر حمـه الله زاجـرُ [1]

ولقد تركت موقعة بدر الكبرى أثراً مريراً في نفوس القرشيين الذين كانوا يتحينون الفرص للنيل من المسلمين لرد اعتبارهم بين القبائل، وكانت موقعة أحد سانحة طيبة فهند بنت عتبة التي كانت يومئذ تدين بدين الشرك تفاخر بما حققه قومها من نصر يوم أحد على المسلمين وتحاول أن تشفي غليلها بقولها:.

نحـن جزينـاكم بيـوم بـدر ... والحـرب بعـد الحـرب ذات سُـعر
مـا كـان لـي مـن عتبـة مـن صـبر ... ولا أخـــي وعمـــه وبَكـــّري

---

[1] المصدر السابق 3/ 14.

شـفيت نفسـي وقضـيت نـذري شـفيت وحشـي غليـل صـدري
فشـكر وحشـي علـى عُمـري حتـى تَـرُم أعظمـي فـي قبـري[1]

وهنا يتجلى دور المرأة المسلمة التي ساندت الرسول ε منذ فجر الدعوة المحمدية، فهذه هند بنت أثاثه بن عباد المُطلب تتصدى لها وتفاخر بأسود الإسلام الضارية وما خلفوه خلفهم من أمجاد يتغنى بها الزمان على مر العصور وتتناول في مفاخرها هذه ما حققه المسلمون يوم بدر:.

خزيـت فـي بـدر وبعـد بـدر يـا بنـت وقـاع عظيـم الكفـر
صـبحك الله غـداة الفجـر ملهاشـميين الطـوال الزهـر
بكـل قطـاع حسـام يفـري حمزة ليثي وعلي صقري[2]

3. تأريخ الأحداث :

تمكن الشعراء في العصر الجاهلي من تسجيل وتوثيق كل الأحداث، لذا لكان شعرهم سجلاً تاريخياً حافلاً بالأحداث وملماً بها، وكما تسنى للشعراء في العصر الجاهلي من تأريخ أهم الأحداث، فقد أصبح الشعر في عصر النبوة من أهم المصادر والينابيع التي توضح الخطوط الدقيقة لتأريخ المراحل المختلفة التي مرت بها الدعوة المحمدية "على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم"، وبالتالي استخلاص العظة والعبرة والوقوف على أخبار الأمم والشعوب السابقة، وكذلك كان الشعر في جميع

---

[1] المصدر السابق 3 /91.

[2] البداية والنهاية : ابن كثير 37/4 (ملهاشيين أي من الهاشميين)

العصور والأزمنة الوعاء الذي حمل بداخله كل مظاهر الحياة الجاهلية ومضامينها، و جسدها أحسن تجسيد بما نقله من صور حية من عادات وتقاليد، وكل ألوان الحياة الاجتماعية كقول زهير بن أبي سُلمى حكيم شعراء الجاهلية عندما سجل في معلقته كل ما دار في حرب داحس والغبراء، تلك الحرب الضروس التي نشبت بسبب سباق دار بين فرسي بني عبس وبني فزارة، وقد جعل موضوع الصلح الذي تم بين الفريقين المتقاتلين هو لب المعلقة وصلب الموضوع وتكتمل فصول هذه الرواية الدامية في أبيات زهير بن أبي سُلمى التي يقول فيها :.

تداركتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
ينجمها قوم لقوم غرامة ولم يهريقوا بينهم ملء محجم
فأصبح يجري فيهم من تلادكم مغانم شتى من إفال مزنم[1]

وقد حث القرآن الكريم المسلم على دراسة أحوال الأمم الغابرة من جميع النواحي، قال تعالى:. (**(أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)** **(الروم:9)**، إذاً كانت نقطة الانطلاق إلى دراسة التاريخ من التوجيه الرباني، و دراسة التاريخ مدخل من المداخل إلى توثيق الحقائق التاريخية، كما أنها تؤدي إلى دراسة علم الاجتماع 0

وعلى الرغم من عدم وجود تاريخ واضح في عصر النبوة يؤرخون به ما يجري من أحداث، إلا إنهم كانوا ينسبون الأحداث، أو يربطونها بما يزامنها من أحداث عظيمة، والدليل على ذلك أن مولده ε كان عام الفيل.

يقول عبد القادر عويضة:." وإذا كان التاريخ العام المدون في كتاب يسجله المؤرخون مراعين فيه الدقة وسرد الأحداث والتأريخ لها بالأرقام بصورة دقيقة ويعتمد على

---

[1] شرح المعلقات السبع: الزوزني / 100.108.

التفصيل والوقوف عند الجزيئات. وهو بذلك علم أكثر منه مشاعر وأحاسيس. فإن الشعر سجل للتاريخ يمزج فيه الشاعر بين الأحداث وبين مشاعره ومشاعر الآخرين إزاء هذه الأحداث ". [1]

والأديب المسلم مسؤول مسؤولية تامة أمام الله تعالى وأمام نفسه وأمام التاريخ عن تسجيل مآثر الإسلام والمسلمين، إذ من حق الأجيال اللاحقة أن تلم وتحيط بكل مفاخر الأمم السابقة، وقد سجل حسان بن ثابت ووثق جل الأحداث التي تمت في عصر النبوة من خلال ملازمته ومصاحبته للرسول ε ، وإضافة إلى القيم الروحية والوجدانية التي يعبق بها شعره نجده في ذات الوقت عبارة عن سجل حربي ضخم حوى وضم العديد من الوثائق العسكرية . وفي الوقت نفسه كان لحياة المدينة أو لحياة السلم والاستقرار حظها الوافر من شعره، فكل ما جادت به قريحته كان صورة طبق الأصل للواقع الذي دونته كتب التاريخ فأصبح شعره من أهم الوثائق التاريخية التي يعتد بها، فقد أرَّخ أيام الأنصار والغزوات التي غزوا فيها مع الرسول ε :.*

ألســـت خـــير معـــد كلهـــا نفـــراً ومعشـراً إن هـم عمـوا وإن حصـلوا
قـــوم هـــم شـــهدوا بـــدراً بـــأجمعهم مـــع الرســـول فمـــا آلـــوا ومـــا خـــذلوا
وبـــايعوه فلـــم ينكـــث بـــه أحـــد مـــنهم ولـــم يـــك فـــي إيمـــانهم دخـــل
ويـوم صبحهم فـي الشعب من أحـد ضـرب رصـين كحـر النـار مشـتعل
ويـــوم ذي قَـــرَدٍ يـــوم استثـــار بهـــم علـى الجيـاد فمـا خامـوا ومـا نكلـوا

---

[1] أثر الإسلام في الشعر في عصر الرسول والخلفاء الراشدين: السيد عبد القادر عويضة مطبعة الأمانة الطبعة الأولى 1987م / 113.

وذا العشـــيرة جاسوهـــا بخلـــيهم ... مـع الرسـول عليهـا البـيض والأسـل

ويـــوم وَدَّانَ أجلـــوا أهلـــه رقصـــاً ... بالخيـل حتـى نهانـا الحـزن والجبـل

وليلـــة طلـــبوا فيهـــا عدوهـــم ... لله والله يجـــزيهم بمـــا عمـــلوا

وغـزوة يـوم نجـد ثـم كـان لهـم ... مـع الرسـول بهـا الأسـلاب والنفـل

وليلـــة بحنـــين جـــالدوا معـــه ... فيهـا يعـلهم فـي الحـرب إذ نهلـوا

وغـزوة القـاع فرقـنا العـدو بـه ... كمـا يفـرق دون المـشرب الرسـل

ويـــوم بويـــع كـــانوا أهـــل بيعتـــه ... علـى الجـلاد فآسـوه ومـا عـدلوا

وغـزوة الفـتح كـانوا فـي سـريته ... مـرابطين فمـا طاشـوا ومـا عجلـوا

ويـــوم خيـــبر كـــانوا فـــي كتيبتـــه ... يمشـــون كلهـــمُ مستبســـل بطـــل

بـالبيض تـرعش فـي الايمـان عاريـة ... تعـوج فـي الضـرب أحيـاناً وتعتـدل

ويـوم سـار رسـول الله محتسـباً ... إلـــى تبـــوك وهـــم راياتـــه الأول

وساسـة الحـرب إن حـرب بـدت لهـم ... حتـــى بـــدا لهـــم الإقـــبال فالقـفـــل

أولئـــك القـــوم أنصـــار النبـــي هـــم ... قـومي أصيـر إلـيهم حـين أتصـل

مـاتوا كرامـا ولـم تـنكث عهـودهم ... وقـتلهمْ فـي سـبيل الله إذ قتـلوا [1]

وأشـار مكـي العـاني فـي كتابـه الإسـلام والشـعر : ." الشـعر هـو الكتـاب الجـامع لتاريخ العرب والمسجل لكل أحداثهم والشاهد العدل على كل تصرفاتهم" .[2]

وكما سجلت كتب السيرة والأخبار والتاريخ كل الإنجازات والأعمال التي تمت منذ فجر الدعوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، نجد أن كتب الأدب قد نافست أمهات كتب التاريخ والسيرة وتراجم الرجال، وفي بعض الأحيان قامت بالدور الأكبر والأهم، وكانت عبارة عن الوعاء الذي حمل بين طياته كل

---

(1) السيرة النبوية: ابن هشام4/267،268.* (اختلفت الروايات في نسبة هذه القصيدة لحسان بن ثابت وذكر ابن هشام إنها تنسب لابنه عبد الرحمن).

(2) الإسلام والشعر: سامي مكي العاني، مطابع الرسالة الكويت 1983م/ 173.

مظاهر الحياة في تلك العصور سواء كان من الناحية الاجتماعية أو السياسية أو الدينية، وبذلك نجد أن الشعر قد ساهم مساهمة فعالة في خلق جسور التواصل بين الماضي التليد والحاضر الزاهر، والسبب يعود إلى سهولة حفظه وروايته وتداوله بين الناس، مما يسهل عملية نقله من جيل إلى جيل، فأصبح عبارة عن سجل تاريخي يحفل بالعديد من الحقائق التاريخية ويقف على مر العصور والأزمان شاهداً على حقيقة ما احتواه من أحداث، بعيداً عن التكلف، وصارت معظم القصائد عبارة عن وثائق تاريخية أو وثائق حربية، وهذه الوثائق التاريخية التي وردت في قوالب شعرية مكنت الأجيال اللاحقة من معرفة الأحداث التي تمت منذ فجر الدعوة المحمدية " على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم " مروراً بالعصور المختلفة حتى يومنا هذا.

كذلك من خلال تلك الوثائق الحربية تم الوقوف على المعاهدات التي أبرمها الرسول ε مع أعدائه من اليهود والمشركين كبيعة العقبة التي وثقها كعب بن مالك في سجل المعاهدات السلمية بقوله:.

ودونك فاعلم أن نقض عهودنا ... أباه عليك الرهط حين تبايعوا
أباه البراء وابن عمرو كلاهما ... وأسعدُ يأباه عليك ورافعُ
وما ابن ربيع إن تناولت عهده ... بمسلمة لا يطمعن ثم طامع
وأيضاً فلا يعطيكه ابن رواحه ... واخفاره من دونه السم ناقع
وفاء به والقوقلي بن صامت ... بمندوحة عما تحاول يافع
أبو هيثم أيضاً وفى بمثلها ... وفاء ما أعطى من العهد خانع
وما ابن خضير إن أردت بمطمع ... فهل أنت عن أحموقة الغي نازع
وسعد أخو عمرو بن عوف فإنه ... ضروح لما حاولت ملأمر* مانع
أولاك نجوم لا يغبك منهم ... عليم بنحس في دجى الليل طالع[1]

[1] السيرة النبوية: ابن هشام.* (ملأمر : من الأمر).

وقد أحصى كعب بن مالك τ أولئك النفر الذين انتدبهم القرشيون للرسول صلى الله عليه وسلم وعدهم عدا وهم:

1- البراء بن معرور بن صخر.
2- عبد الله بن عمرو بن حرام.
3- أسعد بن زراره.
4- رافع بن مالك بن مالك العجلان.
5- سعد بن عبادة الساعدي.
6- المنذر بن عمرو.
7- ابن الربيع هو سعد بن الربيع.
8- عبد الله بن رواحة بن ثعلبة.
9- أما القوقلي فهو عباده بن الصامت.
10- أبو الهيثم هو مالك بن التبهان.
11- أسيد بن حضير.
12- سعد أخو عمر هو سعد بن خثيمة.

وبذلك بلغ العدد اثنا عشر معاهداً، ومما يؤكد صحة وصدق ماورد في قصيدة كعب بن مالك τ مطابقتها وموافقتها لما ورد في كتب السير والأخبار والتاريخ فقد أجمعت على صحة الحقائق التي أشار إليها كعب بن مالك في قصيدته.

ومن المحطات البارزة في تاريخ الدعوة المحمدية " على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم الهجرة النبوية الشريفة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، فلابد من الوقوف عندها وقفة المتأني أو وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه، لأنها تشكل بداية مرحلة جديدة في تاريخ الدعوة المحمدية "على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم" وقد أشار القرآن الكريم إلى فضل الهجرة النبوية الشريفة في مواضع عديدة :.(**(الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) (التوبة:20)** كذلك قوله تعالى:. (**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا**

مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) (آل عمران:195) .

ويتجلى دور الأديب المسلم في هذه الزواية الهامة من زوايا الإسلام في وصف خط سير هذه الرحلة التي خطط الله تعالى لها من فوق سبع سماوات، فقد كان رفيقَ دربه وشريكَ همه، والملازمَ الوحيدَ له في هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر المليئة بالأحداث أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقد سجل كلَّ ملابسات هذه الرحلة وهما في طريقهما إلى مقر الدعوة الإسلامية الجديد جادت عليه قريحته برائية استمد معانيها من الآية الكريمة: .(**(إِلاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى**

وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة:40) .

فأنشد . وهو المقل في قرض القريض:

قال النبي ولم (أجزع) يوقرني ... نَحِنُّ في سدف من ظلمة الغار:
لا تخش شيئاً، فإن الله ثالثنا ... وقد توكل لي منه بإظهار
وإنما كيد من تخشى بوادره ... كيد الشياطين كادته لكفار
والله مهلكهم طُراً بما كسبوا ... وجاعل المنتهى منهم إلى النار
وأنت مرتحل عنهم ومرتَحل ... أما غداً ، وإما مدلج ساري
وهاجر أرضهم حتى يكون لنا ... قوم ذوو عز وأنصار
حتى إذا الليل وارتنا جوانبه ... وسد من دون من نخشى بأستار
سار الأريقط يهدينا وأينقه ... ينقبن بالقوم نعباً تحت أكوار
يسعفن عَرض الثنايا بعد أطولها ... وكل سهب رقاق الترب موار
حتى إذا قلت: قد انجدن عارضها ... من مدلج فارس في منصب وار
فقال: كروا فقلت: إنَّ كرتَنا ... من دونها لك نَصر الخالق الباري
إن يخسف الله بالأحوى وفارسه ... فأنظر إلى أرْبع في الأرض غوار
فهِيل لما رأى أرساغ مغرِبة ... قد سُخْن في الأرض لم يُحفر بمحفار
فقال : هل لكم أن تطلقوا فرسي ... وتأخذوا مَوثقي في نصحِ أسرار
وأصْرف الحي عنكم إن لقيتهم ... وأن أعور منهم عين غُوار
فادعوا الذي هو عنكم كف عورتنا ... يطلق جوادي، وأنتم خير أبرار
فقال قولاً رسول الله مبتهلاً ... يا رب إن كان منه غير إخفار
فنجه سالماً من شر دعوتنا ... ومُهْره سالماً من كلم آثار
فأظهر الله إذ يدعو حوافره ... وفاز فارسه من هول أخطار [1]

---

[1] الروض الأنف: السهيلي 76/2، والبداية والنهاية: ابن كثير 183/3.

لقد كانت هجرة المصطفي ε من مكة المكرمة أحب بقاع الأرض إلى نفسه الشريفة إلى المدينة المنورة بأمر من الله سبحانه وتعالى ، لذا حفتها العناية الإلهية وتجلت فيها العديد من المعجزات، التي لابد من الوقوف عندها لأخذ العظة والعبرة.

ومن المعجزات التي تجلت في هذه الهجرة النبوية الشريفة أن الرسول ε مر بخيمة أعرابية تسمى أم معبد وطلب منها أن تسقيه من لبن شاة لها، وهنا تتجلى المعجزة الإلهية إذ در ضرع الشاة الذي كان قد جف منذ مدة طويلة، فما كان منه صلى الله عليه وسلم إلا أن مسح بيديه الشريفتين على ضرع الشاة فدر اللبن وأنشد أعرابي هذه القصيدة:.

جـزى الله ربُّ النـاس خيـر جزائـه ... رفيـقين قـالا خيمتـيْ أُمِّ معبـد
همـا نزلاهـا بالهـدى فاهتـدَتْ بـه ... فقدْ فـاز مـن أَمسـى رفيـق محـمد
فيـا لقصَـيّ مـا زَوىَ اللهُ عـنكمُ ... بـه مـن فـعالٍ لا تجـارَى وسُـؤدَد
لـيهن بنـي سـعدٍ مقـامُ فتاتـهم ... ومَقعَـدُها للـمؤمنين بمْرصَـد
سـلوا أُختكم عـن شـأنها وإنائهـا ... فإنـكمُ إن تسـألوا الشـاةَ تـشْهَدِ
دعاهـا بشـاةٍ حائـلٍ فتحَـلبتْ ... لـه بـصريحٍ ضَـرَّةُ الشـاة مُزْبـد
فغـادرها رَهـنا لديهـا بحالـبٍ ... يـردّدُها فـي مَصْـدَرٍ ثـم مَـوْرِد
فمـا حملـت مـن ناقـةٍ فـوق رحلهـا ... أَبَـرَّ وأوفـى ذِمَّـةً مـن محمـدِ [1]

وأدلى الشاعر عمر بهاء الدين الأميري بدلوه مع الدلاء وأنشد رائيته التي سماها الهجرة درس العصر:.

يـا رسـول الله والهجـرة خلـد مـن مـآثر
هـي درس الـدهر فـي الإيمـان والعـزم المثـابر

[1] زاد المعاد: ابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية 1371هـ، 2/ 141.

هـي مجـد الحكمـة القعسـاء فـي فهـر العوائـر
هــي مكــر الله بــالبغي ومــا كــان الله ماكــر
يـا رسـول الله نحـن اليـوم فـي شـدق المخـاطر
فعلــى دربــك نمضــي فلتنــر منــا البصــائر
ســائلين الله عونــاً حينمــا نمضــي نهاجــر
هجــرة لله يــا أمــة خيــر المرســلين
النبــي العربــي الصــادق الثــبت الأميــن
الأبــي المثــل العلــوي فــي دنيــا وديــن
سيد الخلق لسان الحـق عـدل الشاهدين
مــن بنــى الإنســان بالإيمــان بــالعزم المكــين
أمــة الإسـلام مـا فـي الأرض مـن مسـتخلفين
غيرنــا وأضــلنا حتــام نبقــى نــائمين [1]

وعندما اشتد عذاب كفار قريش للمسلمين هاجروا بدينهم إلى أرض الحبشة الذي أكرم وفادتهم وأحسن نزلهم، وكان عبد الله بن الحارث من ضمن الذين هاجروا من أجل دينهم فكتب مغلغلة " رسالة " وبعث بها إلى إخوانه المسلمين بأرض الحجاز، ومن خلال هذه المغلغلة التي بعث بها وثق مرحلة مهمة من مراحل الدعوة الإسلامية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم فجاء في هذه المغلغلة:.

ياراكبــاً بَلــِّغْ عَــنِّي مُغلْغــلَة ... مـن كـان يـرْجو بـَلاغ اللهِ والـدِّينِ
كـلَّ امـريءٍ مـن عبـادِ الله مُضْطـَهَد ... بِــبَطن مَكــَّةَ مَقــْهورٍ ومَفــتونِ
أنــَّا وَجَــدْنا بــلادَ الله واســعةً ... تـنْجي مـن الـذل والمَخْـزَاةِ والهُـونِ
فـلا تـُقيمُوا علـى ذلِّ الحيـاة وخـزْ ... ي فـي الممـاتِ وعَيْـبٍ غير مـأمونِ

[1] ملحمة النصر: عمر بهاء الدين الأميري، مطبعة دار القرآن الكريم /40.

إنَّـــا تبَـــعِنا رســـول الله واطـــرَّحوا قـولَ النبـيّ وغَالـوُا فـي الموازِيـنِ
فَأجعل عذابَك في القوم الذين بَغَوْا وعَائِـذٌ بـك أنْ يغلـوا فيطغُـوني[1]

كما أرخ لهجرته لبلاد الحبشة بقوله :.

(و) تلِـك قـريشٌ تجحـد الله حقَّـه كمـا جَحَـدَتْ عـادٌ ومَـدَينْ والحِجْـرُ
فـإنْ أنـَا لـم ابْـرُقْ فـلا يسـعَني مـن الأرض بَـرٌّ ذو فـَضاءٍ ولا بحـرُ
بـأرضٍ بهـا عَبْـدُ الإلَـه مَحَمَّـدٌ أبيـّنُ مـا فـي الـنفسِ إذْ بلِـغَ النّقْرُ[2]

وفي أول مواجهة عسكرية دارت بين الرسول ε والمشركين في موقع نخلة التي كانـــت عبـــارة عـــن مقـــدمات لموقعـــة بـــدر نزلـــت الآيـــة الكريمـــة : **(يَسْأَلونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة:217) .**

ونقف على هذه الحادثة الهامة من خلال شعر عبد الله بن جحش :.

تعُـدّون قـتلاً فـي الحـرام عظيمـةً وأعظم مـنه لـو يـرى الرشدَ راشِـدُ
صُـــدودُكم عمّـــا يقـــول محمّـــدٌ وكـــفرٌ بـــه والله راءٍ وشاهِـــدُ
وإخراجـكم مـن مسـجد الله أهلـهُ لئـِلا يُـرى لله فـي البيـت سـاجدُ
فإنـــّا وإن عيّرتمونـــا بقتـــلهِ وأرجـفَ بالإسـلام بـاغ وحاسِـدُ

---

(1) الروض الأنف: السهيلي 1/ 288، و السيرة النبوية: ابن هشام / 208.

(2) السيرة النبوية: ابن هشام 1 /209،210.

سَقينا من ابن الحَضرمْي رماحنا بنخلة لمّا أوقد الحربَ واقدُ

دماً، وابن عبد الله عثمان بيننا ينازعه غلٌّ من القيد عانِدُ [1]

كذلك أشار إليها حسان بن ثابت في قوله :.

فما نخشى بحمد الله قوماً وإن كثروا وأجمعت الزحوف
إذا ما ألبوا جمعاً علينا كفانا جدهم رب رؤوف
سمرنا يوم بدر بالمعالي سراعاً ما تضعضعنا الحتوف
فلم يرعصبة في الناس أنكى لمن عادوا إذا لقحت كشوف
وكلنا توكلنا وقلنا مآثرنا ومعقلنا السيوف
لقيناهم بها لما سمونا ونحن عصابة وهم ألوف [2]

وغزوة بدر الكبرى من الغزوات المهمة في تاريخ الدعوة الإسلامية، فقد تناول الشعراء هذه الغزوة من كل الزوايا وسجلوا في دواوينهم الشعرية ما جادت به قرائحهم الشعرية فجاء مطابقاً للحقائق التاريخية كقول علي بن أبي طالب τ في لاميته:.

ألم تر أن الله أبلى رسوله بلاء عزيز ذي اقتدار وذي فضل
بما أنزل الكفار دار مذلةٍ فلاقوا هواناً من إسارٍ ومن قتل
فأمسى رسول الله قد عز نصرهُ وكان رسول الله أُرسل بالعدل
فجاء بفرقان من الحق منزلٍ مبينة آياته لذوي العقل
فآمن أقوام بذلك وأيقنوا فأمسوا بحمد الله مجتمعي الشمل

---

[1] نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين النويري طبعة دار الكتب 1924م،1029/17.

[2] المرجع السابق 2 / 85 0(غير موجودة في الديوان) .

وأنـــكر أقـــوم فـــزاغت قلوبهـــم فـزادهم ذو العرش خَبْلاً على خَبْل
وأمكن منهم يوم بدر رسوله وقوماً غضابا فعلهم أحسن الفعل
بـأيديهم بـيضُ خفـاف عصـوابها وقد حادثوها بالجلاء وبالصقل
فكم تركوا من ناشئٍ ذي حمية صريعاً ومن ذي نجدة منهم كهل
تبيت عيون النائحات عليهم تجود بإسبال الرشاش وبالوبل
دعا الغي منهم من دعا فأجأبه وللغي أسباب مرمقة الوصل
فأضحوا لدى دارالجحيم بمعزل عن الشغب والعدوان في أشغل شغل[1]

ولم يفت حسانَ بنَ ثابت شاعر الدعوة المحمدية . على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم . أن يدلي بدلوه في هذه المناسبة العظيمة التي أعز الله تعالى فيها جند المسلمين، فقد أحس حسان بلذة النصر ونشوته فراح يسترجع ذكرى تلك اللحظات العصيبة التي مر بها أعداء الإسلام وأعوان الكفر من أهل مكة ويذكرهم بساداتهم الذين حصدتهم سيوف المسلمين حصداً، ويعيرهم بالهزيمة النكراء التي ألحقها بهم جنود المسلمين الذين تمكنوا من دحرهم وتركوا سادتهم وقاداتهم صرعى وكانَ الذلُ والخسرانُ نصيبَهم:.

لقـد علمـت قريـش يـوم بـدر غـداة الأسـر والقتـل الشديـد
بأنـا حيـن تشتجـر العـوالي حمـاة الحـرب يـوم أبـي الـوليد
قتـلنا ابنـي ربيـعة يـوم سـاروا إلينـا فـي مضاعفـة الحـديد
وفـر بهـا حكـيم يـوم جالـت بنـو النجـار تخطـر كـالأسود
وولـت عنـد ذلـك جمـوع فِـهر وأسلمـها الحـويرث مـن بعيـد
لـقد لاقيتـم خزيـاً وذلاً جهيـزاً باقيـاً تحـت الوريـد
وكـل القـوم قـد ولـوا جميعـاً ولـم يلـْووا علـى الحسـب التليـد[2]

---

[1] الاستيعاب: ابن عبد البر 3 / 57 – 67 والبداية والنهاية: ابن كثير 2/ 525 .

[2] شرح ديوان حسان : البرقوقي/140 . 141.

وله أيضاً في يوم بدر :.

ألا ليت شعري هل أتى أهل مكة ... إبارتنا الكفار في ساعة العُسر
قتلنا سراة القوم عند رحالهم ... فلم يرجعوا إلا بقاصمة الظهر
قتلنا أبا جهل وعتبة قبله ... وشيبة يكبو لليدين وللنحر
وكم قد قتلنا من كريم مرزأ ... له حسب في قومه نابه الذكر
تركناهم للعاويات تنوبهم ... ويصلون ناراً بعد حامية القعر
لعمرك ما خامت فوارس مالك ... وأشياعهم يوم التقيناعلى بدر [1]

ومن الوثائق التاريخية الهامة في الشعر الحربي بائية حسان بن ثابت τالتي يقول فيه :.

فدع عنك التذكر كل يوم ... ورد حزازة الصدر الكئيب
وخبر بالذي لا عيب فيه ... بصدق غير إخبار الكذوب
بما صنع المليك غداة بدر ... لنا من المشركين من النصيب
غداة كأن جمعهم حراء ... بدت أركانه جنح الغروب
فوافيناهم منا بجمع ... كأسد الغاب مُردان وشيب
أمام محمد قد آزروه ... على الأعداء في لفح الحروب
بأيدهم صوارم مرهفات ... وكل مجرب خاظي الكعوب
بنو الأوس الغطارف آزرتها ... بنو النجار في الدين الصليب [1]

---

[1] المرجع السابق /187.

فقد جسد حسان τ في هذه القصيدة ما آل إليه حال المشركين ولم ينفعهم كفرهم وعنادهم، وكيف أن الرسول ε من عطفه ورحمته وكرمه أمر بإلقاء موتاهم في بئر ببدر يسمى القَلِيب، وخاطب الرسول ε القتلى وناداهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان: أيسركم أنكم كنتم أطعتم الله ورسوله فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فقال: عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها ! فقال: والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم،[2]وهذا ما أشار إليه حسان في معرض قصيدته.

ولم تكن بائية حسان τ تجسيداً لحال المشركين فقط بل كانت وثيقة تاريخية، بل من أهم الوثائق لكل من أراد الوقوف على الحقائق التاريخية لهذه المعركة الفاصلة في تاريخ الدعوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة و أتم التسليم، فقد بدأ حسان في تصوير ساحة المعركة تصويراً دقيقاً، حدد موقعها من الناحية الجغرافية، وصال وجال بعدسة المصور البارع داخل أرض المعركة وصور كل من سقط في هذه الحرب الضروس من المشركين، وكان دقيقاً في سرده لأخبار المعركة فقد أشار إلي القتلى بأسمائهم، و زيادة في الدقة والتحري وحتى لا يكون هنالك أدنى مجال للشك أشار فقط إلى القواد الذين سقطوا،أي ذكر الرؤوس منهم، والأذناب لم يتطرق لذكرهم لقلة شأنهم، ولم يغب عن باله أن يشير إلى نهاية المعركة التي أعز الله فيها المسلمين وأذل أهل الكفر والمشركين.

كذلك من الحقائق التاريخية المهمة التي دونها كعب في شعره غزوة أحد،

---

[1] الروض الأنف: السهيلي 2 /74.

[2] الحديث أخرجه البخاري (3679) ومسلم (5120) .

فقد وضح في هذه القصيدة عدد جيوش المسلمين، كذلك أشار إلى عدد جنود الكفار، ومما يدل على صحة قوله وصدقه ، تطابق الشعر مع ما ورد في كتب التاريخ والأخبار:.

فجئنا إلى موج من البحر وسطه أحابيش منهم حاسر ومقنع
ثلاثة آلاف ونحن نصية ثلاث مئين إن كثرنا وأربع [1]

كذلك سجل كيف أن النصر كان حليف المسلمين في بداية الحرب :.

فلما تلاقينا ودارت بنا الرحى وليس لأمر حمه الله مدْفع
ضربناهم حتى تركنا سراتهم كأنهم بالقاع خشب مصرع
وراحوا سراعاً موجفين كأنهم جهام هراقت ماءه الريح مقلع

وقذف الله تعالى في قلوب المشركين الرعب والخوف فولوا مدبرين، وفي الجانب المقابل نجد جنود المسلمين الذين ثبت الله أقدامهم وأعزهم في هذه الحرب الضروس ومدهم بنصر من عنده يمشون مشية الفخر والخيلاء التي يأباها الله تعالى إلا في هذه المواقع، وكأنهم أسود ضارية أصابها الشبع بعد أن نالت من فريستها بغيتها:.

ورحنا وأُخرنا بطاء كأننا أسود على لحم بيشة ظُلع

وكما ورد في كتب التاريخ والسير فقد تحول نصر المسلمين إلى هزيمة لأن الرماة خالفوا أوامر الرسول ε :.

عمدنا إلى أهل اللواء ومن يطر ذكر اللواء فهو في الحمد أسرع
فخانوا وقد أعطوا يداً وتخاذلوا أبى الله إلا أمره وهو أصنع

---

[1] ديوان كعب بن مالك/122.

وقد أنزل الله تعالى فيها آيات في سورة آل عمران منها قوله تعالى:ـ (**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) (إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاساً يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي**

أَنْفُسِهِمْ مَا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزّىً لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) (وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ)(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (آل عمران152 : 160)

وقد جاءت مساهمة الأدب بصورة عامة والشعر على وجه الخصوص مساهمة فعالة ولعب دوراً بارزاً وواضحاً في مجال تأريخ الأحداث، وأشار عبد الكريم النهشلي أن الشعر هو:ـ" الكتاب الجامع لتاريخ العرب، والمسجل لكل أحداثهم والشاهد العدل

على كل تصرفاتهم ويحفظونه في صدورهم ويرونه عن أسلافهم إلى أبنائهم "[1] والشاعر في هذا الجانب يقوم بدور المؤرخ الأمين الذي ينقل أحداث زمانه ويدونها بصدق، فكما تناولت كتب الأخبار والتراجم وكتب السيرة النبوية الشريفة كل ما يتصل بحياة الرسول ε في حال السلم و الحرب كالمعاهدات التي أبرمها صلى الله عليه وسلم مع وفود القبائل المختلفة، كذلك تم تأريخ وتسجيل كل أفعال صحابته الكرام " عليهم رضوان الله " في دواوين الشعراء، كما يقول عبد القادر عويضة:ـ " وإذا كان التاريخ العام المدون في كتاب يسجله المؤرخون مراعين فيه الدقة وسرد الأحداث والتأريخ لها بالأرقام بصورة دقيقة ويعتمد على التفصيل والوقوف عند الجزئيات, وهو بذلك علم أكثر منه مشاعر وأحاسيس . فإن الشعر سجل للتاريخ يمزج فيه الشاعر بين الأحداث وبين مشاعره ومشاعر الآخرين إزاء هذه الأحداث ".[2]

ومن الأحداث التي سجلها الشعراء في دواوينهم موقف أبي بكر الصديق من المرتدين معاذ بن يزيد بن الصعق:.

بنـــي عـــامرأين أيـــن الفـــرا ر مـــــن الله ؟ والله لا يغلـــــب
منعتـم فرائض أمـوالكم وتـــــرك صـــــلاتكم أعجـــــب
وكـــذبتُم الحـــق فيمـــا أتـــى وإن المكـــــــذب للأكـــــــذب[3]

وتبارى الشعراء الإسلاميون في تناول سيرته العطرة من جميع الجوانب، ووصفوا شمائله الكريمة وخلقه وأخلاقه ونال الصحابة الكرام جانباً من هذا المدح والثناء.

---

(1) الممتـع فـي علـم الشـعر وعملـه: عبـد الكـريم النهشـلي ، تحقيـق المنجـي الكعبـي ، الدار العربية للكتب تونس بدون تاريخ/24.

(2) أثر الإسلام في الشعر في عصر الرسول والخلفاء الراشدين: السيد عبد القادر عويضة، مطبعة الأمانة مصر الطبعة الأولى 1987م/ 113.

(3) الإصابة : ابن حجر العسقلاني،473/3.

أما عبد الله بن رواحة فقد فتح لنا صفحات التاريخ الزاخرة والمليئة بأمجاد المسلمين منذ فجر الدعوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، لنقرأ في هذا المجلد الضخم ما وثقه τ وسجله عن غزوة السويق:.

وعـدنا أبـا سـفيان بـدراً فلـم نجـد ... لمـيعاده صدقـاً ومـا كـان وافيـا
فـأقسـم لـو وافيتـنا فلقيتنـا ... رأيـت ذميمـاً وافتقـدت المـواليا
تركنـا بـه أوصـال عتبـة وابنِـه ... وعمـراً أبـا جهـل تركنـاه ثاويـا [1]

ومن ضمن المآثر التي سجلها كعب بن مالك في سجل التاريخ الحربي ما كان من أمر قتل كعب بن الأشرف و إجلاء بني النضير من المدينة المنورة " على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم " وسُميت غزوة بني النضير:.

لقـد خزِيـت بغـدْرتِها الحُـبُور ... كـذاكَ الدّهـرُ ذو صَـرْفٍ يَـدُورُ
وذلـِك أنَّـهم كفَـرُوا بـرَبّ ... عزيـزٍ ، أمـرُه أمـرٌ كبيـرُ
وقَـدْ أوتـُوا معـا فهمـاً وعلمـاً ... وجاء هُـمُ مـن الله النـذير
نـذير صـادِقٌ أدَّى كتابـا ... وآيـاتٍ مبَيَّنَـةٍ تنيـر
فقـَالوا: مـا أتـيْتَ بـأمر صِـدْقٍ ... وأنـت بِمُنكـَرٍ منَـا جدَيـرُ
فقـال: بَلـَى لقـد أدَّيـْت حقـا ... يُصَدِّقنـي بـه الفَهِـمُ الخبـيرُ
فمَـنْ يتبعـه يُهْـدَ لكـُلّ رُشـدٍ ... ومـن يكْـفُر بـه يُجـزَ، الكفـورُ
فلَمَّـا أشْـرِبُوا غـَدْراً وكـفْرا ... وجـَاد بهـم عـن الحـق النـُّفـُورُ
أرَى الله النبـيّ بـرأي صِـدْقٍ ... وكـان الله يَحْـكمُ ، لا يَجُـورُ
فأيَّـدَهُ وسَلَّطـَهُ عليهـِم ... وكـانَ نَصِـيرهُ نـِعْمَ النصيـرُ
فغَـودِر مِـنهم كعْـبٌ صـريعاً ... فَذَلَّتْ بعد مَصْرَعِه النَّضِير
فتِلْـك بنـو النضـيرِ بـدار سُـوءٍ ... أبـارَهُمُ بمـا اجْترمـُوا المبـير
غـداة أتـَاهُم فـي الزحـف رَهـواً ... رسـولُ الله ،وهـو بـِهم بَصـير
فقـال: السلـمَ ويحكـمُ فصـدوا ... و(حـالف) أمرُهـمُ كـذِبٌ وزورُ
فذاقـوا غـِبّ أمْرِهـمُ وبـال ... لكُـل ثلاثـةٍ مِنـْهم بعيـر

---

[1] السيرة النبوية: ابن هشام 2/ 223.

وأجْلـــوُا عامديـــن لقيْنقـــاع وغُـــودِرَ منْهُـــمُ نَخـــلٌ ودُورُ[1]

ونزل الوحي الأمين على الرسول الكريم ε بسورة الحشر تشرح وتوضح حقيقة هذا الجلاء، وكما ورد في صحيح البخاري عن ابن عباس أنه كان يسميها : سورة بني النضير والتي يقول فيها الحق عز وجل: . (**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ)(وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ)** **(الحشر1 : 3)** .

ولم يقتصر دور شاعر النبوة حسان بن ثابت τ على الموضوعات التقليدية التي تعارف عليها الشعراء من مدح وفخر وهجاء ورثاء، بل أضاف إلى هذه الأغراض غرضاً آخر هو تأريخ الأحداث التي وقعت في صدر الإسلام، والمتصفح لديوان حسان بن ثابت يجد نفسه أمام موسوعة تاريخية ضخمة تزخر بأمجاد المسلمين. ومن بين هذه الأحداث التي سجلها في شعره ما كان من أمر إجلاء بني قريظة عن المدينة المنورة:.

لقـد لقيـت قريظـة مـا عظاهـا وحـــل بحصنهـــا ذل ذليـــل

وسعـد كـان أنـذرهم فصيحـاً بـــأن إلههـــم رب جليـــل

فمـا برحـوا بنقـض العهـد حتـى غـــزاهم فـــي ديارهـــم الرســـول

أحـــاط بحصنهـــم منـــا صـــفوف لـــه مـــن حـــر وقعتهـــا صليـــل

---

[1] ديوان كعب بن مالك /303.

فصـــار المؤمنـــون بـــدار خُلـــد أقـام (لهـم) بهـا ظـل ظليـل [1]

كما وثق كعب بن مالك ليوم خيبر بقوله :.

نحـــن وردنـــا خيـــبرا وفروضـــه بكـل فتـى عـاري الأشـاجع مـذود
جـواد لـدى الغايـات لا واهـن القـوى جريٌ علـى الأعداء فـي كـل مشهـد
عـظيم رمـاد الغـدر فـي كـل شـتوة ضـروب بنصـل المشـرفي المهنـد
يـرى القتـل مـدحاً إن أصـاب شـهادةً مـــن الله يرجـــوها وفـــوزاً بأحمـــد
يـذود ويحمـي عـن زمـار محمـد ويـــدفع عنـــه باللســـان وباليـــد
وينـــصره مـــن كـــل مـــر يريبـــه يجـــود بنفـــس دون نفـــس محمـــد
يصـدق بالأنبـاء بالغيـب مخلصـاً يريـد بـذاك العز والفوز فـي غـد [2]

ومن أهم شعر التأريخ الإسلامي ما كان من أمر فتح مكة للمسلمين، ذلك الفتح الذي مهدت له الرؤيا التي رآها الرسول ε في منامه قال الله تعالى : . **(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً) (الفتح:1)** إلى قوله تعالى :. **(لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً) (الفتح:27)** .

وسمي بالفتح العظيم لأنه كان خطوة واسعة وكبيرة جعلت نسائم الإسلام العطرة تفوح وتعطر بحلو شذاها وعظيم قيمها ومبادئها وتعاليمها جزيرة العرب، واعقبتها خطوة أوسع وأكبر هي الانطلاق إلى كل الدنيا لينشر الإسلام عدله ونوره وسماحته، وسجل حسان هذا الفتح المبين في همزيته التي مطلعها:.

عفـــت ذات الأصابـــع فالجـــواء إلى عذراء منزلها خلاء

---

[1] ديوان حسان بن ثابت /332.

[2] البداية والنهاية: ابن كثير 4 /217.

إلى أن يقول :.

عدمنـــا خيلنـــا أن لـــم تـــروها تثيـــر النقـــع موعدهـــا كـــداء
ينـازعـــن الأعنـــة مصغـــيات علـــى أكتـــافها الأســـل الظمـــاء
تـــظل جيادنـــا متمطـــرات تلطمهـــن بالخمـــر النســـاء
فـــإما تعرضـــوا عنـــا اعتمرنـــا وكـــان الفتـــح وانكشـــف الغطـــاء
وإلا فاصبـــروا لجـــلاد يـــوم يعـــز الله فيـــه مـــن يشـــاء
وجبـــريل أميـــن الله فينـــا وروح القـــدس لـــيس لـــه كفـــاء [1]

" والفتح القريب " الذي ورد في الآية الكريمة هو دخول مكة المكرمة عن طريق الطرق السلمية دون اللجؤ إلى الحرب أو القوة، وهو عين الفتح الذي أشار إليه شاعر الدعوة الإسلامية و النبوة حسان بن ثابت في قصيدته " وكان الفتح ".

وذكر ابن هشام: . " لما دخل الرسول ε مكة عام الفتح وأتى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمر فتبسم إلى أبي بكر وقال " يا أبا بكر كيف قال حسان " فأنشده أبوبكر τ : .

عـــدمت بنيتـــي إن لـــم تروهـــا تثيـــر النقـــع مـــن كنـــفي كـــداء
ينـــــازعن الأعنـــــة مســـــرجات تلطمهـــن بالخمـــر النســـاء [2]

وتناول عمر بن الخطاب هذه المناسبة العظيمة بقوله :.

ألـــم تـــر أن الله أظهـــر دينـــه علـــى كـــل ديـــن قبـــل ذلـــك حائـــد
وأمكنـــه مـــن أهـــل مكـــة بعدمـــا تداعـــوا إلـــى أمـــر مـــن الغـــي فاســـد
غـــداة أجـــال الخيـــل فـــي عرصـــاتها مســـومة بـــين الزبيـــر وخالـــد

---

(1) شرح ديوان حسان: البرقوقي /1. 6.

(2) البداية والنهاية: ابن كثير 4 /295.

فأمسى رسول الله قد عز نصره وأمسى عِداه من قتيل وشارد [1]

والنصر الذي أشار إليه عمربن الخطاب استمده من نص الآية الكريمة:ـ (**(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) ش(وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً) (النصر1 : 2)** .

وكان من أولى القضايا والأحداث التي واجهت خليفة رسول الله في بداية عهده حروب الردة. وفسر الحطيئة ردته ورجوعه عن دين محمد ε لأنه لم يعد هنالك وجود له بينهم بقوله :.

أطعنا رسول الله ما كان بيننا فيا لعباد الله ما لأبي بكر
أيورثها بكراً ، إذا مات ، بعده وتلك لعمر الله قاصمة الظهر [2]

ومن الشعراء من مزقه الألم وأصابته الحسرة لردة قومه كزفير بن يزيد الأسدي :.

لهفي على أسد أضل سبيلَهم بعد النبي طُليحةُ الكذاب [3]

ويتناول مكنف بن زيد الخيل قصة طلحة الكذاب الذي ادعى النبوة بقوله :.

ضلوا وغرهم طُليحة بالمنى كذباً وداعيِ ربِنا لا يكذب

---

[1] زهر الآداب: الحصري 1 /42.

[2] الأغاني: الأصفهاني 130/2.

[3] الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين: نايف معروف ، دار النفائس للطباعة بيروت، الطبعة الأولى 1990م /239.

لمـــا رأونـــا بالفضـــاء كتائبـــاً يدعـــو إلـــى رب الرســـول ويرغـــب
ولـــوا فـــراراً والرمـــاح تـــؤزهم وبكـــل وجـــه وُجهـــوا نترقـــب

ومنهم من أشار إلى أؤلئك الفجرة الذين ادعوا النبوة كمسيلمة الكذاب فوثق ثمامة بن آثال الحنفي ذلك في شعره بقوله :.

دعـاني إلـى تـرك الديانـة والهـدى مسـيلمة الكـذاب إذ جـاء يسـجع
فـيا عجبـاً مـن معشـر قـد تبـايعوا لـه فـي سـبيل الغـي، والغـي أشـنع [1]

وكان من بين من ادعى النبوة امرأة يقال لها سُجاح وسخر منها عطارد بن حاجب بن زراره التميمي ومن ادعائها الكاذب :.

أضـحت نبيتـنا أنثـى نطـيف بهـا وأصـبحت أنبيـاء النـاس ذكرانـا
فلعنـــة الله رب النـــاس كلهـــم علـى سـجاح ومـن بـالكفر أغوانـا[2]

وفي الجانب المقابل نجد من الشعراء من يعلن على الملأ نكرانه لهذه البدع التي أتي بها هؤلاء المرتدون ويحذرهم من العواقب الوخيمة التي تلحق بهم في الدنيا والآخرة كالحارث بن مرة التفيلي، الذي وقف واعظاً في قومه بني عامر وحذرهم من عاقبة فجورهم وخروجهم من أنس الطاعة إلى وحْشية المعصية:.

بنـي عـامر إن تَنصـروا الله تُنصـروا وإن تـــنصبوا لله والديـــن تخـــذلوا
وإن تـــهزموا لا ينجـيكم عنـه مهـرب وإن تثبتـــوا للقـــوم والله تقتلـــوا[3]

---

[1] الاستيعاب: ابن عبد البر 208/1,

[2] الإصابة: ابن حجر العسقلاني 55/2.

[3] الأصنام: أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي تحقيق أحمد زكي باشا ، المطبعة الأميرية 1914م 1/1 . 2.

كذلك ممن ثبت الله قلوبهم على دينهم من بني عامر عمارة بن قريظ نصح قومه وخطب فيهم: " أما الصلاة فنوركم وأما الزكاة فطهركم " ولكنهم أصروا على ظلم أنفسهم بطغيانهم وحيادهم عن دين الحق ووصف حالهم بقوله:.

ثقلت صلاة المؤمنين عليكم بني عامر والحق (جِدُ) ثقيل
وأتبعتموها بالزكاة وقلتم ألا لا تقروا منهما بفتيل
فلا يبعد الله المهيمن غيركم سبيلكم في كل شر سبيل [1]

ومن ثبت الله تعالى قلبه على الهدى ودين الحق تبرأ من قومه ومن كفرهم كامرىء القيس بن عابس الكندي، عندما أرسل ببعض ما جادت به قريحته ليعبر عن ثباته على دين محمد ε وشريعة الله التي ارتضاها لعبادة:

ألا أبلغ أبا بكر رسولا وبلغها جميع المسلمينا
دعوت عشيرتي للسلم حتى رأيتهم أغاروا مفسدينا
فليس مجاوراً بيتي بيوتاً بما قال النبي مكذبينا
ولا مُتبدلاً بالله رباً ولا متبدلاً بالدين دينا
شأمتم قومكم وشأمتمونا وآخركم سيشأم آخرينا [2]

---

[1] الإصابة: ابن حجر العسقلاني 3 /112.

[2] المؤتلف والمختلف: الآمدي، تحقيق عبد الستار فراج، دار إحياء الكتب العربية 1961م، 1/5 . 4.

ووثق أبو بكر بن حماد مقتل على بن أبي طالب τ على يد ابن ملجم " قاتله الله " بقوله :.

وهـــز علـــي بـــالعراقين لحيـــةً ... مصـيبتُها جلَّـتْ علـى كـل مسـلم
فقـــال ســـيأتيها مـــن الله حـــادث ... ويخضـبها أشـقى البـرية بالـدم
فباكـــره بالســـيف شُـــلَتْ يمينُـــه ... لشـؤم فطـام عنـد ذاك ابـن ملجـم
فيـا ضـربة مـن خاسـر ضـل سـعيه ... تبـوأ منهـا مقعـداً فـي جهـنم
ففـــاز أميـــر المـــؤمنين بحظـــه ... وإن طرقـت فينـا الخطـوب بمعظـم
ألا إنمـــا الـــدنيا بـــلاء وفتنـــة ... حلاوتهـا شـيبت بصـاب وعلقـم [1]

ولم تقتصر لغة القوافي على تأريخ الأحداث من غزوات ومعارك، أو تسجيل لمعاهدات حربية أو سلمية، أو لكل ما يستجد في عصر من العصور، فقد نحا الإمام أبو العباس عبد الله بن محمد الناشي منحى آخر، ودون في بائيته التي يبدؤها بمدحه ε النسب النبوي الشريف وبهذا تعد هذه القصيدة من ضمن الوثائق الهامة في العديد من المجالات وخاصة في مجال معرفة الأنساب لما لهذا العلم من الأهمية في حياة

[1] الاستيعاب: ابن عبد البر 3 /660.

الأمم والشعوب ، ويستهل العباس قصيدته بمدح من مدحه رب العزة والجلالة في أعظم كتاب:.

مـدحت رسـول الله أبغـي بمدحـه وفـور حظـي مـن كـريم المـآرب
مـدحت امـرءأ فـاق المـديح موحـداً بأوصـافه عـن مبـعد ومقـارب

إلى أن يقول:-

وعجـز الـورى أن يجيئـوا بمثـل مـا وصـفناه معلـوم بطـول التجـارب
تـأبى بعـبد الله أكـرم والـد تبـلج منـه عـن كريـم المناسـب
وشـيبة ذي الحمـد الـذي فخـرت بـه قـريش علـى أهـل العُلـى والمناصـب
ومـن كـان يُستسـقي الغمـامُ بوجهـه ويُصـدر عـن آرائـه فـي النوائـب
وهاشـم البـاني مشـيد افتخـاره بغـر المسـاعي وامتـنان المواهـب
وعبـد منـاف فهـو علَّـم قومـه اشـ تطـاطَ الأمـاني واحتكـامَ الرغائـب
وإن قصـياً مـن كريـم غراسـه لفى منهل لم يدن من كف قاضب
بـه جمـع الله القبـائل بعدمـا تقسمهـا نهـب الأكـف السوالـب
وحـل كـلاب مـن ذرى المجـد معقـلا تقـاصر عنـه كـل دان وغائـب
ومـرة لـم يحلـل مريـرة عزمـه سفـاه سـفيه أو محوبـة حائـب
وكعب عـلا عن طالـب المجد كعبـه فنـال بـأدنى السـعي أعلـى المراتـب
وألـوى لـؤي بالعـداة فطوعـت لـه همـم الشـم الأنـوف الأغالـب
وفـي غالـب بـأس أبـي البـأس دونهـم يـدافع عنـهم كـل قـرن مغالـب
وكانـت لفهـر فـي قـريش خطابـة يعـوذ بهـا عنـد اشـتجار المخاطـب

وما زال منهم مالك خير مالك ... وأكرم مصحوب وأكرم صاحب
وللنضر طول يقصر الطرف دونه ... بحيث التقى ضوء النجوم الثواقب
لعمري لقد أبدى كنانة قبله ... محاسن تأبى إن تطوع لغالب
ومن قبله أبقى خزيمة حمده ... تليد تراث عن حميد الأقارب
ومدركة لم يدرك الناس مثله ... أعف وأعلى عن دنى المكاسب
وإلياس كان اليأس منه مقارنا ... لاعدائه قبل اعتداد الكتائب
وفي مضر يُستجمع الفخر كله ... إذا اعتركت يوما زحوف المقانب
وحل نزار من رياسة أهله ... محلا تسامى عن عيون الرواقب
وكان معد عدة لوليه ... إذا خاف من كيد العدو المحارب
وما زال عدنان إذا عد فضله ... توحد فيه عن قرين وصاحب
وأد تأدى الفضل منه بغاية ... وأرث حواه عن قروم أشايب
وفي أدد حلم تزين بالحجا ... اذا الحلم أزهاه قطوب الحواجب
وما زال يستعلي هميع بالعلى ... ويتبع آمال البعيد المراغب
ونبت بنته دوحت العز وابتنى ... معاقله في مشمخر الأهاضب
وحيزت لقيذار سماحة حاتم ... وحكمة لقمان وهمة حاجب
هموا نسل اسماعيل صادق وعده ... فما بعده في الفخر مسعى لذاهب
وكان خليل الله أكرم من عنت ... له الأرض من ماش عليها وراكب
وتارح ما زالت له أريحية ... تبين منه عند حمد المضارب
وناحور نحار العدى حفظت له ... مآثر لما يحصها عد حاسب
وأشرع في الهيجاء ضيغم غابة ... يقد الطلى بالمرهفات القواضب
وأرغو ناب في الحروب محكم ... ضنين على نفس المشح المغالب
وما فالغ في فضله تلو قومه ... ولا عابر من دونهم في المراتب
وشالخ وارفخشذ وسام سمت بهم ... سجايا حمتهم كل زائر وعائب
وما زال نوح عند ذي العرش فاضلا ... يعدده في المصطفين الأطايب

ولملك أبوه كان في الروع رائعا ... جريئاً على نفس الكمى المضارب
ومن قبل لمك لم يزل متوشلخ ... يذود العدى بالذائدات الشوازب
وكنت لادريس النبي منازل ... من الله لم تقرن بهمة راغب
ويارد بحر عند آل سراته ... أبى الخزايا مستدق المآرب
وكانت لمهابيل فهم فضائل ... مهذبة من فاحشات المثالب
وقينان من قبل اقتنى مجد قومه ... وقاد بشأو الفضل وخد الركائب
وكأن أنوش ناش للمجد نفسه ... ونزهها عن مرديات المطالب
وما زال شيث بالفضائل فاضلاً ... شريفاً بريئاً من ذميم المعائب
وكلهم من نور آدم اقبسوا ... وعن عوده أجنوا ثمار المناقب
وكان رسول الله أكرم منجب ... جرى في ظهور الطيبين المناجب
مقابلة آباؤه أمهاته ... مبرأة من فاضحات المثالب
عليه سلام الله في كل شارق ... ألاح لنا ضوءاً وفي كل غارب[1]

4. الإشادة بالجهاد:

ومن المهام الجديدة التي استحدثها الإسلام بتعاليمه السمحة في وظيفة الأدب الإسلامي والأدباء المسلمين الإشادة بالجهاد والمجاهدين في سبيل الله تعالى لإعلاء كلمة الحق ورفع راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، إذاً الغاية من الجهاد بناء المجتمع الإسلامي الفاضل المعافى من كل أنواع الرذيلة. وهذا اللون من موضوعات الشعر لم يكن من مفردات المعجم الجاهلي، أي لم تكن معروفه لدى العرب في جاهليتهم ، فقد كانوا على خبرة ودراية بالسلب والنهب والإغارة والثأر والقتل، يصف دريد بن الصمة الشاعر الجاهلي إغارته على بني يربوع وذلك بسبب قتلهم لأبيه،

---

[1] البداية والنهاية: ابن كثير 2/195– 198.

وكان الشاعر في هذه الإغارة قد استعان ببني نصر الذين آزروه على الثأر لأبيه فنظم بائيته التي يقول فيها:.

دعـوت الحـي نصـراً، فاسـتهلوا بشـبان ذوي كـرم وشـيب
علـى جَـرد كأمثـال السـعالي ورجـل مثـل أهميـة الكثيـب
فمـا جبنـوا ولكنـا نصـبنا صـدور الشـرعية للقلـوب
فكـم غـادون مـن كـاب صـريع يمـج نجيـع جائفـة ذنـوب
وتلكـم عـادة لبنـي ربـاب إذا مـا كـان مـوت مـن قريـب
فأجـلوا والسـوام لنـا مبـاح وكـل كريمـة خـود عـروب
وقـد تـرك ابـن كعـب فـي مكـر حبيسـا بـين ضـبعان و ذيـب [1]

وكانت فلسفتهم أن ينصر المرء أخاه ظالماً كان أم مظلوما ويلخص دريد بن الصمة فلسفتهم في هذا الشأن بقوله:.

ومـا أنـا إلا مـن غزيـة إن غـوت غويـت وإن ترشـد غزيـة أرشـد [2]

كذلك عبر الشاعر الجاهلي قُريظ بن أنيف العنبري التميمي عن هذه الفلسفة الجاهلية بقوله:.

قـوم إذا الشـر أبـدى ناجذيـه لهـم طـاروا إليـه زرافـات ووُحـدانا
لا يسـألون أخـاهم حـين ينـدبهم للنائبـات علـى مـا قـال برهانـا [3]

---

[1] ديوان دريد بن الصمة: تحقيق عمر عبد الرسول، دار المعارف مصر، بدون تاريخ/48.

[2] الأغاني: الأصفهاني 10/ 8.

[3] شرح ديوان الحماسة: أحمد بن محمد المرزوقي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1953م 1/ 22 .23.

وعندما تحولوا بفضل الإسلام من حظيرة الجاهلية ليتفيئوا تحت ظلال الإسلام الورافة انطلقوا للجهاد في سبيل الله تعالى عملاً بقوله عز وجل:.(**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)(الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)** **(الحج 39 : 40)** فقد بين الله تعالى الغرض من مشروعية الجهاد، وهو الدفاع عن الدولة الإسلامية الجديدة في المدينة المنورة بعد أن استقر بهم الحال وكثر عدد المسلمين ووجدوا العون والاستعداد من الأنصار للرد ومحاربة قريش الكفر والقبائل الأخرى التي تقف في وجه الإسلام حتى لا ينتشر داخل وخارج جزيرة العرب، كذلك كان من حكم مشروعية الجهاد أن يتمكن المسلمون من الدفاع عن أنفسهم ممن أخرجوهم من ديارهم عنوة وبغير حق.

ونزل الوحي الكريم بالعديد من الآيات القرآنية التي تحث المسلمين وتدفعهم للقتال دفاعاً وليس عدواناً كقوله تعالى:.(**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) (البقرة:216)** .

كذلك يبين الله تعالى ما أعده من نعيم للمجاهدين في سبيله: . كقوله تعالى:. (**الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ)(يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ)(خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) (التوبة20 : 22).**

فالجهاد بيع النفس لله تعالي وبذلها رخيصة في سبيل مرضاته، و في المقابل يكون الجزاء والثواب جنة عرضها السموات والأرض لقوله تعالى: . (**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة:111) .**

كذلك اقتداءً بسنة نبيه الكريم: " جاهدوا المشركين بأنفسكم وأموالكم وألسنتكم" [1]

وقد عرف الإمام علي τ في خطبة من خطبه الجهاد، وذلك عندما أغار سفيان بن عوف الأزدي على مدينة الأنبار في عهده:" أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه،وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء...، [2]

وفي ساحات الوغي وعند التحام الصفوف يتجلى دور الأديب المسلم في شحذ همم الجنود والمجاهدين مصوراً لهم النعيم الأبدي الذي أعده الله تعالى لمن يجود بنفسه في سبيل إعلاء كلمة الحق وهو القائل وقوله الحق:.(**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ**

---

[1] رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، باب الجهاد حديث رقم 65 / 1350

[2] نهج البلاغة / 121.

ً رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) (الروم:47) .

ورفع الرسول ε من شأن الشعر والشعراء إلى مرتبة المجاهدين في سبيل الله تعالى، وبذلك صار للكلمة قوة السلاح وحدته. فإذا كان الجهاد بالنفس أعلى مراتب الجهاد وهو أن يجود المؤمن بنفسه رخيصة في سبيل إعلاء كلمة الحق والتوحيد مدافعاً عن محارم الله تعالى وعن نبيه الكريم، وهو بذلك يرجو ثواب الله تعالى بعد أن باع كل ملذات الحياة الفانية إيماناً منه بما عند الله، أو ما وعده الله تعالى به من نعيم لا يفنى ، فالجهاد من العبادات التي يتقرب المسلم بها إلى الله تعالى مستدبراً الدنيا مستقبلاً ً الموت، والاستشهاد في سبيل الله تعالى وهذا ما يحكيه حال الصحابي عُمير بن الحُمام الذي أتى إلى رسول الله ε سائلاً ومستفسراً عن حاله، فقد روى جـــــــــــــــــــــــــــــابر τ قال:ـــ

" قال رجل أين أنا يا رسول الله إن قُتلت ؟ قال له : في الجنة " [1]، فألقى تمرات كن في يده ثم قاتل حتى قتل وكان يردد:.

ركضـــــاً إلـــــى الله بغـــــير زاد إلا التـــــقى وعمـــــل المعـــــاد
والصـــبر فـــي الله علـــى الجهـــاد وكـــــل زاد عـــــرضة النفـــــاد

غير التقى والبر والرشاد [2]

---

[1] رواه مسلم 30 / 1315 ، باب الجهاد /383.

[2] تاريخ الرسل والملوك: محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بدون تاريخ، 2/ 448.

وكلمة ركضاً تدل على مدى اللهفة والشوق التي أحس بها المسلم المجاهد والصحابي الجليل عُمير بن الحُمام للقاء ربه؛ لأنه استحضر الجنة عندئذ وأعرض عن الدنيا ومتاعها الفاني فنعم الزاد كان زاده.

وكم من مجاهد خرج للجهاد بعد أن باع الدنيا وما فيها زاهداً في غنائم الحرب آملاً في ثواب الآخرة، فأصبحت بذلك الشهادة في سبيل الله تعالى الطريق المُعَبَّد للجنة. وهذا ما كان من حال الشاعر المجاهد بلسانه وسيفه عبد الله بن رواحة في غزوة مؤتة إذ كانت آخر كلمات الرسول ε في وداعه للمجاهدين: صحبكم الله ودفع عنكم الأذى وردكم إلينا سالمين، هنا أنشده شاعر النبوة:.

لكنـــي أســـأل الـــرحمن مغفـــرة وضـــربة ذات فـــرغ تقـــذف الزبـــدا
أو طعنـــة بيـــدي حـــران مجهـــزة بحربـــة تنفـــذ الأحشـــاء والكبـــدا
حتـى يقولـوا إذا مـروا علـى جـدثي أرشـده الله مـن غـاز وقـد رشـدا [1]

وكان مرادُ القعقاع بن عمرو يوم القادسية مِن طعنِه وضربِه للعدو الذي وصفه بإصابة الهدف هو الجنةَ :.

أزعجهـــم عمـــداً بهـــا إزعاجـــا أطعـــن طعنـــاً صائبـــاً ثجاجـــا
وأرجـــو بـــه مـــن جنـــة أفواجـــا [2]

---

(1) المصدر السابق 170/3.

(2) المصدر السابق546/3.

ومن المشاهد الإسلامية الرائعة التي صورها عروة بن زيد الخيل وجسدها في لوحة فنية رائعة، حال من يفتخر بقيمه الجاهلية التي هذب الإسلام بعضها وأقر الصالح منها ونسخ الطالح و الضار وأبدلهم الله تعالى خيراً ًًًًًًًًًً منها، فكان الرجل منهم شديد الاعتزاز بمآثره قبل الإسلام ، ولكن بعد أن من الله تعالى عليه وشرح قلبه

للإسلام حافظ على ما أقره منها الإسلام وعض عليه بالنواجذ، بل سخره لخدمة دينه الجديد والذب عن محارم الله تعالى. وفي الوقت نفسه نجده ينبذ كل متاع دنيوي ويعرض عنه ويقبل بكلياته إلى الله تعالى يرجو ثوابه وفضله:.

ألا طرَقَتْ رَحْلى وقد نامَ صُحْبَتِي ... بإيوَانِ شِرينَ المُزَخْرَفِ خُلّتِي
وَلوْ شَهدَتْ يَوْمَي جَلُولاءَ حَرْبنا ... وَيَوْمَ نَهَاوَنْدَ المَهُولَ اسْتَهَلَّت
إذاً لَرَأَتْ ضَرْبَ امرىءٍ غَيْرِ خَامِلٍ ... مُجيدٍ بطَعْنِ الرُّمْحِ أرْوَعَ مِصْلَتِ
ولمَّا دَعَوْا يا عُرْوَةَ بنَ مُهَلْهَلٍ ... ضَرَبْتُ جُمُوعَ الفُرْسِ حتى تَوَلَّتِ
دَفَعْتُ عليهم رَحْلَتِى وفوارِسِي ... وَجَرَّدْتُ سَيْفي فيهم ثمَّ ألَّتِى
وَكَمْ من عَدُوٍّ أشوَس مُتَمَرِّدٍ ... عليه بِخَيْلى في الهياجِ أظلَّتِ
وَكَمْ من كُرْبَةٍ فرَّجْتُها وكريهَةٍ ... شَدَدْتُ لها أَزْرِى إلى أنْ تَجَلَّتِ
وقد أضْحَتِ الدُّنيا لديّ ذميمَةً ... وَسَلَّيتُ عنها النَّفْسَ حَتى تَسَلَّتِ
وأصبح همّى في الجهادِ وَنِيَّتِى ... فَلِه نَفَسٌ أدْبَرَتْ وَتَوَلتِ
فلا ثَرْوَةَ الدنيا نُريدُ إكتِسَابها ... ألا إنَّها عن وَفْرِها قد تَخلَّت
وماذا أرَجِّي من كنوز جَمَعْتها ... وهَذي المنايا شُرَّعاً قد أظلّتِ[1]

وفي يوم بدر قاتل عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب حتى قطعت رجله فأنشد :.

فإن تقطعوا رجلي فإني مسلم ... أعيش بها عيشاً من الله دانيا
مع الحور أمثال التماثيل أُخلصت ... مع الجنة العليا لمن كان عاليا
وبعث بها عيشاً تعرق صفوه ... وعالجته حتى فقدت الأدانيا
فأكرمني الرحمن من فضل منَّه ... بثوب من الإسلام غطى المساويا
وما كان مكروها إلى قتالهم ... غداة دعا الأكفاء من كان داعيا

---

[1] الأخبار الطوال: أبو حنيفة بن داود الدينوري ، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي القاهرة 1960م / 138.

لقينـــاهم كالأســـد تخطـــر بالقنـــا نقاتل في الرحمن من كان عاصيا [1]

ومن روائع البطولات الإسلامية ما كان من أمر خبيب بن عدي الذي غدر به أعداء الكفر، فقد قدم وفد من بني عضل والقارة إلى الرسول ε ، وكان ذلك بعد غزوة أحد، وطلبوا منه أن يرسل معهم من يفقههم في أمور الدين، فلبى طلبهم، وكان خبيب من ضمن الذين انتدبهم للقيام بهذه المهمة، وعندما صاروا بموضع ماء لقبيلة هذيل يسمى بالرجيع غدر هؤلاء القوم بخبيب وأصحابه بعد أن استعدوا عليهم قبيلة هذيل وراح ضحية هذه المكيدة والغدر أربعة من أصحاب خبيب الذي أسر مع رفيق آخر له يدعى زيد بن الدثنة وباعتهما هذيل لقريش مقابل أسيرين من هذيل كانا بمكة، وكان مصير خبيب القتل فقد اشتراه حجير التميمي ليقتله ويشفي غليله في مقتل الحارث بن عامر الذي قتله المسلمون في غزوة بدر. قبيل مقتله طلب منهم أن يصلي ركعتين فسمحوا له فأحسن الخشوع والركوع فيهما وأتمهما، وبعد أن فرغ من صلاته تم صلبه إلى جذع نخلة حتى يتم فيه تنفيذ الحكم الجائر عندها قال:. (اللهم إنا قد بلغنا رسالة إلى رسولك فبلغ الغداة ما يفعل بنا ، ثم قال: اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا). [2] في هذه القصيدة يجسد خبيب صورة المجاهد الحق والفارس المسلم الذي ثبت على عقيدته وصبر واحتسب الأجر والثواب عند الله تعالى:.

لقـد جَمَّـع الأحـزابُ حَـوْلي وألبـوا قبائلـَهم واسـتجمعوا كـلَ مَجْمَـعِ
وكـلُهم مُـبْدِي العـداوةِ جاهـدٌ عَلـيَّ لأنـَّي فـي وثـاقي بِمَضْيـَع
وقـد جَمَّعـوا أَبنـاءَهم ونسـاءَهم وقرِّبـتُ مـن جِـذْعٍ طويـل مُمَنـَّعِ
إلـى الله أشـكو غربتـي ثـم كُرْبتـي وما أرصد الأحزابُ لـي عند مَصْرَعي

---

[1] السيرة النبوية: ابن هشام 2/ 112.

[2] مقدمة في نظرية الشعر الإسلامي المنهج والتطبيق: عباس المناصرة مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى 1997م/ 142

فـذا العـرش صِـبرني علـى مـا يُـراد بي فقد قبضوا لحمي ويأس مَطمَعي
وذلــك فــي ذات الإلــه وإن يَــشأ يبــارك علــى أَوصــال شِــلوٍ مُمَــزَّعِ
وقـد خيرونـي الكفـرَ والمـوتُ دونَـه وقـد هَمَلَـتْ عينـايَ مِـن غيـر مَجْـزَع
ومـابي حِـذَارُ المـوت إنـي لَمَيـت ولكــن حِــذاري حجــمَ نــارٍ ملفــعِ
ولستُ أُبالي حين أُقْتَلُ مُسْلماً على أيّ جنب كان في الله مَصْرَعي
وَلَـسْتُ بمبـدٍ للعـدو تَـخَشُّعـاً ولا جَزِعـاً، إنـي إلـى الله مَرْجِعِـي[1]

كذلك من البطولات الرائعة موقف المقداد بن الأسود الذي عبر فيه بوضوح وجلاء عن حاله وحال كل المسلمين، فقد روى البخاري قال:. " سمعت ابن مسعود يقول: شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلى مما عُدل به. أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم موسى اذهب أنت وربك فقاتلا، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك ومن خلفك. فرأيت النبي ε أشرق وجهه وسره يعني قوله "، [2] وفي رواية أخرى أن المقداد قال: . للرسول ε " فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى " برك الغماد " لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال النبي ε خيراً ودعا له ". [3]

وكما كان الرسول ε القدوة الفعلية في كل عمل يؤديه سواء كان وقت السلم أو

في زمن الحرب، وعند الحرب تتجلى معادن الرجال فقد كان أشجع الفرسان الأشداء

الأقويـاء يلتفـون حولـه ε عنـدما يشـتد الـوطيس فيلهـب حماسـهم ويشـحذ هممهـم

---

(1) المرجع السابق /142.

(2) صحيح البخاري 93/5.

(3) قصص القرآن: محمد جاد المولى، محمد أبو الفضل، علي محمد البجاوي والسيد شحاتة، دار الجيل بيروت الطبعة الثالثة عشرة 1985م/316.

ويستمدون منه العزم والحزم للثبات في وجه الأعداء، وكان ينادي ε يوم حنين وقد أفزعت الحرب العديد من الفرسان:- " أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب " [1]

ووصف بجير بن زهير بن أبي سُلمى من ثبت يوم حنين بجانب الرسول ε بقوله :.

لــولا الإلــه و(عبــده) وليتهــم حــين استخــف الــرعب كــل جبــان
فــاله أكرمنــا وأظهــر ديننــا وأعزنــا بعبــادة الــرحمن
والله أهلكهــم وفــرق جمعهــم وأذلــهم بعبــادة الشــيطان
إذ قــام عــم نبيكــم ووليــه يــدعون (يــا لكتيبــة) الإيمــان
أيــن الــذين هــم أجابــوا ربهــم يــوم العــريض وبيعــة الرضــوان [2]

أما العباس بن عبد المطلب τ فقد عدد من ثبت من الصحابة رضوان الله عليهم يوم حنين عندما احمرت الأحداق وجلت القلوب:.

ألا هل أتــي عرســي ومكــري ومــوقفي بــوادي حنــين والأســنة تشــرع
وقولي إذا ما النفس جاشت لها:قَدي وهــامُ تدهــدي والســواعد تقطــع
وكيــف رددت الخيــل وهــي مغيــرة بــزوراء تعطــي باليــدين وتمنــع
نصرنا رسول الله في الحرب سبعة وقد فر من قد فر عنه وأقشعوا
وثامننــا لاقــى الحمــام بسيفــه بحامســه فــي الله لا يتوجــع [3]

---

[1] كشف الخفاء: محمد بن إسماعيل العلجوني مطبعة دار إحياء التراث العربي بيروت 1351هـ، رقم 624.

[2] السيرة النبوية: ابن هشام 2 / 295

[3] العمدة: ابن رشيق 1/ 36 .

والثمانية الذين ثبتوا مع النبي ε كما ورد في العمدة : هم أبو بكر الصديق، وعمر، وعلي، والعباس، والفضل ابنه وأبو سفيان وأخوه ربيعة بن الحارث، ومعتب بن أبي لهب والشهيد أيمن (ابن عبيدة) أبن أم أيمن مولاة رسول الله ε .
(1)

وكما أشار العباس كان أبو سفيان بن الحارث من الذين ثبت الله أقدامهم في ساحة الحرب وعند التحام الصفوف وحين فر الناس من الفزع وشدة الخوف، وكان ممسكاً ببغلة رسول الله ε ، وأكد ثباته في هذا اليوم العصيب بقوله:.

لقد علمت قريش غير فخر أنا نحن أجودهم حصانا
وأكثرهم دروعا سابغات وأمضاهم إذا طعنوا سنانا
وأدفعهم عن الضراء عنهم وأبينهم إذا نطقوا لسانا (2)

وله أيضاً في يوم حنين :.

لقد عَلمتْ أَفناء كعبٍ وعامرٍ غَدَاةَ حُنَيْنٍ حينَ عَمّ التضَعْضُعُ
بأنِي أخُو الهَيْجَاءِ أركب حَدَّها أمامَ رسولِ اللهِ لا أتتَعْتَعُ
رجاءَ ثوابِ اللهِ ، واللهُ واسع إليه تعالى كلُّ أمر سيرجِعُ(3)

فقد سار صحابته الكرام على نهجه السوي وسيرته العطرة فنجد قائد المعركة يتصدر الصفوف الأمامية كخالد بن الوليد :.

اليوم يوم فاز من صدق
لا أرهب الموت إذا الموت طرق

---

(1) المرجع السابق 1 / 36.

(2) المرجع السابق 36/1.

(3) الطبقات الكبرى: ابن سعد 4/ 152.

لأرويـــــن الرمـــــح مـــــن ذوي الحـــــدق
لأهـــــتكن البيـــــض هتكـــــاً والـــــورق
عســـى أرى غـــداً مقـــام مـــن صـــدق
فـــي جنـــة الخلـــد ، وألقـــى مـــن سبـــق[1]

والجهاد بالمال يحتاج إلى مقاومة النفس ومغالبة هواها من غريزة الشح والبخل وعشقها الجم للمال، لأن حب المال من الغرائز الطبيعية في الإنسان، كذلك الجهاد بالمال باب من أبواب الإنفاق في سبيل الله تعالى وهكذا يتمكن الإنسان من السمو بنفسه عما يدنسها.

أما جهاد الكلمة أو الجهاد باللسان فيشمل الأدباء على اختلاف مواهبهم الفطرية، فنجد من بينهم الشاعر والخطيب والواعظ وكل من امتلك ناصية البيان وزمام الكلم، وأصبحت الكلمة مطيته التي يمتطيها للوصول إلى أهدافه وغاياته ووسيلته وسلاحه للدفاع عن الإسلام، إذاً فجهاد الكلمة يحتاج إلى الموهبة الفطرية في الأديب والشجاعة الأدبية أي الجرأة على قول الحق مهما ترتب على ذلك من نتائج لذلك قال الأصمعي:. " فرسان الشعر أقل من فرسان الحرب " . [2]

---

(1) فتوح الشام: الواقدي 1/ 26 .27.

(2) إعجاز القرآن: الباقلاني/ 203.

الاستعداد لتسخير هذه الموهبة التي حباه الله تعالى بها في الدفاع عن العقيدة الإسلامية والذب عن حياض الإسلام، وردع كل من تسول له نفسه النيل من هذه الشريعة السماوية السامية التي ارتضاها الله تعالى لعباده. كذلك توضيح ما فيها من قيم ومُثل وتعاليم تهدف إلى السمو بالروح الإنسانية والعقل البشري الذي ميز الله تعالى به الإنسان عن سائر المخلوقات.

ونجد أن الجهاد بالنسبة للأديب المسلم يقوم على ركيزتين :

الركيزة الأولى في مشروعية الجهاد بالنسبة له كمسلم آمن بالله تعالى رباً وبمحمد ε نبياً، فأصبح من واجبه كمسلم أن يجاهد في سبيل الله تعالى متى كانت هنالك ضرورة للجهاد، وذلك امتثالاً لقوله تعالى:ـ (**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ**) **(البقرة: من الآية216)** .

والركيزة الثانية تسخير مواهبه وقدراته البيانية وتمكنه من نواصي الكلم كأديب، أي يجند موهبته للدفاع والذب عن العقيدة الإسلامية، وتسخير المعاني وتطويعها لخدمة الشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، وبما أن السنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي فقد وسعت محيط الجهاد وفلكه ليشمل الجهاد باللسان، كما أنها جاءت مبينة وموضحة ومفصلة لكثير من الأحكام الشرعية والنصوص القرآنية، فقد روى أنس بن مالك τ أن الرسول ε قال:ـ " جاهدوا

المشركين بأنفسكم وأموالكم وألسنتكم ". [1] وعن كعب بن مالك أنه قال للنبي ε إن الله أنزل في الشعر ما أنزل فقال النبي ε :. " إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونه به نضح النبل ".[2]

والصلة بين الفرس والحرب صلة حميمة، فالفرس الأصيلة مؤشر من مؤشرات الفروسية والشجاعة، لذا ارتبط الفارس بفرسه ارتباطاً شديداً، فالفروسية كانت من أهم مفاخرهم ولا تتحقق هذه الفروسية إلا بفرس أصيل سلس القياد يساعد صاحبه على الكر والفر والثبات عند النزال، ووصف الخيل ونعتها بشتى أنواع النعوت من العادات التي دأب عليها الشعراء العرب، ووصف الفارس لفرسه إلى حد يصل في بعض الأحيان إلى التغزل بمحاسنه وشجاعته، وهذا دليل على مدى الصلة الحميمة والوثيقة بين الفارس وفرسه، وفي بعض الأحيان نجدها ترمز إلى الشاعر نفسه كوصف امريْ القيس لفرسه:.

---

[1] رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، باب الجهاد حديث رقم 65/ 1350.

[2] نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد:عبد الرحمن رأفت الباشا ، دار الأدب الإسلامي الطبعة الرابعة 1998م /18راجع سير أعلام النبلاء 525/2 .

وقـد أغتـدي والطيـر فـي وكناتهـا بمنجـرد قيـد الأوابـد هيـكل [1]

إلى أن يقول:

لـه أيطـلا ظبـي وساقـا نعامـة وإرخـاء سـرحان وتـقريب تتـفل

ومما جاء في سرعة الفرس قول بشر بن أبي خازم :.

يبـارين الأسنـة مصغيـات كمـا يتـفارط الثمـد الحمـام [2]

وقال الأصمعي:. " نعات الخيل المجيدين ثلاثة: أبو داوود، وطفيل، والنابغة الجعدي " . [3]

وأجمل زيد الخيل صفات الفرس العربي الأصيل في وصفه لفرس نجا بصاحبه في قوله :.

ونجـاك يـا ابـن العـامرية سـابح شديـد النسـا والقصـرين نجيـب
إذا قلـت : قـد أدركـت فابسـط عنانـه تجـرد سيـد أسلـمته غيـوب
فللسـوط أُلـهوب وللسـاق درة وبـالكف مـريخ العنـان لعـوب
يجـم علـى السـاقين بعـد كلالـة كمـا جـم جفـر بـالكلاب نقـيب [4]

---

[1] شرح المعلقات السبع: الزوزني/ 39 . 45.

[2] شرح المفضليات: التبريزي / 116.

[3] الشعر والشعراء: ابن قتيبة / 238.

[4] شعر زيد الخيل: أحمد مختار البزة، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى 1988م/82.

وأمر الله تعالى بالاستعداد التام لمنازلة العدو من ناحية العدة والعتاد في قوله تعالى: .(**(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ------) (لأنفال: من الآية60)** ومما جاء في السنة النبوية الشريفة عن ابن عمر رضى الله عنهما: أن رسول الله ε قال: " الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة "، وروى أبو هريرة τ قال: قال رسول الله ε من احتبس فرساً في سبيل الله، إيماناً بالله وتصديقاً بوعده، فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة ".

ويتناول كعب بن مالك وصف فرسه مستوحيا معانيه من المعاني القرآنية:.

أمر الإله بربطها لعدوه فـي الحرب إن الله خير موفق
لتكون غيظاً للعدو وحيطاً للدار إن دلفت خيول النزق [1]

كذلك قوله:.

ألا أبلغ قريشاً أن سلعاً وما بين العريض لى الصماد
نواضح في الحروب مدربات وخوص ثقبت من عهد عاد
رواكد يزخر المرار فيها فليست بالجمام ولا الثماد
كأن الغاب والبردي فيها أجش إذا تبقع للحصاد[2]

ويمكن القول إن وصف الخيل لإبراز محاسنها وقوتها وسرعة عدوها مع خفة الحركة وضمورها وسلاسة انقيادها لصاحبها، كل هذه المحاسن وغيرها من الصفات ما هي إلا صفات الخيول العربية الأصيلة التي عركت الحروب وخاضت غمارها، فهذه النقطة تعد من نقاط التماس بين الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي،

---

[1] ديوان كعب بن مالك / 78 .

[2] المرجع السابق /38.

أما خيول المسلمين فتمتاز بعدد من المزايا، فهي ليست كسائر الخيول، فهي العدة والحيطة والمعقل الحصين الذي يذود عن حمى الإسلام، إذاً مهمة الفرس وتوجهاته في ظل الإسلام تختلف عن سائر الخيول الأخرى فهي تقاتل مع جنود الله المخلصين لنصرة الإسلام ورفع رايته عالية ، كما تقوم بحراسة ربوع الإسلام من كل معتد أثيم.

ووصف النابغة الجعدي خيل الحرب بقوله :.

وننكر يوم الروع ألوان خيلنا من الطعن حتى تحسب الجون أشقرا
ونحن أناس لا نعوّد خيلنا إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا
وما كان معروفاً لنا أن نردها صحاحاً ولا مستنكرا أن تعقرا [1]

وفي يوم الخندق، وصف كعب بن مالك خيول المسلمين التي شاركت في الجهاد ضد أعداء الله من المشركين ، فقد اعتادت هذه الخيول خوض تلك المعارك الضارية الشرسة، واستهل قصيدته بقوله:.

ألا أبلغ قريشاً أن سلعاً وما بين العريض إلى الصماد

ثم يصف خيول المسلمين :.

نُصبحكم بكل أخ حروب وكل مطهم سلس القياد

[1] شعر النابغة الجعدي: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1964م /72.

وكـــل طِمِـــرة خفـــق حشـــاها تـــذُف ذفيـــف صفـــراء الجـــراد
وكـــل مقـــلص الآراب نهـــد تمـيم الخـلق مـن أُخـر وهـادى
خيـــول لا تضـــاع إذا أُضـــيعت خيـول النـاس فـي السنـة الجمـاد

ينـــازعن الأعنـــة مصـــغيات إذا نـادى إلـى الفـزع المنـادى[1]

وإضـافة إلـى أصـالتها فهـي محجلـة ومضـمرة، وقـد يكثـر مـن وصـف فرسـه بـالمقلص وهـى طـول قوائم الفرس مـع ضـمور البطن، وهـي مـن الصـفات التـي كـان يتباهى بها الفرسان قوله:.

ونعـد للأعـداء كـل مقلـص ورد ومحجـول القوائـم أبـلق
تـردي بفرسـان كـأن كمـاتهم عنـد الهيـاج أسـود طـل ملثـق
صـدق يعـاطون الكمـاة حتـوفهم تحـت العمايـة بـالوشيج المزهـق[2]

أما حسان بن ثابت فقد دله قلبه المؤمن بان فتحاً قريبا سوف يتم في همزيته التي يبدؤها بذكر الأطلال على عادة قد خلت في الجاهلية بقوله:.

عفـت ذات الأصـابع فـالجواء إلـى عـذراء منزلهـا خـلاء [3]

ثم يدلف إلى معاني جديدة وصوراً مستمدة من واقع الجهاد الإسلامي بقوله :.

عدمنـا خيلنـا إن لـم تروهـا تثيـر النقـع موعدهـا كـداء

ويستمر في وصف الخيول المقاتلة إلى جانب المسلمين فيصف شدة سرعتها حتى كأنها في مباراة مع أسنة الرماح:.

يبـارين الأسـنة مصـعدات علـى أكتـافها الأسـل الظمـاء

---

(1) ديوان كعب بن مالك /40 والسيرة النبوية: ابن هشام 207/2.

(2) كعب بن مالك الصحابي الأديب: عبد العزيز الرفاعي ، المكتبة الصغيرة الرياض الطبعة الثالثة 1977م / 94.

(3) ديوان حسان بن ثابت/7.

تظـــل جيادنـــا متمطـــرات تلطمهـــن بالخمـــر النســـاء

وبسبب هذا السبق والفوز الذي حققته هذه الخيول الأصلية تحظى بكل تكريم وعناية منا، ومن نسائنا اللواتي يمسحن ما علق بها من غبار عند تلاحم الصفوف ومن شدة العدو.

ويشبه كعب بن مالك خيول المسلمين بأسراب بالجراد :.

وخيـــل تراهـــا بالفضـــاء كأنهـــا جـــراد صـــبا فـــي قـــرة يتـــريع [1]

وتشبيه الخيل بالجراد يدل على كثرتها لأن الجراد في الغالب الأعم تتحرك في جماعات أو أسراب. ومن الشعراء الإسلاميين الذين أجادوا وبرعوا في وصف الخيل زيد الخيل، الذي وفد على الرسول ε معلناً إسلامه، وفي ذلك اليوم بدل عليه الصلاة والسلام اسمه وسماه زيد الخير، وكان قد سمي في جاهليته بهذا الاسم لكثرة ما كان يمتلك من الخيول، ووصف فرسه الذي ساعده في حربه على بني فزاره:.

لقـد علمـت نبهـان انـي حميتهـا وأنـــي منعـــت الســـبي أن يتبـــددا
غـــداة نبـــذتم بالصـــعيد رمـــاحكم وطبقـــتم البيـــداء مثنـــى وموحـــدا [2]

ثم يخلص بعد ذلك إلى وصف فرسه :.

---

[1] ديوان كعب بن مالك/ 61.

[2] تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ / 179.

بـذي شـطب أغشـى الكتيبـة سـلهبا أقــب كســرحان الظــلام مُعــودا
إذا شــك أطــراف العــوالي لبانــه أقدمــه حتــى يــرى المــوت أســودا
فمــا زلــت أرمــيهم بغـرة وجهــه وبالسـيف حتـى كـر تحتـي مجهـدا

وإذا كان الرجل في جاهليته يصف حال دابته وما لاقته من عنت وما تعانيه من مشقة السفر من فلاة إلى فلاة للوصول إلى أرض المحبوب للتمتع برؤيته أو الذهاب للممدوح لنيل عطاياه وهباته، فالراحلة هنا تحس بالمخاطر والمشقة وقد يتسرب إلى نفسها الملل، لأن هدفها هدف دنيوي رخيص لا يرتفع ولا يسمو إلى هدف وغاية الراحلة التي أعانت صاحبها على الجهاد في سبيل الله تعالى، فنبل الغايات مع صدق التوجه لله تعالى يرفع من شأنها، فقد وصف عبد الله بن رواحة حال الفارس على ظهر فرسه وليس معهم من كثير عدة أو عتاد سوى العقيدة الإسلامية التي كرمهم الله تعالى بها وملأت عليهم كيانهم وتخللت ذاتهم فأنشد ابن رواحه في ذلك الموقف العصيب:.

جلبنــا الخيــل مــن أجــأٍ وفــرُع تُغَـرُّ مــن الحشيــش لهـا العُكُــوم
حذوناهــا مــن الصــوان سِبتــا أزل كـــأن صفحتَـــه أديـــم
أقــامت ليلتيــن علــى معــان فــأُعقب بعــد فترتهــا جُمــوم
فرُحنـــا والجيـــاد مُسَـــوَّمات تَنَفّــس فــي مناخرهــا الســموم
فــلا وأبــي (مــآب) لنــأتينها ولــو كــانت بهــا عــرب وروم
فعَبأنـــا أعنتهـــا فجـــاءت عــوابس والغبــار لهــا بريــم
بــذي لجــب كــأن البــيض فيــه إذا بــرزت قوانسهــا النجــوم
فــراضية المعيشــة طلقتــْها أسنتنــا فتنكــح أو تــئيم [1]

---

[1] ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره: وليد قصاب ، دار الضياء للنشر والتوزيـع الأردن عمـان الطبعـة الثانيـة 1988م /150.و تـاريخ الأمـم والملـوك: الطبـري 170/3.

ومنهم من وصف حال ناقته التي أسرعت الخطى حتى يفوز بلقاء الرسول ε ليحظى بشفاعته التي تمهد له سبل المغفرة عند الله تعالى كقول مازن بن الغضوية:.

إليـــك رســـول الله جبـــت مطيتـــي تجوب الفيافي من عمان إلى العَرج

لتشفع لي يا خير من وطيء الحصى فيغفر لي ربي فأرجع بالفلج [1]

قال معاوية يوماً لجلسائه: " أخبروني بأشجع بيت وصف به رجل قومه " فقال له روح بن زنباع : قول كعب بن مالك :.

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا قدماً ونلحقها ذا لم تلحق [2]

فقال له معاوية: صدقت.

ووصف رجلُ الحربِ والجهادِ كعبُ بن مالك آلةَ الحرب في عينيته :.

وكل صموت في الصوان كأنها إذا لُبست نَهْىٌ من الماء مُترع[3]

كذلك قوله :.

وصوارم نزع الصياقل غلبها وبكل أروع ماجد الأنساب
يصل اليمين بمارن متقارب وُكِلتْ وقيعتُه إلى خباب
وأغر أزرق في القناة كأنه في طُخْيةِ الظلماء ضوء شهاب [4]

كذلك نجده يصف دروعهم بأنها واسعة محكمة النسج أو الصنع ويحاكي شكل حلقاتها المستديرة شكل عيون ذكور الجراد :.

في كل سابغة تخط فضولها كالنهي هبت ريحه المترقرق
بيضاء محكمة كأن قتيرها حدق الجنادب ذات شك موثق

---

(1) الإصابة: ابن حجر العسقلاني 3 / 317.

(2) الأغاني: أبو الفرج الأصفاني 234/16.

(3) ديوان كعب بن مالك /122.

(4) السيرة النبوية: ابن هشام 259/2 وديوان كعب بن مالك /87.

جـــدلاء يحفزهـــا نجـــاد مهنـــد صـافي الحديـدة صـارم ذي رونـق
تلكـم مـــع التقـوى تكـون لباســنا يـوم الهيـاج؛ وكـل سـاعة مصـدق [1]

كما وصف كعب لباس الحرب :.

فســرنا إليــه جهــرة فــي رحــالهم ضــحيا علينــا البــيض لا نتخشــع
بلمومـــة فيـــها الســـنور والقنـــا إذا ضربـــوا أقـــدامها لاتـــورع [2]

والسنور عبارة عن لباس يلبسه المحارب كالدرع .

5. الرثاء :

ومن الموضوعات التي ورثها الشاعر الإسلامي من الشاعر الجاهلي غرض الرثاء، وهو البكاء والتفجع على الميت وتعديد مناقبه، وهو من السنن التي دأب العرب منذ القدم عليها وإن اختلفت كيفية التعبير عن الحزن من شخص لآخر ومن زمن لآخر. وكان أكثم بن صيفي يقول:ـ " لقد مضت لنا أصول نحن فروعها، فما بقاء الفروع بعد أصولها " [3]، أما قس بن ساعدة الأيادي فقال:.

فـــــي الـــــذاهبين الأوليـــــ ن مـــن القـــرون لنـــا بصـــائر
لمـــــا رأيـــــت مـــــوارداً للمـــوت لـــيس لهـــا مصـــادر
ورأيـــــت قومـــــي نحـــــوها يمضـــي الأكابـــر والأصـــاغر
لا يرجـــع الماضـــي إلـــي ولا مـــن الباقيـــن غـــابر
أيقنـــــت أنـــــي لا محـــــا لـــة حيـث صـار القـوم صـائر [4]

---

(1) المصدر السابق، 205/2.
(2) ديوان كعب بن مالك / 122.
(3) تاريخ الأدب العربي:عمر فروخ / 202.
(4) المرجع السابق /173.

ويشير ابن رشيق إلى أن:ـ " النساء أشجى الناس قلوباً عند المصيبة، وأشدهم جزعاً على هالك، لما ركب الله عز وجل في طبعهن من الخور وضعف العزيمة "، ولهذه الصفات كانت الخنساء أشهر من رثى في الجاهلية. وبكت دخنتوس أبوها " لقيط بن زراره سيد بني تميم " [1]، ومنهن من رثت أخاها كعزة بن مكدم الذي كان يلقب بحامي الظعائن:.

أبكي على مالك أودى، فأورثني بعد التفرق حزنًا حره باق
لو كان يرجع ميتاً وجد ذي رحم أبقى أخي سالماً وجدي وإشفاقي
فاذهب فلا يبعدَنْك الله من رجل لاقى الذي كل حي مثله لاقي
فسوف أبكيك ما ناحت مطوقة وما سريت مع الساري على ساق
أبكي لذكرته غير مفجعة ما إن يجف لها من ذكره مآقي [2]

وكما غيرت وبدلت الدعوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم الكثير من العادات السيئة واستبدلتها بأخرى بها يتم صلاح النفس البشرية، كذلك تغيرت مفاهيم الشعراء وكيفية تناولهم للموضوعات التي كانت تطرح، فأصبح الشعراء يتناولون في مراثيهم الإيمان التام بالقضاء والقدر وعلى المسلم أن يعزي نفسه بالصبر والسلوان وأن هذا المآل مصير كل إنسان مهما عمر أو امتد به الأجل. وفوق هذا وذاك يكون الموت موقفاً من المواقف لأخذ العظة والعبرة ومحاسبة الإنسان نفسه وردعها من كل عمل يقودها إلى طريق الهلاك، ثم مذكراً إياها بما أعده الله تعالى لها من طلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وغيرها من نعيم أبدي لا يزول ولا يفنى.

---

[1] الأدب الجاهلي: غازي طليمات وعرفان الأشقر/196.

[2] المرجع السابق / 198.

وكان أول من رثى النبي ε أبو بكر الصديق τ ، فدخل عليه لحظة وفاته وهو مسجى بثوب فكشف عنه الثوب وقال: . " بأبي أنت وأمي, طبت حياً وميتاً، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوة, فعظمت عن الصفة, وجللت عن البكاء, وخصصت حتى صرت مسلاة, وعممت حتى صرنا فينا سواء. ولولا أن موتك كان اختياراً منك لجدنا لموتك بالنفوس ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماء الشؤون. فأما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وإدناف يتحالفان ولا يبرحان. اللهم فأبلغه عنا السلام, اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك, فلو لا ما خلفت من السكينة لم نُقم لما خلفت من الوحشة، اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا ". (1)

ثم خرج وخطب في الناس قائلاً: . " أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله, وأَشهد أن الكتاب كما نزل وأن الدين كما شرع, وأن الحديث كما حدث, وأن القول كما قال, وأن الله هو الحق المبين ----إلى أن قال: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت, وإن الله قد تقدم إليكم في أمره, فلا تدعوه جزعاً وإن الله قد اختار لنبيه' ما عنده على ما عندكم, وقبضه إلى ثوابه, وخلف فيكم كتابه, وسنة نبيه. فمن أخذ بها عَرف ومن فرق بينها أنكر ' يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم, ويفتنكم عن دينكم, فعاجلوه بالذي تعجزونه, ولا تنتظرونه فيلحق بكم ".

وبرحيل المصطفى ε إلى الرفيق الأعلى أظلم العصران في عيني فاطمة الزهراء وبكت عليه بدموع سخينة :.

اغبـــر آفـــاق الســـماء وكـــورت شـــمس النهـــار وأظلـــم العصـــران

---

(1) زهر الآداب وثمر الألباب: زكي مبارك، المجلد الأول دار الجيل بيروت الطبعة الرابعة، بدون تاريخ/67 . 68.

فـالأرض مـن بعـد النبـي كئيبـة أســفاً عليــه كثيــرة الرجفــان
فليبكــه شــرق الــبلاد وغربهــا ولتبكــه مضــر وكــل يمــان
وليبكــه الطــود المعظــم جُــوده والبيــت ذو الأســتار والأركــان
يــا خــاتم الرســل المبــارك ضــوءُه صــلى عليــك مُنَــزِّل القــرآن[1]

وما أكثر الباكيات عليه ε فهذه بَركة أمُّ أيْمَن* تتوجع من شدة الحزن وتبكي مع الباكيات على من خصه الله تعالى بوحي السماء بقولها:.

وابكيــا خيــرَ مــن رُزِئنــاه فــي الـدنيا ومـن خَصـّهُ بـوحيِ السـماء
بــدموعٍ غــزيرةٍ منــكِ حتــى يقضـيَ اللهُ فيـك خيـرَ القضـاءِ
ولقــد كــان مــا علِمــتُ وصــولاً ولقـد جـاءَ رحمـةً بالضيـاء
طيــبُ العــود والضــريبةِ والمعــدِ نِ والخــتم خاتــمُ الأنبيــاءِ [2]

أما أروى بنت عبد المطلب فقد بكته بقولها:.

ألا يــا رســولَ اللهِ كنــتَ رجاءَنــا وكنــتَ بــنا بَــرّاً ولــم تــكُ جافيــاً
كــأنَّ علــى قلبــي لذكــرِ محــمدٍ ومـا خفـتُ مـن بعـدِ النبـيّ المكاويـا
أفــاطمُ صــلى الله ربُ محمــدٍ علـى جـدَثٍ أمسـى بيثـربَ ثاويـا [3]

ووردت بقية مرثية أروى بنت عبد المطلب في طبقات ابن سعد:.

لعمــرك مــا أبكــي النبــيّ لموتــهِ ولكــن لــهرجٍ كــان بعــدكَ آتــيا

---

(1) الروض الأنف: السهيلي 2 /380.

(2) السيرة النبوية: ابن هشام 3 / 101.

* كانت مولاة لعبد المطلب وكانت تخدم أم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي أم أسامة بن زيد .

(3) الإصابة: ابن حجر العسقلاني 325/3.

أبـــا حســـنٍ فارقتـــه وتركتـــه فبـكّ بحـزنٍ آخـر الـدهرِ شاجـيا
ولـــو أن رب النـــاسِ أبقـــاك بيننـــا سعدْنـــا ولكـــن أمرُنـــا كـــان ماضـــيا
عليـــك مـــن الله الســـلامُ تحـــيةً وأُدخلـتَ جنـاتٍ مـن العدنِ راضـيا
فـــدى لرســـولِ الله أمـــي وخـــالتي وعمـــي ونفســـي قـُصرةً ثـم خاليـــا
صَـبَرْتَ وبلغـتَ الرسـالةَ صـادقاً وقمتَ صليب الدينِ أبلـج صافيا [1]

أما صفية بنت عبد المطلب فقالت: .

عـــين جـــودي بدَمعـــةٍ تســـكابِ للنبـــــــيّ المطهَّـــــر الأوَّاب
وانـدُبي المصـطَفَى فَعُمـي وخُصِّـمي بـــدموعٍ غـــزيرة الأسْـــراب
عـــين مـــنْ تندبيـــنَ بعـــد نبـــيٍّ خَصَـــــّه اللهُ رَبُّـــــنَا بالكتـــــابِ ؟
فاتـــــحِ خاتـــــمٌ رحـــــيمٌ رؤُوفٌ صَـــادِق القِـــيل طيَـــبُ الأثـــواب
ُمشفـــقٌ ناصـــحٌ شفـــيق علينـــا رحمـــــةٌ مـــن إلـــهنا الوَهـّـــابِ
رحمـــــةُ الله والســـــلامُ عليـــــه وجـــزاه المليـــكُ حُسْـــنَ الثـــوابِ[2]

وبكى لبيد رسول الله ε مع من بكاه من الناس والشعراء وهم كُثر، ولكن نجده في بكائه يستعرض رسل الله وأنبيائه والملوك ومقصود الشاعر هنا مهما فقدت البشرية فإنه لا يعادل فقد النبي محمد ε ، كذلك عندما أورد ذكر هؤلاء الرسل والأنبياء والملوك، إنما أراد أن يوازن بين فقده ε وبين فقد من سواه:.

إن المنـــية رأسُ كـــلَّ َ منيّـــةٍ شـدَّ تْ علـى ملـكٍ أغـرَّ نبيـل
والحـــارثُ اشتملـــت عليـــه وإنـــه فـــي ملـــكِ ذي عـــزٍّ لـــه وحلـــولِ

---

[1] الطبقات: ابن سعد 2 / 325 .

[2] المصدر السابق 2/ 329 .

ورَمـَتْ علـى الجـيشِ فـي أشـياعِهِ لمـا عتـَوْا بحجـارةِ السـجيل
وتـــناولت أصحـــابَ تبـــعَ عنـــوةً مـــن بعـــدِ أفـــراس لـــه وخـــيول
وهـي التـي فَجَعَـتْ مدينـةَ راهِـطٍ والقريتيـــنِ بصـــاحِبِ الإنجـــيلِ
وبحامِـــلِ التـــوراةِ فـــي ألواحِهـــا فُجِعَـــت عســـاكرُ آلِ إســـرائيل
ِبالمصطفى بالوحي والعدل الرضى لله فـــي التحريـــم والتحيـــل
خيـــر النبيـــين الـــذين تُخيُـــروا للـــوحي وائتـــمنوا علـــى التأويـــل
لـو كانـت التقـوى تؤجِّـل مـن ردىً أحـــداً لكـــان أحـــقَّ بالتأجيـــل
آبـــاؤه فـــي الجاهليـــةِ خـــيرةٌ مـن قـومهم وكـذاك كـلُّ رسـولِ
عظَـمُتْ خلائقـُهُ فقَّصـر دونهـا شـرفُ الثنـاءِ وحِـدّة التبجيـلِ
لـو عـاشَ عِشـتّا آمنـين بغبطـةٍ مـا عـاش فـي كنـفٍ لـه وفضـولِ
مـن كـان قـد جَمَـعَ التـقى فـي شيمةٍ جمعـتْ مـن الأخـلاقِ كـلَّ جميـل
فلـئن أُصـيبَ لقـد أُصِبْـنا بعـدَه بمصيـبةٍ أعيـتْ بكـل سبيـلِ
والمنـــزلُ الغيـــثَ الهنـــيءَ دعـــاؤه والمنشـــر الأمـــواتَ بالتنزيـــل
واللهِ غادرَنـــا بمنـــزلِ ضيعـــةٍ أسـفين مـن حـزنٍ عليـه طويـل
ِبمصـيبةِ الميـتِ الـذي لا مثـله ميـــتٌ ولا حـــيٌّ لـــه تعديـــلُ
لا تبعـدنَّ وقـد بعـدت عـن الأذى وتركتنـــا فـــي عبـــرةٍ وعويـــلِ [1]

وكـان أول النـاس لحوقـاً بالمصـطفى ε فاطمـة الزهـراء رضـي الله عنهـا، فبكـى عليها زوجها علي بن أبي طالب وخطب لحظة دفنها قائلاً:ـ " السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري ورقّ عن سيدة النساء تجلّدي إلا أن لي في التأسي بعظم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعز، فلقد وسدتك في ملحود قبرك بعد ما فاضت بين نحري وصدري نفسك إنا لله وإنا إليه راجعون فلقد استرجعت الوديعة وأخذت الرهينة. أما

---

[1] المصدر السابق2/350.

حزني فسرمد وأما ليلي فمسهد إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم وستنبئك ابنتك فالحفها السؤال واستخبرها الحال فكم من غليل معتلج بصدرها هذا ولم يطل العهد ولم يخل الذكر والسلام عليكما سلام مودّع لا غال، ولا سئم، فإن أنصرف فلا عن ملالة وإن أقم فلا عن سوء بما وعد الله به الصالحين " [1] وعبر عن حزنه بأبيات تفيض حكمة:.

أرى علل الدنيا عليَّ كثيرة ... وصاحبها حتى الممات عليل
ذكرت أبا ودي فبت كأنني ... بردِّ الهموم الماضيات وكيل
لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذي دون الفراق قليل
وإن افتقادي فاطماً بعد أحمدٍ ... دليل على أن لا يدوم خليل
سيُعرض عن ذكري وتُنسى مودتي ... ويحدث بعدي للخليل خليل [2]

ورثى حسان شهداء بدر بقوله :.

ألا يا لقوم هل لما حم دافع ... وهل ما مضى من صالح العيش راجع
تذكرت عصراً قد مضى فتهافتت ... بنات الحشى وانهل مني المدامع
صبابة وجد ذكرتني أحبة ... وقتلى مضوا فيهم نفيع ورافع
وسعد فأضحوا في الجنان وأوحشت ... منازلهم فالأرض منها بلاقع
وفوا يوم بدر للرسول وفوقهم ... ظلال المنايا والسيوف اللوامع
دعا فأجابوه بحق وكلهم ... مطيع له في كل أمر وسامع
فما بدلوا حتى توافوا جماعة ... ولا يقطع الآجال إلا المَصارع
لأنهم يرجون منه شفاعة ... إذا لم يكن إلا النبيون شافع
وذلك يا خير العباد بلاؤنا ... ومشهدنا في الموت والموت ناقع

---

[1] زوجات النبي وأولاده: أمير مهنا الخيامي مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر 1990م / 346.

[2] المرجع السابق / 346.

لنـا القـدم الأولـى إليـك، وخلفنـا لأولنـا فـي طاعـة الله تابـع
ونعلـم أن الملـك لله وحـده وأن قضـاء الله لا بـدَ واقـع [1]

ورثى كعب ين مالك حمزة بن عبد المطلب الذي استشهد في يوم أحد ويخاطب في مرثيته هذه صفية- بنت عبد المطلب:.

صفيـه قـومي ولا تعجـزي وبَـكِّي النسـاء علـى حمـزة
ولا تسـأمي أن تطيلـي البـكا علـى أسـد الله فـي الهـزة
فقـد كـان عـزاً لأيتامنـا وليـث الملاحـم فـي البـزة
يريـد بـذاك رضـا أحمـد ورضـوان ذي العـرش والعـزة [2]

ورثى حسان بن ثابت فيمن رثى خبيبا :.

مـا بـال عينـك لا ترقـا مـدامعها سحاً على الصدر مثل اللؤلؤ الفلق
علـى خبيـب وفـي الـرحمن مصـرعه لا فشـلٍ حـين تلقـاه ولا نـزق
فاذهـب خبيـب جـزاك الله طيبـة وجنـة الخلـد عنـد الحـور فـي الرفـق
مـاذا تقولـون إن قـال النبـي لكـم حـين الملائكـة الأبـرار فـي الأفـق
فيـم قتـلتم شـهيد الله فـي رجـل طاغ قَدِ اوعثَ في البلدان والطرق[3]

كما بكى حسان بن ثابت خبيباً وأصحابه من شهداء الرجيع بقوله:.

صـلى الإلـه علـى الـذين تتابعـوا يـوم الرَّجـيع فـأُكرِموا وأُثِـيبوا
رأَس الكتيبـةِ مرثـدٌ وأَميـرهم وابـن البكيـر إمـامهم وخـُبيب
وابـنٌ لطـارِق وابـن دَثْنَـةَ مـنهم وافـاهُ تـم حِمامُـهُ المكتـوبُ

---

[1] السيرة النبوية: ابن هشام 270/2.

[2] المصدر السابق164/2.

[3] المصدر السابق 4/ 68.

والعــاصم المقتــول عنــد رجيعهــم كـــسَبَ المعـــالي إنـــه لكســـوبُ

منـــعَ المقـــادَة أن ينـــالوا ظهـــره حتـــى يجاهدَ،إنـــه لنجيـــب [1]

وكانت الفجيعة الثانية للسيدة عائشة رضى الله عنها، ولعامة المسلمين بعد وفاة الرسول ε وفاة خليفته أبي بكر الصديق الذي سار على نهجه ورد كيد الطامعين في النيل من الدعوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، وجادت الصديقة بنت الصديق بالدمع السخين على وفاة أبيها، كما جادت عليها قريحتها بالدر النفيس من الألفاظ والمعاني، فكان بكاؤها على أبيها في خطبة بليغة عبرت فيها عن مصابها فيه ورثته بقولها:. " نضر الله وجهك يا أبت، وشكر لك صالح سعيك، لقد كنت للدنيا مذلا بإدبارك عنها، وللآخرة معزاً بإقبالك عليها، ولئن كان أجلَّ الحوادث بعد رسول الله ε رزؤُك، وأعظمَ المصائب بعده فقدُك، إن كتاب الله ليَعِدُ بحسن الصبر فيك حسنَ العوض منك،وأنا استنجز موعود الله تعالى بالصبر فيك ، وأستقضيه بالاستغفار لك، أما لئن قاموا بأمر الدنيا، لقد قمت بأمر الدين، لما وهي شعبه وتفاقم صدعه، ورَجفت جوانبه، فعليك سلام الله، توديع غير قاليه لحياتك، ولا زارية على القضاء فيك " [2] وصدقت فيما قالت لأنه ε : عندما رأى الناس يصلون خلف أبي بكر عندما اشتد به المرض: فتح رسول الله باباً بينه وبين الناس ـ أو كشفستراً ـ فإذا الناس يصلون خلف أبي بكر، فحمد الله على ما رأى من حسن حالهم رجاء أن يخلفه فيهم بالذي رآهم. فقال:. " يأيها الناس أيما أحد من الناس أو المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري، فإن أحداً من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي". [3]

---

[1] ديوان حسان بن ثابت / 28.

[2] البيان والتبين: الجاحظ 240/2.

[3] البداية والنهاية: ابن كثير 5/ 276.

وعندما فجع أبو لؤلؤة الأمة المسلمة بمقتل عمر بن الخطاب τ كانت زوجه عاتكة بنت زيد بن نفيل تبكي فيه الزوج والخليفة العادل فقالت:.

عينـــي جـــودي بعبـــرة ونحيـــب لا تملـــي علـــى الأمـــين النجيـــب
فجعتنـــــي المنـــــون بالفـــــارس المعلـــم يـــوم الهيـــاج التثويـــب
عصمة النـاس والمعين على الدهر وغيـــث المحـــروم والمحـــروب
قـال لأهـل الضـراء والبـؤس موتـوا قـد سـقته المنـون كـأس شـعوب[1]

وكما بكى الشعراء على فقد الرسول ε بكوا على صحابته من بعده وكان من

بين الباكين على عثمان بن عفان تميم بن مقبل:.

ليبـك بنـو عثمـان مـا دام جـذمهم عليـه بأصـلال تُعـرى وتخشـب [2]

وبكى أبو الأسود الدؤلي مع من بكى من الشعراء على مقتل الخليفة علي بن

أبي طالب :.

ألا يـــا عـــينُ ويحـــكِ أسعدِينـــا ألا تبكـــي أميـــرَ المؤمنِينـــا
وتَبـــكِي أمُ كلـــثومٍ عليـــه بِعبْرتـــِها وقـــد رَأتِ اليقينـــا
ألا قُـــلْ للخـــوَارِج حيـــث كانـــوا فـــلا قـــرَّتْ عُـــيونُ الحـــاسدينا
أفـــي شـــهرِ الصِّـــيام فجَعْتـــمُونَا بخيـــر النـــَّاس طـــرًّا أجْمَعينـــا

---

[1] زهر الآداب: الحصري74/1.

[2] شعر الدعوة الإسلامية: عبدالله الحامد / 433.

قتلتـــمُ خيـــرَ مـــن رَكـــبَ المـــطايا وذلـــلَّها ومـــن رَكـــب السَّفِـــينا
ومـــن لَـــبس النـــعّالَ ومـــن حَـــذاها ومـــن قـــرأ المَـــثانيَ والمبُـِينـــاَ
وكـــلُّ مناقـــبِ الخـــيراتِ فيـــهِ وحِـــبُّ رســـول ربِّ العَالمينـــا
لقـد عـلِمت قـرُيشٌ حيـث كانـت بأنـــكَ خـــيرُهم حـــسَبا وديـــنا
إذا استقبَـلتُ وجْـه أبـي حُسَـيْن رأيـــت البـــدر فـــوق النَّاظرينـــا
وكنّـــا قبـــل مقْتـــلِه بِخـــيْرٍ نَـــرَى مـــوَْلى رســـولِ الله فيـــنا
يقِـــيمُ الحـــقَّ لا يرتـــابُ فيـــه ويعـــدِل فـــي العـــدَا والأقربِيـــنا
ولـــيسَ بكـــاتمٍ علِمْـــاً لديـــهِ ولـــم يُخـــلقْ مـــن المتكـــبِّرينا
ولا والله لا أنـــسَى عليـــاً وحُسْـــنَ صَلاتـــهِ فـــي الرّاكعينـــا
كـأنَّ النـاس إذا فقـدوا عَلِـيّاً نـــعَام حـــار فـــي بلَـــد سنينـــا [1]

وبمقتل الزبير بن العوام بوادي السباع بكته زوجه عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل :.

غـدر ابـن جـرموز بفـارس بهمـة يـــوم اللقـــاء وكـــان غيـــر معـــرد
يـــا عمـــرو لـــو نبهتـــه لوجدتـــه لا طائشـــاً رعـش الجنـــان ولا اليـد
كـــم غمـــرة خاضهـــا لـــم يثنـــه عنهـا طـراد يـا ابـن فقـع القـردد
ثكلتـــك أمـــك إن ظفـــرت بمثـــله فـيمن مضـى فـيمن يـروح ويغتـدى
والله ربـــك أن قتلـــت مســـلما حلـــت عليـــك عقوبـــة المتعمـــد[1]

[1] الأغاني: الأصفهاني 12/ 334.

[1] البداية والنهاية: ابن كثير 5/ 346.

6. الدعوة والإعلام :

لم يكن للعرب في جاهليتهم أي علم ودراية بوسائل الإعلام وكان الشاعر أو الخطيب الناطق الرسمي باسم قبيلته، وبمجيء الإسلام نجد أن مهمة الإعلام قد أوكلت للأديب المسلم، فالشاعر أو الخطيب المسلم هو رجل دعوة في المقام الأول، ودعوة الناس لاتباع الدين القيم نوع من العمل الإعلامي، لأن من صميم واجبات الدعاة تزويد الناس أو الجمهور بكل المعلومات والحقائق، ولابد من توخي الصدق والأمانة والدقة في نقل هذه الأخبار، وهنا نجد تطابقا بين وظيفة رجل الإعلام ومن جند نفسه للدعوة في سبيل الله تعالى.

وحتى يتمكن الرسول ε من تنفيذ الأمر الإلهي في قوله تعالى:.(**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**) **(المائدة:67)** ، فقد بدأ الرسول ε بتهذيب أجهزة الإعلام المتاحة في تلك الحقبة وقام بترشيد عملها وبلورة أهدافها، وتم افتتاح أول مركز إعلامي في الإسلام بالمدينة المنورة بعد أن استقر به الحال وهو مسجده الشريف ε ، وأصبح هذا المركز النواة الأولى لتلقي جميع أنواع العلوم والمعارف، و يشير شيخ الإسلام ابن تيمية إلى دور المسجد بقوله:ـ " وكانت مواضع الأئمة، ومجامع الأمة، هي المساجد، فإن النبي ε أسس مسجده المبارك على التقوى، ففيه الصلاة والقراءة والذكر وتعليم العلم والخطب وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات، وتأمير الأمراء، وتعريف العرفاء، وفيه يجتمع المسلمون عنده لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم ". [1]

[1] مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ابن تيمية 35 /39.

وتخرج في هذا المركز الدعوى الإعلامي العديد من الصحابة الكرام عليهم رضوان الله أجمعين بعد أن تتلمذوا على يد معلم البشرية الأول محمد ε الذي أولاهم كريم عنايته وأعدهم أحسن إعداد للقيام بهذه المهمة. وخرج هؤلاء الدعاة

والإعلاميون وهم يحملون في صدورهم كل ما نزل به الوحي الأمين على الرسول الكريم من الذكر الحكيم وتمكنوا من الولوج إلى أعماق النفس البشرية بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة، وعندها استقبلت العقول بعد أن تهيأت التهيئة اللازمة لاستقبال كل أمر يحتاج إلى لغة المنطق وإعمال الذهن والعقل، وهكذا فتحت القلوب قبل فتح الأمصار بحد السيف. كذلك خرجوا وفي جعبة كل واحد منهم ما صدر من النبي صلى الله عليهم وسلم من قول أو فعل أو تقرير.

أما محور عملهم فقد كان المجتمع المحلي ثم على مستوى جزيرة العرب، وبعدها انطلقوا إلى العالم الخارجي، وبذا تحولت الدعوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم من المحلية والإقليمية إلى العالمية.

أما حاديهم في عملهم هذا فقد كان قوله عز وجل:. (**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**) **(آل عمران:104).**

وكان الأمر الإلهي من الله تعالى إلى كل من يقوم بأداء هذا الدور أو هذه المهمة بقول الحق:.(**(وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ---) **(الكهف:29)** .

أما طريقة نقل الأخبار فقد كانت عن طريق المشافهة، وعلى الرغم من بدائية هذه الطريقة ..... وبساطتها في نقل الأخبار أو الحدث، إلا أن الصحابة الكرام " رضوان الله عليهم أجمعين " جعلوا هذه الطريقة أكثر فعالية، وذلك بارتباطهم الشديد

والدائم بالرسول ε ، كذلك الارتباط الوثيق فيما بينهم وذلك لتلهفهم الدائم لمعرفة كل ما يأتي به الوحي وما يستجد من أمور تشريعية وقضايا فقهية.

وعلى المستوى المحلى أو داخل نطاق جزيرة العرب نجد أن الوفود كانت تفد على الرسول ε ، كما كانت البعثات والوفود الإسلامية تخرج من المدينة المنورة حيث استقر الحال بالنبي ε وأرسى فيها أعظم حكومة شهدتها البشرية عبر تاريخها السابق واللاحق وجابت هذه الوفود جزيرة العرب، كما استقبلت حكومته ε الوفود التي وفدت عليه لتعلن إسلامها بين يديه الشريفتين، أو مفاخرة وخير مثال لذلك ما كان من أمر وفد بنى تميم " الذي أتى مفاخراً وقفل وهو يحمل في جعبته الخير الكثير لعشيرته.

وأما الصعيد الخارجي فقد وفد على الرسول ε وفد النجاشي ملك الحبشة .

ولم تقتصر هذه الوفود على معشر الإنس فقط بل وفدت عليه وفود من الجن، وهو الذي أرسله الله تعالى بدين الحق مبشراً ونذيراً للعالمين من الأنس والجن، وأورد القرآن الكريم في سورة الأحقاف خبر هذه الثلة الطيبة من الجن التي قدمت عليه وأعلنت إسلامها بين يديه الشريفتين، قال تعالى: . (**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ) (قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) (يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) (الاحقاف 29 : 31)** .

وحكى حال هؤلاء القوم من الجن حال العديد من الوفود التي وفدت على النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجعت إلى قومها ونور الإسلام يتقدمها، ووظفت نفسها للدعوة لدين الحق واتباع نبيه الكريم ε ، ومما ورد في وفود الجن التي وفدت على الرسول ε قصيدة لرئية (وهو الذي كان يأتي لأحد كهانها بالأخبار قبل إسلامه) ويقول فيها :.

عـــجبت لـــلجن وأنجاســـها وشـــدها العـــيس بأَحلاســـها
تهـوى إلـى مـــكة تبغـي الهـدى مـــا مـــؤمن الجـــن كرجاســـها
فـانهض إلـى الصـفوة مـن هاشـم واســـم بعينـــك إلـــى رأســـها [1]

ثم قولـه:.

عجبـــت للجـــن وتـــطلابها وشـــهدها العـــيس باقتابـــها
تهـوى إلـى مكـة تبغـي الهـدى لـــيس قُدامـــها كأذنابهـــا
فـانهض إلـى الصـفوة مـن هاشـم واســـم بعينـــك إلـــى بابهـــا

ثم قوله:

عجبـــت للجـــن وتخبـــارها وشـــدها للعـــيس بأكوارهـــا
تهـوى إلـى مكـة تبغـي الهـدى لـــيس ذوو الشـــر كأخيـــارها
فـانهض إلـى الصـفوة مـن هاشـم مـــا مؤمنـــو الجـــن ككفارهـــا

كـذلك مـن الوسـائل الإعلاميـة التـي اسـتعملها الرسـول ε الرسـائل المكتوبـة والمختومة بخاتمه الشريف، وهذه الرسائل كانت على الصعيد الخارجي فبعد أن استقر الحال للمسلمين بأرض الحجاز بدأ الرسول ε يخطط ويمهد لسياسته الخارجية مع ملوك العالم من عرب وعجم، وكان الغرض من هذه السياسية النبوية الشريفة توسيع رقعة الإسلام ونشر راية لا إله إلا الله محمد رسول الله في الآفاق، وذلك بدعوتهم للدخول في دين الله تعالى وانتدب لكل مهمة نفر كريم من أصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فقد ذكر ابن سعد في طبقاته:. " لما رجع الرسول صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة سنة ست للهجرة أرسل

---

[1] البداية والنهاية: ابن كثير 5/ 96.

الرسل إلى الملوك يدعوهم للإسلام، وكتب إليهم كتباً فقيل يا رسول الله إن الملوك لا يقرؤون كتاباً إلا مختوماً، فاتخذ رسول الله ε يومئذ خاتماً من فضة فصه منه نقشه ثلاثة أسطر: محمد رسول الله، وختم به الكتب فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سبع، وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذي بعثه إليهم "[1].

ومن هذا النص يتضح أن معاهدة الحديبية كانت نقطة الانطلاق للوفود الإعلامية الخارجية، أي مرحلة عالمية الدعوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، وتتجلى حكمته ε في أمور كثيرة، فقد زود هذه البعثات الإعلامية بكل ما يعضد ويسهل مهمتها بدءً بإعداد ختم يمهر به رسائله الشريفة إلى الملوك والرؤساء، وهي عظيمة الأثر مما تترك أثاراً طيبة عند المتلقي، وتدل أيضاً على قدر المرسل والمرسل إليه، ثم إسناد هذه المهمة الصعبة والشاقة لذوي الحجة والمنطق من أصحابه الغر الميامين، لأن الرسالة المكتوبة تحتاج إلى المتحدث المتمكن الملم بأطراف القضية موضوع الحوار، الذي يستطيع أن يقنع من يحاوره ويجادله، وبما أن هذا المبعوث مرسل من قبل الرسول ε ، أي أنه يتكلم بلسانه الشريف وممثلاً له في المحافل الدولية، كذلك كون رجل الإعلام المسلم يتكلم بلسان من أرسل إليهم تسهل له مهمته الإعلامية والدعوية التي انتدب. وبما إنه داعية يدعو إلى الله سبحانه وتعالى فعليه أن يكون خير مترجم بالقول والفعل لتعاليم الإسلام، حاديه في ذلك كتاب الله تعالى وقدوته وأسوته الرسول الكريم لقوله تعالى:. (**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ....**) **(الأحزاب:21)** ، وحسبه من الفخر إنه تتلمذ على يد معلم البشرية الأول محمد ε وتخرجت من أعظم مؤسسة تعليمية مدرسة الدعوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

---

[1] الطبقات الكبرى: ابن سعد 1 /256.

وعلى رجل الإعلام المسلم أن يتحرى الصدق والدقة في النقل، وذلك لأنه يخبر وينقل عن الرسول الكريم الذي لا ينطق عن الهوى إنما هو وحي يوحي. كما عليه أن يجادل ويحاور بالتي هي أحسن، لأن غايته أن يقنع الآخرين بسماحة هذا الدين وبعبادة الواحد الأحد، وهنا نجد بعض التباين بينه وبين رجل الإعلام الذي يؤدي وظيفة معينة نظير أجر معين، فمهما عظم فهو زهيد مقارنة بالعائد الذي يجنيه الأديب المسلم الذي يحتسب الأجر والثواب عند الله تعالى الذي يعطي بغير حساب، لذا لا تنتهي مهمته بمجرد نقل الحدث أو الخبر أو التبليغ عن الرسول صلى الله عليه وسلم بل يتطلع إلى النهايات الإيجابية.

ومن المحطات المهمة في تاريخ الدعوة الإسلامية هجرة المسلمين إلى أرض الحبشة بعد أن ضيق عليهم الخناق وأوذوا في دينهم، فخرجت أول قافلة من أرض الجزيرة العربية مهاجرة في سبيل الله تعالى مخافة الفتنة وفراراً بدينها إلى أرض الحبشة، وكانت هذه القافلة برئاسة عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله، وذلك بعد أن حدد لهم الرسول ε خط سيرهم ووجههم التي يتوجهون إليها بقوله:ـ " لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه ".

وتبعت القافلة الأولى قافلة ثانية برئاسة جعفر بن أبي طالب فأكرم النجاشي وفادتهم وأحسن ضيافتهم في أرضه وزاد كل مكروه وسوء عنهم، وسألهم عن رأيهم في ابن مريم فرد عليه جعفر بن أبي طالب وكان الناطق باسم الوفد قال نقول فيه قول الله: هو روح الله وكلمته أخرجه من العذراء البتول التي لم يقربها بشر ولم يفرضها ولد. فأعجب النجاشي أيما إعجاب بمقاله وتناول عوداً من الأرض فرفعه فقال يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيدون هؤلاء على ما نقول في ابن مريم ولا وزن هذه ثم خاطبهم بقوله: مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده . فأنا أشهد أنه رسول الله وأنه الذي بشر به عيسى ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعليه امكثوا في أرضي ما شئتم ثم أمر لهم بطعام وكسوة.

وكان هؤلاء المهاجرون خير دعاة وإعلاميين ورجعوا محملين بهدايا النجاشي وبرفقتهم ابن أخيه (ذو ثخترا أو ذو مخمرا) ليقوم بخدمة النبي ε نيابة عن عمه النجاشي، وعندما قدم وفد النجاشي رضي الله عنه إلى الرسول ε أكرم وفادتهم وكان يخدمهم بنفسه، روى أبو قتادة قال :

" قدم وفد النجاشي على رسول الله ε فقام رسول الله ε يخدمهم فقال أصحابه نحن نكفيك يا رسول الله فقال إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكافيهم " . [1]

ومن هنا نخلص إلى الحكمة النبوية في استقطاب الأفئدة وخلق العلاقات الخارجية على المستوى العالمي أو الدولي مما يؤكد لنا عالمية الدعوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

كذلك من البعثات الإعلامية المهمة إسناد مهمة الحج لأبي بكر الصديق في السنة التاسعة من الهجرة، ثم ما كان من أمر بعثة علي بن أبي طالب الذي لحق بأبي بكر الصديق بعد أن جد جديد في الساحة، وهو نزول سورة براءة، فبعث الرسول ε بصدرها مع علي بن أبي طالب ليبلغ المسلمين كافة البراءة نيابة عنه. وكان سبب نزولها نقض ما بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد، وخرج

[1] البداية والنهاية: ابن كثير 3/ 78.

علي رضي الله عنه وهو يحمل رسالته ε ، ولحق بأبي بكر الصديق فلما رآه الصديق τ سأله أمير أم مأمور ؟.

قال ابن كثير:. " والمقصود أن رسول الله ε بعث علياً τ بعد أبي بكر الصديق ليكون معه ويتولى علي بنفسه إبلاغ البراءة إلى المشركين نيابة عن رسول الله ε لكونه ابن عمه من عصبته ". [1] قال ابن إسحاق:. " لما نزلت براءة على رسول الله ε وقد كان بعث أبا بكر الصديق τ ليقيم للناس الحج، قيل له يا رسول الله ε لو بعثت بها إلى أبي بكر فقال " لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي ". [2]

أما فيما يختص بالرسالة الإعلامية التي حملها علي بن أبي طالب τ **كما أمره الرسول** ε وقال له:. " أخرج بهذه القصة من صدر سورة براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى ألا أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله عهد فهو له إلى مدته "، [3] وكان الأمر من النص القرآني الكريم :. (**بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)(فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ) (وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (التوبة1 : 3)** .

---

[1] المصدر السابق 37/5 .

[2] المصدر السابق 5 /37.

[3] المصدر السابق 5 / 37 .

واقتصرت مهمة علي بن أبي طالب الإعلامية في هذه البعثة الخاصة في أربعة أمور :.

1. لا يدخل الجنة كافر.
2. لا يحج بعد العام مشرك.
3. لا يطوف بالبيت الحرام عريان.
4. من كان له عند رسول الله عهد فهو إلى مدته.

وقد حدد ε زمان ومكان بث هذا الخبر على المسلمين، وهي من الأمور المهمة في نجاح مهمة الوفد، إذ اختيار الزمن غير المناسب قد يؤدي إلى نتائج

عكسية، كذلك اختيار علي بن أبي طالب لكي يكون الناطق الرسمي بلسان الرسول ε لها العديد من الدلالات والمؤشرات الإيجابية في نجاح وتسهيل مهمة المبعوث بعد أن حدد أو وضع مواصفات معينه لهذا المبعوث الرسمي تؤهله وتمكنه من أداء هذه المهمة العظيمة بأكمل وجه.

وهكذا نجد الإسلام بتعاليمه السمحة قد وضع اللبنات الأولى للإعلام والكيفية التي يقوم عليها، حتى يحقق الهدف والغاية التي أنشىء من أجلها. وكثرة عدد الوفود التي وفدت على النبي ε يقابلها في الجانب الآخر البعثات التي أرسلها عليه الصلاة والسلام فجابت الدنيا من أقصاها إلى أدناها، تحمل بين جنباتها آخر الرسالات من الله لخلقه وتأمرهم باتباع آخر أنبيائه، كما حملت هذه الوفود والبعثات النور والهداية للبشرية التي كانت تعيش في ظلمات حالكة، كما فتح المجال للأخذ بكل أسباب الحضارة والمدنية، إذاً لم تكن هذه البعثات أو الوفود وعاء لحمل التعاليم الدينية فقط بل حملت معها كل أسباب الحضارة والتقدم لسعادة للبشرية.

أما بالنسبة للبعثات الإعلامية الخارجية التي أرسلها الرسول ε فقد كانت كثيرة لا يتسع المجال لذكرها، وخرج هؤلاء الإعلاميون المسلمون إلى العالم وهم يحملون رسائله الشريفة إلى الملوك والزعماء كما ذكر الطبري وكان من بين هؤلاء الملوك والزعماء الكتابي ومنهم الوثني:.

1. عبد الله بن حذاقة السهمي إلى كسرى ملك الفرس الذي كان يدين بالوثنية.
2. حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس زعيم القبط بالإسكندرية بمصر.
3. دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل إمبراطور الروم في الشام 0
4. عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي الأول ملك الحبشة .
5. شجاع بن أبي وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني.

6. سليط بن عمرو العامري إلى هودة بن علي الحنفي ملك اليمامة . [1]

ومن الرسائل التي أرسلها إلى إمبراطور الروم هرقل وهو من أهل الكتاب:

من محمد بن عبد الله ورسوله- إلى هرقل عظيم الروم.

سلام على من اتبع الهدى. أما بعد: فإني أدعوكَ بدعاية الإسلام، أسلم تسلَم، وأسلم يؤتِك اللهُ أجرك مرتين. فإن توليت فعليك إثم الأريسين. و" يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون". [2]

وهذه أيضاً رسالة موجهة من رسول الله ε إلى كسرى عظيم الفرس حملها عبد الله بن حذافة السهمي:.

من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس

سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهدَ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوكَ بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، أسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس.

---

[1] تاريخ الرسل والملوك: الطبري 2 / 644.

[2] صحيح البخاري ، باب بدء الوحي 1 / 6.

ومزق كسرى كتاب رسول الله ε إليه فلما بلغ ذلك رسول الله قال :ـ " مزق الله ملكه " . [1]

وكان من نتائج هذه البعثات الإعلامية إلى الملوك أن تمت المصاهرة بين العرب وأهل مصر، فعندما أرسل الرسول ε إلى المقوقس عظيم مصر لم يسلم، ولكنه أهدى إلى الرسول ε مارية القبطية أم ولده إبراهيم عليه السلام.

كذلك من الوسائل الإعلامية ما يسمى بالحرب النفسية وهي إشاعة نوع من البلبلة في صفوف الأعداء بطرق شتى، ويلعب الشاعر المسلم دوراً بارزاً وفعالاً في هذا المجال، كالدور الذي قام معبد بن أبي معبد الخزاعي من محاولة تحطيم الروح المعنوية للمشركين بعد موقعة أحد ، فقد ملأ الفخر نفوس المشركين بما حققوه من نصر وغلبة وأرادوا الرجوع إلى المدينة المنورة ليعيدوا الكرة على المسلمين مرة أخرى، وعندها رأى أبو سفيان[2] معبداً وكان يومئذ مشركاً فقال له ما وراءك يا معبد ؟ قال: له محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً، قد اجتمع معه من كان قد تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا . فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط قال: ويحك ما تقول ؟ قال: والله ما أرى أن ترتحل حتى أرى نواصي الخيل، قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم، لنستأصل بقيتهم قال فإني أنهاك عن ذلك قال والله لقد حملني ما رأيت على أني قلت فيهم أبياتا من شعر قال: وما قلتً

كادت تهد من الأصوات راحلتي إذا سالت الأرض بالجرد الأبابيل
تردى بأسد كرام لا تنابلة عند اللقاء ولا ميل معازيل
فضلت عدوا أظن الأرض مائلة لما سموا برئيس غير مخذول
فقلت ويل ابن حرب من لقاءكم إذا تغطمطت البطحاء بالجيل

---

[1] المصدر السابق 6/1.

[2] السيرة النبوية: ابن هشام 3 /80.

إنـــي نـــذير لأهـــل الســـبل ضاحيـــة لكـــل ذي إربـــة مـــنهم ومعقـــول
مـن جـيش أحمـد لا وخـش تنابلـة ولـيس يوصـف مـا أنـذرت بالقيـل[1]

وكان من آثار هذه الحرب النفسية أن فر المشركين ولم يعيدوا الكرة على جيش المسلمين. و حتى تأتي الحرب النفسية أُكلها غالباً ما تثار قبل فترة وجيزة من بداية المعركة.

وخلاصة القول : أن الحرب النفسية لم تنجح أمام قوة شكيمة المؤمنين لقوله تعالى :. (**(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ) (وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) (آل عمران 173 : 174)** .

الخاتمـــــة

أدب الفطرة السوية هو كل أدب يحمل بين جنبيه نزعة إسلامية أو عاطفة دينية سامية، فأدب الفطرة السوية ليس بالضرورة أن يكون دعاءً، أو تسبيحاً، وتحميداً، واستغفاراً، أو ابتهالاً لله تعالى، أو مدحاً للمصطفى ε ، إلى آخر الموضوعات التي قد تتبادر إلى ذهن الإنسان. فكل هذه الموضوعات إضافة إلى كل أدب يحمل شحنات إيمانية ملئت النفس البشرية وتشبعت بها الروح الإنسانية تظله مظلة أدب

[1] المرجع السابق 3 / 80.

الفطرة السوية . وكل الينابيع الثرة من المشاعر الفياضة التي ينهل منها الفرد المسلم والمجتمع الذي يعيش فيه لينفض الغبار الذي علق بأي جانب من جوانب الحياة، سواء كان الجانب الروحي أو الجانب المادي، ويحث على الفضيلة والترغيب فيها لولوجها من أوسع الأبواب، كل هذا تضمه خارطة أدب الفطرة السوية العامة . كذلك يدعو أدب الفطرة السوية للطهر والنقاء، والأخذ بأسباب الجمال التي أوجدها الله سبحانه وتعالى في الكون، ثم التدبر والتفكر في مقدرة الخالق جل وعلا، فإذا رأى الإنسان زهرة جميلة أو شم عطراً فواحاً، فلابد أن يتأمل في هذا الجمال، ولا يحرم على بني البشر التمتع البريء بها، كل هذا عبارة عن أدب الفطرة السوية وإن أغفله بعض الناس ولكنهم يحسونه في دواخلهم.

أدب الفطرة السليمة السوية عبارة عن امتداد طبيعي للأدب العربي القديم الملتزم، الأدب الذي استند على القيم الفاضلة التي ورثها من شريعة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، ومكارم الأخلاق التي تعارف عليها القوم وقتئذ، هذه القيم التي عرفها بعض أهل الجاهلية بفطرتهم الصافية النقية لقوله ε " إنما بعثت لأتمم حسن الخلق ".

وأدب الفطرة السوية قديم قدم الفطرة التي فطر الله تعالى عليها الإنسان، قال رسول الله ε :. (ما من مولود إلا يولد بالفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما

تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ثم يقول " فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم). [1] والأديب المسلم الملتزم عبارة عن مستودع مليء بالمبادىء والقيم والمثل السامية.

وبمبعثه الكريم ε تمرد بعض الشعراء على كيفية بناء القصيدة القديمة، فقد عاف الشعراء الوقوف على الأطلال (المطالع الطللية)، واستهلوا قصائدهم بالولوج في الموضوع مباشرة دون مرواغة، مما جعل القصيدة الإسلامية تتسم بالوحدة الموضوعية وترابط الأفكار في انسجام وتناسق، لأن فكرة الشاعر تدور في فلك واحد حدد الإسلام محاوره وأبعاده النفسية والزمانية والمكانية.

لقد سجل الأدباء كل الأحداث التي حدثت في الإسلام، مما يدل على معرفة رجل الصحراء لهذا العلم أي علم التأريخ، وقاموا بتأريخ الأحداث، وبذا تمكن الأدب من خدمة التراث الحضاري للأمة العربية والإسلامية، ولولا هذا الشعر الذي وصل إلينا لم نقف على تفصيل بعض الأحداث التاريخية الهامة. وهذه الوثائق الشعرية التي سجلها الشعراء في دواوينهم جاءت مطابقة لما ورد في كتب السير والأخبار، مما يدل ويؤكد على أهمية الدور الذي لعبه الأدب في الذود والذب عن محارم الله تعالى ونصرة نبيه ε .

---

[1] صحيح البخاري حديث رقم 2658.

في بداية الأمر جند أعداء الله تعالى من أهل الكفر والشرك كل الأسلحة لوأد الدين الجديد، ولقطع الطرق عليه وسدها في وجهه، فلم يترك أعداء الكفر أي نوع من أنواع الأسلحة إلا واستخدموها، وكان من بين هذه الأسلحة الفتاكة التي استخدموها الكلمة، لما لها من سحر على القلوب وقوة على النفوس تعجز عن مقاومتها والوقوف أمامها أشد أنواع الأسلحة قوة وفتكاً، لذا جاء وصف الحق جل وعز للكلمة الطيبة :ـ (**(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ**

أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) (ابراهيم:24) .

وكان من بين الحيل التي لجأ إليها كفار قريش التشويش على الرسول ε أو أصحابه الكرام عندما يتلون القرآن، لأن تأثيره على النفوس كان عظيماً وكانوا يقولون لأتباعهم :.(**لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) (فصلت:26)**

إذاً فالكلمة كانت من أهم وأخطر الأسلحة التي استعملها العرب في جاهليتهم، لذا تحداهم الله سبحانه وتعالى من جنس ما يفخرون به، وكانت معجزته ε القرآن، فكل نبي من الأنبياء نجد أن المعجزة التي أيده الله تعالى بها تناسب وتلائم واقع الحال الذي بُعث فيه، لذا كانت معجزته ε معجزة بيانية أخذت بألباب العرب وهم الذين كانوا يعتقدون أنهم يمتلكون ناصية الكلمة وزمامها، والرسول ε سيد الفصحاء وإمام البلغاء وهو الذي أُوتى جوامع الكلم، وهنا تتجلى حكمة الله تعالى أن يكون رسوله إلى هؤلاء الفصحاء والبلغاء أمياً، وهذه المعجزة البيانية في نفس الوقت معجزة إلهية الغرض منها وضع الأسس والضوابط السليمة لبني الإنسان إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

وقفت على العديد من الدراسات التي قتلت هذا الموضوع بحثاً، و تناولته من جميع النواحي شرحاً وتوضيحاً ، ولقد قامت كل هذه الدراسات بدور كبير ومقدر وكشفت النقاب عن كل من جاهد بلسانه وسيفه دفاعاً عن محارم الله تعالى، وكل من نافح عن الرسول الكريم ε ، ولكن أجمعت هذه الدراسات في مجملها على:.

1. إطلاق مصطلح الأدب الإسلامي على هذا اللون من الأدب، وتجاهلت أدب الفطرة السوية، الذي يتناول الإنسان ككتلة واحدة لا يفرق بين الروح والمادة.
2. بعض الدراسات أكدت أن الموضوعات لابد أن تنحصر في القضايا والموضوعات تدورفي فلك الدين الإسلامي فقط .

3. اتفقت كل الدراسات أن الأدب الإسلامي اتكأ على معطيات المجتمع الجاهلي من حضارة وثقافة و عادات وتقاليد موجبها وسالبها صالحها وطالحها .

هذا وقد توصلت من خلال هذه الدراسة إلى ما يلي :.

اولاً :

أرى أن يحل مصطلح أدب الفطرة السوية محل مصطلح الأدب الإسلامي، لأن الفطرة السوية قديمة قدم الإنسان الذي استخلفه الله تعالى في الأرض.والفطرة السوية هي الفطرة التي ارتضاها الله تعالى لعبادة. قال الله تعالى:.(**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) (الروم:30)** .

ثانياً :

قضايا وموضوعات الأدب الإسلامي كثيرة ومتعددة فهي لا تنحصر فيما يدور في فلك المحاور الإسلامية، أي ليس بالضرورة على الأديب المسلم أن يتناول القضايا التي تهتم بأمور الدين وقضاياه فقط ، فالمجال أمام الأديب واسع ورحب فكل ماورد في القرآن الكريم من أحكام تهم المسلم في دينه ودنياه هي من صميم موضوعات أدب الفطرة السوية، إضافة إلى ذلك أن أي قضية من القضايا التي تهتم بالإنسان ككائن حي أو ككتلة واحدة لا تفرق بين الناحية النفسية والعضوية، كذلك كل معطيات الطبيعة التي أوجدها الله تعالى وسخرها لمنفعة الإنسان، تعد من المجالات التي يحلق فيها الأديب المسلم ويصور بقلمه هذه الطبيعة التي أوجدها الله تعالى من عدم، ومن ثم يتناول مقدرة الخالق العظيمة.

كذلك تشمل خارطة أدب الفطرة السوية الحكمة الإلهية من خلق الإنسان وهي عمارة الأرض والاستخلاف فيها قال الله تعالى :ـ (**يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**

إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) ، (صّ:26) .

كذلك قوله تعالى :ـ (**(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ) (البقرة:30) .**

ثالثاً :

أما القول أن موضوعات الأدب الإسلامي هي موضوعات أدب ما قبل الإسلام ذاتها أو نفسها ففيها نظر ، لأن الأدب الجاهلي نفسه أرى أنه ينقسم إلى **قسمين:**

أ–القسم الأول تغنى بمكارم الأخلاق ودعا إلى التمسك بالقيم الفاضلة التي تعارف المجتمع عليها آنذاك .

وهذه القيم الفاضلة التي تمسك بها ابن الصحراء في جاهليته كثيرة ويزخر بها الشعر الجاهلي، و قد لا يستطيع المرء أن يحصيها عدا، لذا قال رسول ε :ـ" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "، فهذا النوع من الأدب يندرج تحت مظلة أدب الفطرة السوية، لأن القيم الفاضلة التي كانت سائدة في الجاهلية ما هي إلا إرث من شريعة إبراهيم عليه السلام التي حرفت وبدلت بتقادم العصور والأزمان، ولا بد من ملاحظة أن كل شريعة من الشرائع السماوية ما هي إلا امتداد لما سبقها من الشرائع السماوية، فعرب الجاهلية كانوا يدينون بدين اللات والعزى، ولكن كانت هنالك آثار باقية من شريعة إبراهيم الخليل عليه السلام، فهذه الآثار على قلتها وما تعرضت له من تحريف وتغيير وتبديل استطاعت أن تترك بصامتها واضحة على الحياة الفكرية في العصر الجاهلي، ومن هذا المنطلق يعد الأدب الجاهلي المصدر الأساسي ونقطة الانطلاق لكل علوم اللغة، كذلك كان الحال بالنسبة للعلوم الأخرى

كالتاريخ والجغرافيا والفلك والأنواء وعلم الحيوان وعلم النبات والعديد من العلوم التي لا يتسع المجال لحصرها. وبشروق شمس الحق أقر الإسلام بعض العادات التي كانت سائدة، وهذب وشذب بعضها، وحرم ما ينافي الفطرة السوية التي فطر الله تعالى عليها الإنسان، فهذه الآثار الي حافظ عليها العرب من بقايا دين الحنيفية من نجدة ومروءة وإغاثة ملهوف وإكرام الضيف وغيرها من العادات والتقاليد التي تدعو إلى مكارم الأخلاق تعد النواة الحقيقة لأدب الفطرة السوية. وأغلب الأدباء بصورة عامة من خطباء وحكماء ووعاظ وشعراء كانوا قد عاشوا شطراً من حياتهم في الجاهلية قبل أن يمن الله تعالى عليهم بنعمة الإسلام ومن الطبيعي أن تتأثر نفسية الشاعر بمجرد إيمانه ثم التفقه في أمور دينه.

واختلفت التوجهات العامة للشعراء، وطرحهم للقضايا، وكيفية معالجتها، لأن التعاليم السماوية السامية قد تخللت في نفسية الشاعر المسلم وأثرت فيها، لذا صار الفرق شاسعاً بين توجهات الشاعر المسلم وبين توجهات الشاعر الجاهلي لقول الرسول ε :- " الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ". (1)

إضافة إلى ذلك تم استحداث بعض الموضوعات الجديدة لم يكن رجل الصحراء على علم ودراية بها، كالدعوة إلى الله سبحانه تعالى، كذلك من الموضوعات التي أوجدها الإسلام الجهاد وما يفتح الله تعالى به على الجندي المجاهد في ساحة الحرب وبين وقع السيوف من كلام موزون مقفى يلهب المشاعر ويشحذ الهمم.

ب–أما القسم الثاني فخير ما يمثله تجاوز حد الذوق ، أو كل ما يخدش الحياء وتعافه النفس السوية، وهذا النوع يدعو إلى العصبية وحمية الجاهلية، فكل

(1) صحيح البخاري 14/9 كتاب 89 باب 1.

شاعر استمد مادته الشعرية وأخيلته من هذا المنبع الراكد فهو أبعد ما يكون عن الفطرة التي ارتضاها الله تعالى لعباده.

وللأديب المسلم ملامحه وقسماته الخاصة به، وهما مرآة صادقة للمؤمن الملتزم الذي آمن بالله رباً وبمحمد ε نبياً ورسولاً، وحدد الله تعالى في سورة الشعراء خصائص ومميزات الأديب المسلم السوي من الناحية النفسية والعقلية، التي انحصرت في أربع نقاط أساسية وهي الإيمان، والعمل الصالح، وذكر الله كثيراً، ثم الانتصار من بعد الظلم.

ومسك الختام أن الهدف الطيب لا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق المسلك الطيب، والأديب المسلم الملتزم الذي يعيى دوره تجاه آخرته ودنياه ليس بحاجة إلى أساليب جاهلية أو روافد سقيمه ليستمد منها أدواته اللازمة لرسم لوحاته الفنية.

والله من وراء القصد وإياه نستعين

فهـرس الآيــات القرآنيــة

م	الآيــة	الصفحة
.1	(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً .....) (الروم:30) .	16
.2	(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (البقرة:30)	16
.3	(..... وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ) (الأنعام:109) .	21
.4	(بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ .....) (الانبياء:5) .	27
.5	(وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ .....) (الشعراء:224)	27
.6	(وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ .....) (يّس:69) .	28
.7	(وَيَقُولُونَ أَإِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ) (الصافات:36)	28
.8	(فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ.....) (الطور:29)	28
.9	(وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ) (الحاقة:41)	29
.10	(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ .....) (الزمر:23)	29
.11	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ.....) (الجمعة:9) .	35/32
.12	(وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ.....) (الاسراء:79) .	38
.13	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ .....) (البقرة:282)	39
.14	(نْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) (القلم:1)	39

.15	(**وَالطُّورِ**) (الطور:1) (**وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ**) (الطور:2) (**فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ**) (الطور:3) .	39
.16	(**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي**.....) (الكهف:109) .	44
.17	(**وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى**.....) (لنجم:39) .	45
.18	(**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**) (المدثر:38) .	45
.19	(**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**.....) (البقرة:164) .	52
.20	(**الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**.....) (النساء:139) .	54
.21	(**يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ**.....) (المنافقون:8) .	54
.22	(**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ**.....) (طه:114) .	55
.23	(**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**) (العلق:1)	55
.24	(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا**.....) (المجادلة:11) .	55
.25	(**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً**.....) (الزمر:9) .	55
.26	(**اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ**.....) (الجاثية:12)	57
.27	(**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**.....) (البقرة: من الآية164)	57
.28	(**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً**.....) (سبأ: من الآية28)	58

.29	(**قُـــلْ يَـــا أَيُّهَـــا النَّـــاسُ إِنِّـــي رَسُـــولُ اللَّهِ إِلَـــيْكُمْ جَمِيعاً**.....) (لأعراف: من الآية158) .	58
.30	(**إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ**.....) (نوح:1) .	58
.31	(**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً**.....) (لأعراف:65) .	58
.32	(**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً**.....) (لأعراف:85) .	59
.33	(**إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً**.....) (لأعراف:73).	59
.34	(**وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى**.....) (طه:9) .	59
.35	(**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ**.....) (المائدة:116) .	61
.36	(**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**) (الحجر:9) .	63
.37	(**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ**.....) (يونس:57) .	63
.38	(**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ**.....) (الاسراء:82) .	64
.39	(**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ**) (صّ:71)	64
.40	(**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ**) (الحجر:28)	64
.41	(**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**.....) (السجدة:7) .	64
.42	(**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**)(الحجر:29) .	64
.43	(**ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ**) (السجدة:9) .	64
.44	(**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ**) (الفجر:27) (**ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً**) (الفجر:28) (**فَادْخُلِي فِي عِبَادِي**) (الفجر:29)(وَادْخُلِي جَنَّتِي) (الفجر:30) .	64
.45	(**لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**) (القيامة:1) .	64

.46	(**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**) (التوبة:32)	65
.47	(**أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ.....**) **(الزمر:56)**	65
.48	(**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا)** (الشمس:7) **(فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)** (الشمس:8) **(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا)** (الشمس:9)**(وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)** (الشمس:10)	65
.49	(**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**) (يوسف:53)	65
.50	(**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**) (الذريات:21) .	66
.51	(**وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ**) (لأنفال:35) .	75
.52	(**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا.....**) **(**آل عمران: من الآية103**)**	80
.53	(**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ.....**) (الحديد:21) .	80
.54	(**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)** (البقرة: من الآية186) .	81
.55	(**(ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (لأعراف:55)**	82
.56	(**(يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**) **(سبأ:13)**	82
.57	(**رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا...**) (البقرة:286) .	85
.58	(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ)** (الصف:2) **(كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ**) (الصف:3) .	90
.59	(**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ**) (آل عمران:191) .	91
.60	.(**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ....**) (النحل:125)	93
.61	(وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ	93

	عَظِيمٌ) **(لقمان:13)**	
.62	((وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً.....) (لأعراف:145)	93
.63	(**(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ.....) (فصلت:11)**	94
.64	(**(فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً)** (الشرح:5) **(إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً)** (الشرح:6)	96
.65	(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)** (آل عمران:200)	100
.66	(**انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)** (التوبة:41)	102
.67	(**(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا.....) (فاطر:27)**	104
.68	(**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً .....)** (التوبة: من الآية122)	104
.69	(**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ.....)** (النساء:83)	105
.70	(**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ..**) (يوسف: من الآية111)	106
.71	(**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)** (لأنفال:31)	106
.72	(**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا.....**) (البقرة:67)	107
.73	(**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ...**) (لنجم: من الآية32)	109
.74	**(** يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**) (المائدة:90)**	117
.75	(..... فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى....) (البقرة: من الآية194)	135
.76	(**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا.....)** (الروم:9)	141

.77	(**الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**) (التوبة:20)	146
.78	(**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ**) (آل عمران:195)	146
.79	(**إِلاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ**) (التوبة:40)	147
.80	(**يَسْأَلونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ**) (البقرة:217)	150
.81	(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**) **(الأحزاب: من الآية9)**	152
.82	(**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) (الحشر:1)	159
.83	(**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً**) (الفتح:1)	160
.84	(**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**) (النصر:1)	162
.85	(..... مَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) **(البقرة: من الآية194)**	165
.86	(**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**.....) (الحج:39)	169
.87	(**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ**.....) (البقرة: من الآية216)	169
.88	(**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ**.....) (التوبة: من الآية111)	170
.89	(الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ.....) (التوبة:20)	170
.90	(**لَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ**.....) (الروم: من الآية47)	171

.91	(**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ** .....) (البقرة: من الآية216)	179
.92	(**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**.....) (لأنفال: من الآية60)	181
.93	(**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ** .....) (المائدة: من الآية67)	198
.94	(**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ**.....) (آل عمران:من الآية104)	199
.95	(**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ** .....) (الكهف: من الآية29)	199
.96	(**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ** .....) (الاحقاف: من الآية29)	200
.97	(**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**....) (الأحزاب: من الآية21)	202
.98	(**بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**.....) (التوبة:1)	205
.99	(**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ** .....) **(آل عمران: من الآية173)**	209

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

م	الحديث	الصفحة
1	إن من البيان لسحرا	25
2	لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين	26
3	(إن من الشعر لحكمة)	26
4	من ترك ثلاث جُمع تهاوناً طبع على قلبه	32
5	حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات	80
6	ألا أنبئكم بخير أعمالكم	91
7	: إنما مثل أحدكم ومثل ماله وعمله	96
8	ما غبنت تجارتك يا ضرار	117
9	إذا رأيتم المداحين فآحثوا في وجوههم التراب	121
10	جاهدوا المشركين بأنفسكم وأموالكم وألسنتكم	170
11	إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه	179

فهرس الخطب النبوية الشريفة

م	الخطبة	الصفحة
1	(أيها الناس: إن لنسائكم عليكم حقا،	33
2	(ألا أيها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا،	34

المصـــادر والمراجـع

القرآن الكريم :

1 الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمن بن عبد الله السيوطي، القاهرة 1368هـ.

2 أثر الإسلام في الشعر في عصر الرسول والخلفاء الراشدين:السيد عبد القادر عويضة مطبعة الأمانة الطبعة الأولى 1987م.

3 الأخبار الطوال: أبو حنيفة بن داود الدينوري، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي القاهرة 1960 م.

4 الأدب في عصر النبوة والراشدين: صلاح الدين الهادي مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الثالثة 1987م.

5 الأدب الإسلامي ضرورة: عبده زايد (أحمد محمد علي)، رابطة الجامعات الإسلامية القاهرة 1991 م.

6 الأدب الإسلامي المفهوم والقضية : علي علي صبح وعبد العزيز شرف، محمد عبد المنعم، دار الجيل بيروت الطبعة الأولى 1992م .

7 الأدب الإسلامي وصلته بالحياة : محمد الرابع الحسني الندوي الناشر مكتب ا الندوة العالمية للأدب الإسلامي الهند الطبعة الرابعة 1984م.

8 الأدب الأفريقي : علي شلش، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب االكويت 1993م.

9 الأدب ومذاهبه المعاصرة : علي دومة، دار قطري للنشر قطر 1990م.

10 الأدب المفرد: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل مكتبة أفسيت 1970م.

11 أدب النساء في الجاهلية والإسلام: محمد بدر معبدي، مكتبة الآداب.

12 أساس البلاغة: محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتب 1923م.

13 أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري، مطبعة الشعب مصر 1970م.

14 الاستيعاب في معرفة الأصحاب : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر مطبعة حيدر أباد 1318هـ.

15 الإسلام والمذاهب الأدبية: نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1979م.

16 الإسلام والشعر: سامي مكي العاني، مطبعة عالم المعرفة الكويت 1983م.

17 الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، القاهرة 1907م.

18 الأصنام: أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي تحقيق أحمد زكي باشا، المطبعة الأميرية 1914م.

19 إعجاز القرآن: أبو بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق سيد أحمد صقر، دار المعارف مصر 1954م.

20 إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : مصطفى صادق الرافعي، مطبعة الاستقامة القاهرة 1952م.

21 الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني طبعة دار الكتب المصرية القاهرة 1963م.

22 الأمالي: أبو علي القالي البغدادي، مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية 1926م.

23 أمالي المرتضى: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب المصرية 1954م.

24 أيام العرب: محمد أبو الفضل وعلي محمد البجاوي، دار الفكر للطباعة والنشر الطبعة الرابعة 1973م.

25 البداية والنهاية: عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، مطبعة السعادة القاهرة 1932م.

26 بناء الرواية: عبد الفتاح عثمان، مكتبة الشباب، القاهرة، 1982م.

27 البيان والتبين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق السندوسي مصر 1926م.

تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ دار العلم للملايين بيروت الطبعة الخامسة

28 1984م.
29 تاريخ الأدب العربي في صدر الإسلام والعصر الأموي: السباعي بيومي الطبعة الثانية 1935م.
30 تاريخ الرسل والملوك: محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل، بدون تاريخ.
31 التاريخ الكبير: ابن عساكر طبعة الشام 1329هـ.
32 تقويم نظرية الحداثة: عدنان النحوي، دار النحوي للنشر والتوزيع الرياض 1994م.
33 التيار الإسلامي في قصص عبد الحميد جودة: صفوت يوسف زيد، الدار المصرية العامة للكتاب 1985م.
34 جمالية الأدب الإسلامي: محمد جمال العروي، المكتبة السلفية، الدار البيضاء 1986م.
35 جمهرة أشعار العرب: محمد بن أبي الخطاب، مطبعة بولاق 1308هـ.
36 جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب: أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية بيروت/ لبنان، الطبعة التاسعة والعشرون 1983م.
37 حركة الشعر في ظل المؤثرات الإسلامية:عبد الله الطنطاوي دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة / بدون تاريخ.
38 الحماسة الصغرى الوحشيات : ضبط كمال مصطفى المطبعة الرحمانية مصر الطبعة الأولى 1929م.
39 خزانة الأدب: عبد القادر عمر البغدادي، تصحيح أحمد تيمور باشا وعبدالعزيز الميمني، المطبعة السلفية بالقاهرة 1351هـ.
40 خصائص القصة الإسلامية: مأمون فريز جرار، دار المنارة جدة 1988م.
41 الخطابة في صدر الإسلام: طاهر درويش، دار المعارف مصر 1965م.
42 ديوان النعمان بن بشير الأنصاري:تحقيق يحيى الجبوري ، مطبعة المعارف بمصر بدون تاريخ .
43 دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث: عبد الباسط بدر، دار

البشير بدون تاريخ.
44 ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : تحقيق محمد عبده عزام الطبعة الثالثة دار المعارف مصر 1957 م.
45 ديوان حسان بن ثابت: طبعة دار صادر بيروت 1966م.
46 ديوان الحطيئة برواية وشرح السكيت: تحقيق نعمان محمد أمين، مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الأولى 1987م.
47 ديوان حميد بن ثور الهلالي: دار الكتب المصرية القاهرة 1951م.
48 ديوان دريد بن الصمة: تحقيق عمر عبد الرسول، دار المعارف بدون تاريخ.
49 دواوين الشعر الإسلامي المعاصر: دراسة وتوثيق أحمد الجدع، الدار البيضاء عمان 1985 م.
50 ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة سيرته وشعره: وليد قصاب، دار البيضاء للنشر والتوزيع الأردن عمان، الطبعة الثانية 1988م .
51 ديوانا عروة بن الورد والسمؤال: دار صادر بيروت بدون تاريخ.
52 ديوان عنترة: دار بيروت للطباعة والنشر 1984م.
53 ديوان الفرزدق: تحقيق عبد الله الصاوي القاهرة 1936م.
54 ديوان كعب بن زهير: طبعة دار الكتب المصرية 1950 م.
55 ديوان كعب بن مالك: تحقيق مكي العاني، مطبعة دار المعارف بغداد 1966م.
56 ديوان لبيد بن ربيعة: تحقيق إحسان عباس الكويت، بدون تاريخ.
57 الروض الأنف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله السهيلي، مطبعة الجمالية مصر 1322هـ.
58 روائع إقبال: أبو الحسن علي الحسني الندوي، دار القلم دمشق الطبعة الأولى 1990م.
59 زاد المعاد: ابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية مصر 1371هـ.
60 زهر الآداب: أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري، مطبعة مصطفى

البابي الحلبي بمصر 1953م.

61 زهير بن أبي سلمى الشاعر الحكيم: يحيى الشامي، دار الفكر العربي بيروت الطبعة الثالثة 2001 م.

62 زوجات النبي وأولاده: أمير مهنا ، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر الطبعة الأولى 1990م.

63 الزينة في الكلمات الإسلامية العربية : أبو حاتم بن حمدان الرازي، تحقيق حسين بن فيض الله الهاني، القاهرة 1950م.

64 سنن الترمذي دار إحياء التراث العربي.

65 سنن ابن ماجه مطبعة مصطفى البابي الحلبي 1954م.

66 السيرة النبوية: عبد الملك الحميري بن هشام، تحقيق السقا الأبياري، مطبعة البابي الحلبي 1955م.

67 شرح شواهد المغني: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي لجنة النراث العربي بدون تاريخ .

68 شرح ديوان الحماسة: أحمد بن محمد المرزوقي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1953م.

69 شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري: عبد الرحمن البرقوقي، المطبعة التجارية الكبرى بمصر 1929م .

70 شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري : تحقيق إحسان عباس، طبعة ثانية مصورة، الكويت 1984م.

71 شرح المعلقات السبع : أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، دار القلم بيروت، بدون تاريخ.

72 شعراء إسلاميون: نوري حمودي القيسي مكتبة النهضة العربية، الطبعة الثانية 1984م.

73 **شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين: عبد الله الحامد الحامد، منشورات دار الأصالة للثقافة والتراث الرياض، الطبعة الثانية 1985م.**

74 شعر زيد الخيل الطائي: أحمد مختار البزة ، دار المامون للتراث بيروت

الطبعة الأولى 1988م.
75 شعر النابغة الجعدي: المكتب الإسلامي دمشق 1964م.
76 الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري، دار الثقافة بيروت 1969م.
77 الشوقيات: أحمد شوقي، دار الكتاب العربي بيروت 1984م.
78 صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة الإسلامية استانبول 1979م.
79 طاغور أغان وأشعار : ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، منشورات المجمع الثقافي أبو ظبي الطبعة الأولى 1995م.
80 الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد، نشر وطبع دار بيروت، دار صادر 1957م.
81 طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني القاهرة 1974م.
82 طرفة بن العبد سيرته وشعره : جعفر حسن نور الدين ، دار المكتبة العلمية الطبعة الأولى 1990م.
83 عبقري الإسلام سيد قطب : سيد بشير كشميري، دار الفضيلة بدون تاريخ.
84 العقد الفريد: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري مطبعة لجنة التأليف 1940م.
85 العمدة في صناعة الشعر ونقده: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين، مطبعة حجازي القاهرة 1934م.
86 عيون الأخبار: ابن قتيبة الدينوري، دار الكتابي العربي بيروت عن طبعة دار الكتب المصرية 1952 م.
87 الغايات المستهدفة للأدب الإسلامي: عماد الدين خليل، دار الضياء عمان2000م.
88 فتوح الشام: محمد بن عمر الواقدي، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي مصر 1368 هـ.
89 الفرج بعد الشدة: أبو علي المحسن بن علي التنوخي، تحقيق عبود الشالجي

دار صادر بيروت 1978م.

90 الفردوس المفقود: جون مليتون، ترجمة محمد عناني، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1982م.

91 فن الشعر: أرسطو طاليس، ترجمة عبد الرحمن بدوي دار الثقافة بيروت بدون تاريخ.

92 فن المقامات في الأدب العربي: عبد الملك مرتاض، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980م.

93 في الأدب والنقد: شوقي ضيف، دار المعارف المصرية بدون تاريخ.

94 في الأدب العربي القديم: محمد صالح الشنطي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية حائل،الطبعة الأولى 1992م .

95 في التاريخ فكرة ومنهاج: سيد قطب، دار الشروق بيروت الطبعة السادسة 1983 م.

96 في الشعر الإسلامي والأموي: عبد القادر القط، دار النهضة العربية بيروت 1978م.

97 قصص القرآن: محمد جاد المولى، محمد أبو الفضل، علي محمد البجاوي والسيد شحاته، دار الجيل بيروت الطبعة الثالثة عشرة 1985م.

98 القصص في الحديث النبوي دراسة فنية وموضوعية: محمدين حسن الزير، دار المدني الطبعة الثالثة 1985م.

99 قضايا النقد الأدبي: بدوي طبانه المطبعة الفنية الحديثة بالقاهرة دون تاريخ.

100 كتاب الزهد: أبو عبد الله أحمد بن حنبل، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى 1986م.

101 كشف الخفاء:محمد بن إسماعيل العلجوني مطبعة دار إلإحياء التراث العربي بيروت 1351هـ.

102 كعب بن مالك الصحابي الأديب : عبد العزيز الرفاعي ، المكتبة الصغيرة الرياض الطبعة الثالثة 1977م .

103 لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين بن منظور، دار صادر بيروت بدون

تاريخ.
104 من أدب الدعوة إلى الإسلام: عباس الجزائري، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1981م.
105 من بدائع الأدب الإسلامي: محمد بن سعد الدبل منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي بدون تاريخ.
106 مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية.
107 محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار : محي الدين بن عربي، دار صادر بيروت 1960م.
108 المحاسن والمساوئ : البيهقي، نشر دار بيروت 1960م.
109 محاولات جديدة في النقد الإسلامي: عماد الدين خليل، الرسالة 1981م.
110 مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي: عماد الدين خليل، مطبعة الرسالة 1987م.
111 المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين : شكري عياد، عالم المعرفة 1993م.
112 مسند الإمام أحمد بن حنبل: المطبعة الميمنية القاهرة 1313هـ.
113 المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي بيروت عن دار الكتب المصرية 1945م .
114 المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف: رتبه لفيف من المستشرقين مطبعة بريل ليدن 1943م.
115 معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : مجدي وهبه وكامل المهندس مكتبة لبنان بيروت 1944م.
116 المعمرون والوصايا : أبو حاتم السجستاني، تحقيق عبد المنعم عامر طبعة لندن 1961 م.
117 المفضليات: تحقيق شاكر هارون الطبعة الثالثة دار المعارف بمصر 1964م.
118 مقدمة في نظرية الشعر الإسلامي المنهج والتطبيق: عباس المناصرة مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى 1997م.

119 مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي: مصطفى عليان، دار المنارة السعودية الطبعة الأولى 1405هـ 1985م.
120 مقدمة في النقد الأدبي: محمد حسن عبدالله دار البحوث العلمية الكويت الطبعة الأولى 1975م.
121 مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق حجر عاصي مطبعة التقدم القاهرة 1329هـ.
122 من قضايا الأدب الإسلامي: آدم صالح بيلو، دار المنارة جدة 1985م.
123 منح المدح لابن سيد الناس: تحقيق عفت وصال حمزة، دار الفكر سوريا الطبعة الأولى 1407هـ -1987م.
124 منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية: سليم عبد الله حجازي دار المنارة، جدة الطبعة الأولى 1986 م .
125 منهج الفن الإسلامي: محمد قطب دار الشروق، 1972م.
126 الموطا للأمام مالك: موسوعة السنة الكتب الستة وشروحها، استنبول 1992م
127 الموازنة بين الشعراء : زكي مبارك، مطبعة البابي الحلبي 1936م.
128 المؤتلف والمختلف: الآمدي، تحقيق عبد الستار فراج، دار احياء الكتب العربية 1961 م.
129 مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي : مكارم العمري، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 1991م.
130 الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء: أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، تحقيق علي محمد البجاوي مطبعة السلفية القاهرة 1929م.
131 موسوعة الشعر العربي: مطاع صفدي و إيليا حاوي، شركة خياط للكتب والنشر بيروت لبنان 1974م.
132 النجوم الزاهرة في ملوك مصر : والقاهرة: ابن تغري بَردي دار الكتب المصرية القاهرة 1929 م.
133 نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد: عبد الرحمن رأفت الباشا، دار الآداب الرياض، 1998م.

134 النظرة الإسلامية للإعلام: محمد كمال الدين إمام، مطبعة دار البحوث العربية بدون تاريخ.
135 نظريات نقدية وتطبيقاتها: أحمد رحماني، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الأولى 2004م.
136 نظرات في الأدب: أبو الحسن الندوي، من منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، دار القلم بيروت 1988م.
137 النقد الأدبي أصوله وناهجه: سيد قطب دار الفكر العربي القاهرة 1950 م.
138 النقد الإسلامي المعاصر: عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة بيروت 1972م.
139 نقد النثر: قدامة بن جعفر المكتبة العلمية بيروت 1980 م.
140 نقد الشعر: قدامة بن جعفر طبعة ليدن 1956م.
141 نهج البلاغة : شرح محمد عبده، دار المعارف للمطبوعات، بيروت1982م.
142 نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين النويري طبعة دار الكتب 1924م.
143 الواقعية في الإسلام: أحمد بسام ساعي، دار المنارة جدة 1985م.

مجلات

- مجلة الأدب الإسلامي- رابطة الأدب الإسلامي العالمية.
- مجلة المشكاة- وجدة- المغرب.
- مجلة إسلامية المعرفة- الجامعة الإسلامية- ماليزيا.

مؤتمرا ت

- مؤتر الأدب الإسلامي- الواقع والطموح- جامعة الزرقاء الأهلية 1999م
- الملتقى الدولي الأول للأدب الإسلامي- كلية الآداب والعلوم الإنسانية جدة- 1994/11/9.

الندوة العالمية للأدب الإسلامي 17-1981/4/19 ندوة العلماء -لكهنؤ.

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	**6**
المقدمة	**7**
الفصل الأول	
مدخل وتعريفات	**14-13**
1- **مفهوم الأدب**	**14-13**
2- **مفهوم أدب الفطرة السوية**	**15**
3- **نماذج من أدب الفطرة السوية**	**20-16**
4- **الفنون الأدبية**	**41-21**

أ- الشعر 29-21
ب- النثر 41-30

الفصل الثاني

مميزات أدب الفطرة السوية 66-44
1- النقاء والصفاء 44
2- الالتـزام 49-45
3- وضوح المعنى 51-50
4- وحدة الشكل والمضمون 53-51
5- الاعتزاز بالنفس 56-54
6- واقعية أدب الفطرة السوية ..... 58 -56
7- عالمية أدب الفطرة السوية 62-58
8- إنسانية أدب الفطرة السوية 66-62

الفصل الثالث

الخصائص الفنية لأدب الفطرة السوية 87-69

الفصل الرابع

مسؤولية الأديب المسلم 216-90
1- بناء المجتمعات الفاضلة 107-92
2- التغني بمآثر الإسلام وذم الأعداء 108-140
3- تأريخ الأحداث 167-141
4- الإشادة بالجهـاد 187-168
5- الرثـاء 197-187
6- الدعوة والإعلام 209-198

الخاتمــة 216-210
فهرست الآيات القرآنية 223-217
فهرست الأحاديث النبوية 224
فهرست الخطب النبوية 224
ثبت المصادر والمراجع 237-227